

منشورات وزارة الإعلام والثقافة
الجمهورية العربية اليمنية

حياة الأب اليمني

في
عصبة بني سؤول

عبد الله محمد الحبشي



0118058

Bibliotheca Alexandrina

منشورات وزارة الإعلام والثقافة
الجمهورية العربية اليمنية

حياة الأب بعمى

في

عصبي سيول

عبد الله محمد الحبشي

الطبعة الاولى سنة ١٩٧٧ م

الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حظي تاريخ الادب العربي في البلاد العربية بالعناية الكبيرة ، فكتبت في عشرات المؤلفات وقامت عليه أسماء كبيرة من أدبائنا الكبار كالاديب طه حسين والعقاد وشوقي ضيف وغيرهم . وكان جل اهتمامهم بتاريخ البلاد المعروفة لهم كمصر والشام والعراق ، وقليل منهم من أولى عنايته لما عدا هذه البلدان ، وعلى الاخص اليمن التي كادت تختفي من كل تلك الكتب وغيرها .

وقد رأيت من واجبي أن أسد هذا النقص في تلك الدراسات وقمت بكتابة هذه الدراسة الادبية التي تتناول فترة من أهم فتراتنا الثقافية في اليمن . وقد تبين لي أهمية عصر بني رسول في تاريخنا الأدبي منذ فراغي مباشرة من كتابي (الصوفية والفقهاء في اليمن) سنة ١٣٩٥ هـ .

فقمت بوضع هذا الكتاب : (حياة الادب في عصر بني رسول) منذ سنة ١٣٩٧ هـ ، وقدر له أن يطبع في تلك المدة إلا أنه ويا لسوء الحظ أتت طباعته من أسوأ ما يطبع به كتاب في العصر الحديث . ويكفي لتبيين مساوىء تلك الطبعة ما كتبه الاستاذ عبد العزيز المقالح في صحيفة (١٣ يونيو) ونشره بعد ذلك في كتاب له غاب عنى اسمه الآن .

فما كان من وزارة الإعلام إلا أن تحمّست لاعادة طبعه ، وكان على رأسها الأدب النابه الأستاذ يحيى بن علي الارياني الذي شجعني في مواصلة مراجعته

وننتقيحه ، فشمرت الهمة في ذلك على الرغم من مشقة الرجوع الى كتاب سبق لي أن جهدت القريحة فيه •

وفي الختام لايسعني إلا أن أحيي أولئك الذين كرموني باقتراحاتهم وإرشاداتهم وعلى الاخص أولئك الذين كرموني بتقاريطهم وثنائهم الذي لا أستحقه لا في قليل ولا كثير ، فقد أبت سجاياهم الكريمة وأعراقهم الطيبة إلا أن تجود بنفثان من الشعر والنثر ••

فإليهم أقدم تحيني وثنائي وعلى رأسهم أستاذنا الشاعر الاديب يحيى بن علي البساري والاديب الشاعر عبد الرحمن بن محمد قاضي والاديب الشاعر أحمد يحيى بلبل والاستاذ عبد الوهاب المؤيد وشيخنا العلامة بقية السلف الصالح القاضي أحمد بن محمد الواسعي والاستاذ المحقق أحمد عبد الرزاق الرقيحي ••• فهؤلاء هم أصحاب الفضل الاكبر في ظهور هذه الدراسة المناوضة وإليهم أقدم جزيل شكري وتقديري •

عبد الله الحبشي

* * *

مجد الرسولين

للشاعر أحمد يحيى بلبل

أرياض جادها غيثُ السما
لا ولكني أرى سفرا به
فاض عذبا وجرى سلسله
ترك الأرواح تشدو طربا
أيهذا « الرائد » الفذ الذي
أنت شمس أشرقت ساطعة
لك فكر صاغ في تاريخنا
نترت مجد « الرسولين » أب
من بهم يفتخر الدهر ومن
ينتمي المجد الى دولتهم
فهى في « مأرب » رمز المجد قد
وبأرض « الشام » سادت دولة
وأقاموا في « تعز » دولة
فاذا هم حيث صاروا قوة

أم ضياء الصبح شق الظلما
أفرغ الفن البيان الملهمما
يمنح الافكار خصبا ونما
ومضى ينفث فيها الهمما
ما حوى في الملك إلا القلما
ترسل الضوء وتسدي النعما
كتباً غراء تحيي القيما
ناء « غسان » الملوك العظما
خدموا العلم وسنوا الشيما
ويناغي في ذراها القمما
خلدت سدا يفوق الهرما
لم تزل للباحثين العلما
تحفظ العهد وترعى الذمما
تبت العز وتحمي الحرما

* * *

هذه جائزتي

مِ قَصِيدَةٍ
لِلشَّاعِرِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ الْبَشارِيِّ

فاهتفوا يا سلوة المكتتب
نقح ورد ألق ملتهب
بسيوف حدها من لهب
يكتحل مشرقها بالمغرب
جبهة الفارس بعد الغلب
عرشت عنها « حياة الادب »
سكراً يجلو هموم المتعب
دم عنقود شجون الحقب
منه كانت مطر المستوهب
وأرانا عنه خلف الحجب
عجب ينبئنا عن عجب
جذل أو نائح مكترب
غيمة من دمعها المنسكب
بك أو عدت بدمع سرب
ولدا فارق أو ضحك أب
لامح البرق برعد السحب
نسق الدر قريض الذهب
في سفور القمر المرتقب
نطق بالساكن المستعذب
بين أهل غصة المغترب
يرقب العذراء شوق الاعزب
بعدها لا ... انها لم تغب

بكت الكأس بدمع العنب
هاجها الرمان مزجا فنث
ذكرتني وهي ترمي شرراً
بشموس من بني غسان لم
هذه الكأس شعاع النصر في
انها بنت العناقيد التي
روضة يمنحنا ريئانها
ولقد تبعث كاس حملت
كم حبيب نكهت عن نخوة
حجبت عنا النوى عرفانه
إن ذا البستان في طياته
بسمه أو دمة من ضاحك
رب روض حدرت أجفانه
فرنا نحوك فارتاح جوى
تلك أجفان حكت أمّا بكت
لك « عبد الله » شكري ما سرى
هذه جائزتي ضمنها
فاجتل الخود عروسا برزت
حرة بكراً اذا استنطقتها
واعف عن باك شكت عبرته
كم أراني أرقب النسم كما
كيف غابت من دمي مشتعل

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للاستاذ القاضي العلامة
احمد عبد الواسع الواسعي لكتاب
(حياة الادب اليمني في عصر بني
رسول) كان نقله من خطه حرقياً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين

وانه لما اطلعت على ما ألّفه الاديب العبري العلامة البحاثه مفخرة العلماء قاطبة عبد الله بن محمد الحبشي^(١) أبقاه الله ذخراً للادب وأهله وسرحت ناظري في حدائق ما سماه (حياة الادب اليمني في حياة بني رسول) علمت صحة ما يقال إن في الزوايا لخبايا وإن في رجال أهل الكمال لبقايا . ولقد كان الحظ ساعدني قبل ذلك بالاطلاع على موسوعته الادبية الضخمة التي سماها ب (مصادر الفكر الاسلامي في اليمن) وهي الموسوعة التي أبان فيها عن ذكاء نادر وألمعية فذة . لا ، بل أسفر عن ثروة ثقافية خامة . لا ، بل عن طاقة هائلة مخزونة في قلبه النابض وعقله الكبير . ولقد أراد أن يجعله متمماً لتلك الموسوعة المذكورة آنفاً أو ملحقاً به . ومن يدري فإن ما أودعه في هذا الملحق بالنسبة الى الملحق به ليس الا قطرة من وابل أو ومضة من نور باهر وتيقنت أن ذلك على حدائثه سنة من فضل الله عليه الذي يؤتته من يشاء والله ذو الفضل العظيم فاني كثيراً ما ألقاه صدفة إما في الطريق الى محل عمله أو الى المسجد أو في الدورة على عرفنا فأنتهز الفرصة بأن أفاتحه كمذاكرة علمية وأعرض لذكر علامة أو أديب أو مؤلف قديماً أو حديثاً أو مؤرخ أو حادثة تاريخية أو دولة منقرضة فإذا به يتدفق من

(١) بكسر الحاء وسكون الباء نسه الى حبش بوزن حبر .

معين لسانه بما يبهر السامع اذ يذكر عن ظهر قلب اسمه ومولده وتاريخ وفاته ثم حياته كاملة ومؤلفاته ومراسلاته وما قاله وما قيل فيه من الاوصاف ثم يستطرد ذكر زملائه في عصره فأرى والله فيه العجب العجيب حتى يخيل اليّ أن عقله الكبير يحمل دائرة معارف أو مكتبة ضخمة الامر الذي جعلني أتمثل فيحقه بقول صاحب المقصورة المشهورة : (والناس ألف منهم كواحد • وواحد كالألف إن أمر عني) وأذكر أني زرته مرة في منزل له بالأجرة أو بعبارة أصح في كوخه المتواضع فوجدته منغمسا بين عشرات المجلدات المخطوطة وغيرها واقفا على ما فيها (وقوف شحيح صاع في التراب خاتمه) لا تشذ عنه شاردة ولا تفوته شاذة إلا كتبها في كئاشه^(١) ووعاها هناك وفي اعتقادي انه ينطبق عليه تماما ما قاله ذلك الاعرابي للاصمعي بكلمته المشهورة وقد رآه يتنقل في أحياء العرب الخائض وبين خيامهم وقت التدوين الأول فما إن ينطق أي أعرابي أو أعراية بكلمة (إلا كتبها للتدوين فعجب منه الأعرابي وقال للاصمعي مخاطبا إياه (أنت شبيه الحفظة • تكتب لفظ اللفظة) فقال الأصمعي وهذا أيضا منما يكتب فكتبه • ولقد قال لي قائل من المعجبين به لو كان هذا الرجل في قطر آخر لحُمِلَ على الاكتاف • ومن كريم طباعه ما ذكر له أحد المتوجعين له بسبب تجاهل أهل زمانه له فأجابه قائلاً : حسبي خدمة وطني وخدمة أبناء جنسي • ولقد جرى قلبي عند تحريري هذه السطور بديهة مسلّياً له ومنزلاً له منزلة المخاطب وان كان غائباً بهذين البيتين :

(يا أديباً من فاق^(٢) كل أديب وسما قدره على الأقران)
 (غيظ من رام جحد فضلك عمداً انك اليوم لا يثرى لك ثاني)
 وشكراً للاخ الأديب علي بن أحمد أبي الرجال على اهتمامه بالادب اليمني حيث اصبح مشجعاً لأبنائه كما هو المعروف عنه • أضف الى هذا أيها القارئ

(١) كئاش جمع كئاشة على وزن رمانة دفتر أو ملف بدرج فيه الشوارد والفوائد عربي فصيح . انظر كتب اللغة •
 (٢) يقال فاق السوء ولا يقال فاق على الشيء فهو فعل متعد وجعله لازماً كما يكتبه بعض الكتاب غلط •

الكريم ما يمتاز به أدينا النابغة بالصراحة الطاهرة والعمل بأمانة النقل كنموذج
من العمل بقوله تعالى (إئتّا عرضا الأمانة على السموات والارض والجبال)
الى آخر الآية^(١) .

وفي كتابه هذا خير شاهد على ما نقول ، ولقد أبان فيه عن علم واسع
ومعرفة تامة بشواهد التواريخ العلمية والادبية .

ولانطيل عليك ، أيها القارئ الكريم ، فإليك هذا المنهل الصافي والموضوع
الذي لم تسبقه فيه الأقلام شأنه فيه شأن كل أبحاثه ومؤلفاته . فكم أبان عن
جديد واكتشف من مجهول حتى أصبحت كل الأبحاث التي أتت بعده ما هي إلا
ترديد لصداه أو متممة لما ابتداه . فتحية لهذا الأديب النابه وشكراً له على
جهوده وأعماله .

أحمد بن عبد الواسع الواسعي

* * *

(١) بآخر سورة الاحزاب .

حَيَاةُ الْأَبِ بَمَنَى

فِي

عَصْنَةِ مَسْئُولٍ

عبد الله محمد الحبشي

تمهيد

يكثر في التاريخ اليمني اندحار الدول الكبيرة على أبدى دول ناشئة يكون أفرادها في الغالب من رجال تلك الدولة المندحرة ، وهذا ماحدث فعلا في القرن الثالث الهجري عندما انتهى حكم العباسيين في اليمن على أيدي عمالهم من بني زياد وعندما انتهت هذه الدولة على أيدي خدمهم من بني نجاح في القرن الخامس الهجري •

ونفس الامر وقع عندما استأثر بالحكم بنو رسول وتأسيس دولة ضخمة في اليمن على انقاض دولة الايوبيين وقد كانوا في بداية ولايتهم عمالا لهم في بعض المناطق اليمنية ، على أن سقوط الدولة الايوبية قد مهد له عدة عوامل داخلية وخارجية بل إن هذا السقوط كان أول العلامات لموت هذه الدولة الكبيرة واندثارها من مسرح الاحداث نهائيا وذلك بعد خروجهم من اليمن بحو عشرين سنة فقط •

ومن أكثر الاسباب التي دعت الى دحرهم من اليمن تنافس أفراد البيت المالك من بني أيوب على مركز الزعامة في مصر وعدم انسجامهم مع طبيعة البلاد وهي اليمن التي يحكمونها • وقد صاحبهم نفور عام من أول حاكم لهم وهو نوران شاه حتى آخر ملك منهم وهو السلطان المسعود • هذا مع بعد المسافة بين الدولة المركزية الحاكمة في مصر وبلاد اليمن التي تختلف عن أرض مصر من حيث السكان والمناخ • ويرى الباحث المعاصر الدكتور محمد زغلول سلام أن من أسباب سقوط الدولة الايوبية بصفة عامة « تكالب الاعداء من الخارج في صورة الصليبيين وعناصر داخلية أسرع في القضاء عليها ، منها : تورط

الأيوبيين أنفسهم في نزاع فيما بينهم وإهمالهم لسؤن الرعية وسوء معاملة مسالكهم الناس» الى غير ذلك^(١) .

وكل ذلك أتاح الفرصة للامير الشاب عمر بن علي الرسولي بالاستيثار بالحكم واعلان مملكته في اليمن ودولة الايوبيين لاتزال قائمة في مصر والحجاز والشام . وكان الامير عمر بن علي الرسولي قبل اعلان تأسيس دولته قد تولى اليمن للملك المسعود واستخلفه هذا على سائر بلاد اليمن بعد رحلته الى الحجاز ثم صادف أن توفي الملك المسعود سنة ٦٢٦ هـ ، ولم يكن هناك من يخلعه من أفراد بيت آل أيوب في اليمن فأعلن الامير عمر بن علي الرسولي الحكم لنفسه فكان هذا التاريخ بداية ظهور الدولة الرسولية في البسن ومكت بزيد مدة من الوقت وطد فيها دعائم ملكه ، ثم رحل الى صنعاء وغيرها من البلاد اليمنية ودانت له سائر البلاد .

أما الدولة الايوبية المحتضرة في مصر فإنها لم تقم بأي عمل معاد ضدها هذا التأثير عليها وكل ماقامت به هو ارسال جيش هزيل الى اليمن بقيادة أسد الدين بن جبريل ، سرعان ما انهزم في وجه الجيوش اليمني ، وتحول أكثر أفرادها الى القائد الرسولي .

وبالملك المنصور عمر بن علي الرسولي تبتدي أشهر دولة عرفها تاريخ اليمن في عصوره القديمة والحديثة ، وقد اكتسبت شهرتها من حيث الفترة الطويلة التي حكمت فيها وبتشجيعها للعلم والعلماء والاستقرار النسبي الذي شهدته البلاد في عهدها . أما نهاية الملك المنصور فقد كانت محزنة ، حيث كان قتله بأيدي جماعة من غلمانته وخدامه المواليين لمنافسه على الحكم الامير أسد الدين حسن بن رسول وذلك سنة ٦٤٧ وعندها وصل الخبر الى ولده المظفر يوسف بن عمر الرسولي وكان بالمهجم ، تأهب لقتال ابن عمه واستطاع أن يستميل المماليك الى جانبه

(١) محمد زغلول سلام : الادب العربي في العصر الايوبي ص ٤٧ .

والمبص على ابن عسه وزجه في سجن زبد * وهذا أول انقلاب عسكري شهده الدولة الرسولية * وسبكر في ناربخها بعد ذلك وفوق السردات الطارئة من قبل الطامعين في الحكم من أفراد بيت آل رسول ، وسبكون هذا سبب فن كثيره وقلاقل للامن كما سنذكره فيما بعد * الا أن حكم المظفر قد اسمر فترة لم تعرف عن حاكم رسولي قبله ولا بعده ، فقد مك في الحكم نحو نصف قرن من سنة ٦٤٧ الى سنة ٦٩٤ وازدهر عهده بال عمران التفافي والمدني، ونوحدت البلاد البمنية قاطبة تحت لوائه حتى وصلت أطراف مسلكه الى عبان ودخل تحت حكمه فطر الحجاز ومكة * والملك المظفر هو أول من سن من ملوك الدولة الرسولية نظام ولاية العهد * وقد أعلن ذلك في حفل بهيج قال فيه : « أما بعد فقد ملكنا عليكم من لا يؤئر فيه دواعي التقرب على باع التجريب ولا عاجل النخصيص على آجل السحيص ولا ملازمة الهوى والإيتار على مداومة البلوى والاختبار .. » الخ^(١) .

وقد توسع الخزرجي في أخبار دولة الملك المظفر وماحدث فيها من حوادث عسكرية واجتماعية *

وتوفي الملك المظفر سنة ٦٩٤ فخلفه في الحكم انه الملك الاشرف عمر بن يوسف وكان هادئ البال سليم النية ، وعندما علم أن أخاه المؤيد قد عارضه في الحكم جهز له ابنه الناصر فقضى على نورته وهي في المهدي ، ويقال انه لما بلغه القبض على أخيه بكى بكاء شديداً ثم أمر به الى حصن تعز وأجرى عليه نفقة جيدة * ولم يستمر حكم الاشرف سوى سنتين ، وسرعان ما باغته الحمام سنة ٦٩٦ فتولى الحكم بعده أخوه الملك المؤيد داود بن يوسف عمر بطلب من ابن الاشرف الناصر والعاذل ، وكان المؤيد مودعا في السجن في ذلك الوقت فأخرج وبوبع له بالحكم بمحضر كبير من أعيان الدولة والعلماء ، وقد شهدت سنوات حكمه الاولى قيام أخيه الامير المظفر بن يوسف بالخلاف عليه ومنازعة فأودعه

(١) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٧٤ *

السجن ثم أفرج عنه • ولا بخلو حكم المؤيد من بعض الاصلاح العمراني والرفي حيث إنه تم بناء الفصور الفخمة والمنتزهات الكبيرة^(١) • • وسياد حكمه فترة هدوء شامل •

وبعد وفاته سنة ٧٢٠ كان قيام ابنه المجاهد علي بن داود ليجد النفوس من أقاربه طامحة في الحكم مشرّبة اليه ولم تمض سوى سنة واحدة حتى يقوم أحد الثوار وهو ابن عمه المنصور أيوب بن يوسف بن عمر بالاستيلاء على الحكم وايداع المجاهد السجن لمدة ثلاثة أشهر ثم قام أحد مماليكه المواليين له بإعادة الملك المجاهد الى كرسيه وطرد منافسه المنصور •

ومن المؤسف له حقا أن يكثر التنافس بين الامراء على الملك ويكون هذا سببا في إزهاق أرواح العديد من الناس بل إن الملك المجاهد قد قام بعد ذلك بعمل أهوج في سبيل الحفاظ على حكمه فاتصل بجماعة من العسكر المصريين من بقايا المماليك وطلب حضورهم الى اليمن سنة ٧٢٥ فدخلوا بعد أن عاثوا في البلاد فسادا وأشاعوا الخوف والنهب والسلب وكانوا يستولون على حاجاتهم بالنهب والاعتصاب حتى اضطر التجار الى اغلاق متاجرهم واخفاء بضائعهم • وفي عهد المجاهد كترت ثورات القبائل التهامية على الدولة فقامت قبيلة المعازبة بانقضائها سنة ٧٣٠ • وفي سنة ٧٥١ خرج المجاهد الى مكة للسرة الثالثة وصادف في مكة العسكر المصري التابع لسلطان المماليك فحدث أن أشاعوا بينهم أن الملك المجاهد ينوي التردد على صاحب مصر فأخذ العسكر المصري مقبدا الى مصر ومكث فيها عشرة أشهر ثم أفرج عنه وعاد الى اليمن وذلك سنة ٧٥٤ وحدث بعد ذلك ثورة الامير محمد بن ميكائيل سنة ٧٦٣ قبل وفاة المجاهد بسنة واحدة ثم توفي المجاهد سنة ٧٦٤ بعدن فخلفه في الحكم ابنه الملك الافضل عباس بن علي ابن داود فكان أول ما قام به هو مطاردة فلول الثائر ابن ميكائيل حتى اضطره الى أن يتحصن بمدينة ذمار ، ثم تجددت ثورات القبائل ووقعت معارك بين الدولة

(١) العمري : مسالك الابصار (ص ٥٧) •

وقبيلنسي الفرنسين والمعاذبة وغيرهما ، وقام الامام بمحاصرة زييد مدة أيام
ثم انفصل عنها ، وفي عهد المجاهد سادت فوضى القبائل وتوفي المجاهد بقصره
بمدينة زييد سنة ٧٧٨ فخلفه ولده الملك الاشرف الثاني اسماعيل ، وقد تجددت
بينه وبين الامام معارك حدثت تحت صنعاء ، ثم قامت قبيلة المعازب بتمرداتها
المعتادة حتى كادت أن تأسر الملك الاشرف نفسه عند مدخل زبيد وتوجه الامام
سنة ٧٩١ لغزو زييد فحط في (رمع) وحاصر زييد مدة من الزمن ولم يدخلها
وكانت وفاة الاشرف بذي عدينه سنة ٨٠٣ فتولى بعده الناصر أحمد بن اسماعيل
وقد عرف عهده بالاضطراب وكثرة الفتن . وفي عهده حدث النزاع الشهير بين
الفقهاء والصوفية كما فصلناه في كتابنا (الصوفية والفقهاء في اليمن) . وقام
الناصر بعدة حملات عسكرية لتوطيد الامن ، فغزا المقاطرة سنة ٨٠٨ وغيرهما
وقام حسين بن اسماعيل أحد اخوته بالتمرد عليه سنة ٨٢٢ فأودع السجن وكذلك
أودع أخاه الآخر يحيى بن اسماعيل ، وكانت وفاة الناصر سنة ٨٢٧ في حصن
قوارير فحمل الى تعز ، ومنذ وفاة الناصر يتتدي نجم الدولة الرسولية بالافول
فيخلفه في الحكم جماعة من الخلفاء الذين لا تستقر لهم الاوضاع ، فبعد وفاة
الناصر خلف في الحكم ولده عبد الله بن أحمد وتلقب بالمنصور ، فلم يلبث في
الحكم سوى سنة واحدة .

ثم مات فتولى بعده اخوه اسماعيل بن أحمد وتلقب بالاشرف وكان صغير
السن فلم يثبت لزعزعات السياسة وأزيح عن كرسيه بعد أشهر قلائل وتولى
الحكم بعده يحيى بن اسماعيل وتلقب بالظاهر ، وقد قام بالامر أتم قيام وساس
الناس بحكمة الا أن شأن العبيد قد قوى في الدولة فقام بحملة تطهيرية ضدهم
ونكل بجماعة من أعيانهم . وحدث في عهد الظاهر تمرد من قبل أخ له هو
عباس بن اسماعيل انتهى بالفشل وفي سنة ٨٣٩ اجتاحت اليمن طاعون رهيب مات
فيه خلق كثير وأبيدت قرى بأكملها ، ثم مات الظاهر في سنة ٨٤٢ فقام بعده ولده
اسماعيل بن يحيى وتلقب بالاشرف ، وقد تكالب عليه رؤساء القبائل وخاصة

عرب تهامة فوقعت بينه وبينهم عدة معارك حتى دبر الملك الاشرف حيلة للتخلص منهم أشبه ماتكون بتلك التي دبرها محمد علي للتخلص من المماليك ، فقد استدعى رؤساء القبائل سنة ٨٤٤ الى وليمية كبيرة فلما أخذوا مجالسهم ليأكلوا انهال عليهم جنده بالسيوف فضرب في السماط من رؤسائهم نحو أربعين شيخا ثم توفي الاشرف سنة ٨٤٥ فخلفه أخوه المظفر يوسف بن المنصور ، وقد استفحل شأن العبيد وأصبحوا يتحكمون في الدولة فولكوا الحكم شخصا يدعى محمد بن اسماعيل بن عثمان من آل رسول وقوي شأنه بهم حتى استدعى الملك المظفر عامله الامير علي بن طاهر للتخلص من منافسه فاستطاع القبض عليه وأودعه سجن تعز . وما زال العبيد في تمرداتهم ومالوا الى نهب أموال زبيد وغلاتها ثم انحدروا الى (حيس) وكان فيها أحد أمراء آل رسول مسجوناً وهو أحمد بن العباس فأفرجوا عنه وولوه الملك فعاد الى زبيد وأمر العبيد بنهب المدينة وازداد الهرج والفوضى حتى لقب بعد ذلك بالامير الجائر ، ثم مال عنه الجند الى شخص آخر من آل رسول هو المسعود الذي ختمت به الدولة الرسولية وولوه الحكم سنة ٨٤٧ والدولة الرسولية تحتضر فلم يمكن في الملك سوى سنوات قليلة حتى قام عمال الدولة الرسولية بنو طاهر بالانتفاضة على سادتهم وتمكنوا من القضاء على الدولة الرسولية سنة ٨٥٨ .

وكما كان انقضاء الدولة الايوبية على أيدي عمالهم بني رسول كذلك ماتت هذه الدولة على أيدي عمالهم بني طاهر ومن المصادفات العجيبة أن آخر ملك في الدولة الرسولية يسمى المسعود وكذلك آخر ملك من ملوك الدولة الأيوبية يسمى المسعود أيضا . فلست أدري اذا كان هذا السعد هو نفس عليهم وسعد لخصومهم أم الأمر بالعكس .



الدولة الرسولية بين يدى التاريخ

أسس ملوك بني رسول دولة وراثية تعتمد على ولاية العهد ، فكان هذا أحد العوامل التي ساعدت على اندحارها حيث ورطت الناس في معارك طاحنة أتت من قبل المتنافسين على الحكم في حين كان الاستكثار من الممالك واستقدامهم من خارج البلاد عاملا آخر في الفتة في عضد الدولة واضفاء الصبغة الاجنبية لدولة بني رسول •

وقد كان على الدولة الرسولية أن تستفيد من الدرس الذي تركته الدولة الايوبية في اليمن • حيث تلاشى شأنهم بسبب الاعتماد على قوى أجنبية • الا أن مؤسس الدولة الرسولية عمر بن علي الرسولي كان لا يزال مشبعا بالفكرة الايوبية اذ كان هو نفسه أحد القادمين الى اليمن ، وقد كان على منهج أسلافه في الاعتماد على غير القوى الوطنية • وعلى هذا السنن سار كل من أتى من بعده من الملوك حتى أصبح استقدام الغرباء الى اليمن علامة خاصة بالدولة الرسولية • وفي هذا الصدد يقول العمري إن : « صاحب اليمن أبدا يرغب في الغرباء ويحسن تلقيهم غاية الاحسان ويستخدمهم فيما يناسب كلا منهم » (١) • وأفرطت الدولة في ذلك حتى أصبح أعداؤها يطلقون عليهم دولة التركمان ولم ينح عنهم قولهم في الانتساب الى العساسة اليمنيين • ولو أنهم ركنوا الى الشعب في تأييد حكمهم لمكثت دولتهم أكبر قدر ممكن من الزمن •

وقد حملت أخلاق ملوك بني رسول جانبا آخر من العادات والتقاليد المستوردة كان لها أثرها الفعال في تطعيم الدولة الرسولية بعادات وأخلاق جديدة لم يكن للبلاد عهد بها من قبل فقد تشبه أولا ملوك الدولة الرسولية بملوك مصر من

(١) العمري • مسالك الابصار ص ٤٧ •

المسالبة المعاصرين لهم وحرصوا — كما هي العادة عند أولئك الملوك — على سهوانهم وملاذهم حتى أصبحت « أوقانهم مفصورة على لذاتهم والخلوة مع حظاباهم وخاصتهم من الندماء والمطربين ولا يكاد السلطان يرى بل ولا يسمع أحدا من أهل اليبس له على الحقيقة خيرا »^(١) . في حين ولع أكثر ملوكهم بشرب الخمر وتجاهروا به منذ ملكهم الأول المنصور بن علي الذي « جاهر بشرب الخمر والسكر في ديوانه حتى كان يعقد لمجلس الشراب يوما معلوما »^(٢) وهذا أمر كبير في اليبس لم يكن لأهله عهد به من قبل .

أما خلفاؤه فهم ناذج مختلفة من جدهم في حين أصبح شأن الدولة متوقفا على أهوانهم فعزلون من أرادوا ، ويولون من أرادوا ، وقد كثرت الوشيات والمصادرات بسبب ذلك وعت الدسيسة بين الوزراء والرؤساء حتى حصل الهوى بعض ملوكهم الى أن يصادر أحد وزرائه ليحظى بزوجه^(٣) .

على أذ، الفرص كانت مواتية للدولة الرسولية في تأسيس دوله نظامية ضخمة ترفع من شأن البسن بين الافطار المجاورة وتطل برأسها على العالم الخارجي بعد ان كانت مغلقة على نفسها ردحا من الزمن ، وقد نشطت السياسة الخارجية في ذلك الوقت وتوالت الوفود من قبل الحكومات القرية والبعدة تطلب ود المملكة اليمنية فجاءت رسل ملك الحجاز ومصر وبغداد والهند حتى انتهى الامر إلى أن يبعث ملك الصين بسفرائه إلى ملك اليبس يوصيه بالرفق في رعيته^(٤) . وكانت مصر من أكثر الدول صلة باليمن ومنذ انفصال اليمن عن الدولة المركزية في مصر في عهد بني أيوب توترت العلاقات بينهما في أول الامر الا أنها سرعان ما عادت الامور الى مجاريها بعد ذلك ويزعم العمري أن ملك اليمن يتقرب الى

(١) المصدر السابق ص ٥٦ .

(٢) يحيى بن الحسن . ألباء الزمن (مخطوط) .

(٣) ابن الدبع فره العيون . ج ٢ ص ١٢٩ .

(٤) يحيى بن الحسن . عاية الاماني ص ٥٦٥ .

صاحب مصر بالمهاداة خنسة السلط عليه من جهة البر والبحر^(١) وهذا بعيد عن الواقع لأن في مصر في ذلك الوقت ما يجعلها تحجج عن التفكير في عزو السن • وغالبا ما النجأت اليسن الى مصر للاستعانة بها في بعض الشؤون الادارية والعسكرية وكتب ملك البسن المظفر الى السلطان ببرس يطلب منه أن يسده بجماعة من الاطباء وربما بعث الملك المؤيد الى مصر من يجب له عن المخطوطات النفيسة فكافىء عليها بثأت الدنانير^(٢) • وكانت أغلب هدايا ملك البسن الى صاحب مصر من التحف السنة من الفضبات على اختلاف أنواعها كالطشوب والاباريق والمجامر وسواري العود والصندل والقطع الكبار من العبر والمسك والفخار الصيني والزبادي الى غير ذلك^(٣) وقد احتفظت مدينة زييد احمالا كبيرا عندما علت بانتصار المصريين سنة ٧٠٣ على التتار بـرج دابق « ودقت الطبول وأعلن السرور والبتائر وخرج أعبان الدولة الرسولية بأسرهم من الوزراء المتقدمين ينلقون السفير المصري »^(٤) • وقال الادب البنى ادريس ابن علي متيرا الى هذه المناسبة :

لم تأتلك الرسل من مصر وساكنها الا مؤدبه حقاً لكم يجب

اما الهند فتأتي في الدرجة الثانية بعد مصر في علاقتها مع اليسن • وكان ملك الهند يجل البسن ويعبر عن ذلك الاجلال بالعديد من الرسل والهدايا • ففي سنة ٧٧٠ هـ بعث صاحب « كالكوت » بهدية فخنة عبارة عن طيور غريبة وأشجار لم تكن توجد في اليسن وفي سنة ٧٩٥ هـ بعث برسالة الى ملك اليسن يشرح فيها تقديره واحترامه ويعلمه بذكر اسمه على منابر الهند في خطبة الجمعة •

وهكذا كانت العلاقات حسنة للغاية بين اليسن وجاراتها • وقد زادها توثقاً التجارة الجارية بين الهند ومصر واليسن وانفتاح موانئ اليسن لاستقبال التجار

(١) العمري مسالك الابصار ص ٤٧ •

(٢) ابن حجر العسقلاني • الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٠٠ •

(٣) العقود اللؤلؤيه ح ١ ص

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٣٤٨ •

على مختلف أجناسهم حتى أصبحت البلاد مقصدا لكل مرتاد ورحالة •
وعلى المستوى الداخلي فقد شهدت البلاد نهضة عمرانية ضخمة لم نعرفها
اليمن في عصر من عصورها السابقة حيث أسست المرافق العامة والمدارس الكبيرة
والقصور الفخمة التي يقف عند عظمتها ملوك مصر وغيرهم من الملوك المعاصرين
للدولة الرسولية ومن أهم هذه القصور التي أنشأتها الدولة الرسولية قصر
« المعقلي » الذي يقول في وصفه أحد من شاهده « أجمع أرباب الاسفار في
الآفاق انه لا مثيل له في شام ولا عراق وانهم لم يسهلوا مثله أبدا وهو مجلس
طوله خمسة وعشرون ذراعا بسقفين مذهبين بغير أعمدة وله أربعة مناظر بأربعة
رواشن ليس فيه الا رخام وذهب وأمامه بركة طولها مائة ذراع في عرض خمسين
ذراعا على حافتها تماثيل طيور ووحوش من نحاس ترمي الماء من أفواهها ••
الخ •» وصف الخزرجي (١) •

وهذا القصر واحد من عدة قصور كبيره اعتنت الدولة الرسولية بإشادتها
حتى بلغ مجموع ما أنشأته من العمارات نحو مائتين وثلاثين موصفا (٢) •
أما السبل الخيرية والصدقات فهي كثيرة جدا وقد أفردت الدولة لضيافة
الغرباء وغيرهم بيوتا خاصة نعى باستقبال الضيوف كالدار الذي أنشأها
المظفر لاطعام الواردين ، وكان مجموع ما يطبخ فيه كل يوم قدر حمل جمل
من الطعام هذا عدا اللحم والتمر (٣) •



-
- (١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٧٧ •
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٤ •
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٦ •

الادارة الحكومية

كانت حكومة بني رسول تقتفي في أسلوبها النمط المملوكي في مصر ، ولا يزال ملك اليمن ينحو في أموره منحى صاحب مصر يتسمع أخباره ويحاول اقتفاء آثاره في أحواله وأوضاع دوله^(١) » وتلك عبارة العمري نستشف منها مغزى تاريخيا كبيرا حبت يظهر لنا جليا أن ملوك بني رسول قد حملوا معهم أنماطا جديدة جلبوها معهم من مجتمعاتهم الاولى مصر والسام والعراق فهم دائما يحنون الى تلك العادات ويستظهرون ما جد منها في مناطقها الرئيسية ، وقد اعتمدوا في أول أمرهم على الخبرات العربية القادمة من خارج اليمن وقد وصل اليهم جسع كبير من كتاب الدواوين والخبراء في الشؤون الادارية والعسكرية ومن هؤلاء الذين كان لقدمهم أثر فعال الخير العسكري علاء الدين كشتغدي القادم الى اليمن سنة ٧٢٨ ذكر عنه ابن عبد المجيد انه « رتب الجيس اليمني على قاعدة الجيوش المصرية »^(٢) . وهذا نموذج واحد من عدة نماذج .

وقد أدخلت طرق جديدة على الادارة الحكومية وخصصت لها الوظائف والمكاتب العديدة التي لم تكن معروفة من قبل ، وقد قارن المؤرخ العمري في القرن الثامن الهجري بين الادارة المملوكية في مصر والادارة الرسولية في اليمن فلم يجد هناك اختلافا كبيرا .

ومن الوظائف التي عرفتھا الحكومة الرسولية وظيفة كاتب الانشاء وهي وظيفة هامة تقلدها جماعة من كبار الأدباء والكتاب كالأديب تاج الدين عبد

(١) العمري . مسالك الابصار ص ٤٧ .

(٢) ابن عبد المجيد اليماني : بهجة الزمن ص ١٣١ .

الباقى بن عبد المجيد اليماني وابن فليته وعيرهما وكان الملك الرسولي ادا عناه
أمر للكتابة طلب الكتاب وأملى عليهم مضامين ما يحتاجه تم يقوم الكاتب بصباغته
انسائيا ولبس بأبدنا نموذج مسا كان يدونه كتاب الانشاء في ذلك الوقت سوى
نص واحد ذكره صاحب صبح الأعنى وسننبر اله فيما بعد *

وقد احتفظت لنا كتب التاريخ بتراجم العديد من أولئك الكتاب فكان
أغلبهم من القادمين الى اليمن كالكتاب الادب أبو مظفر موسى بن الحسين المصلي
المتوفى في سنة ٦٩٩ يصفه الجندي^(١) بأنه « من كرام الناس بحيث لم يكن فبمن
وصل من مصر يشابهه في الغالب علما وأدبا. وجاء معه من مصر كاتب الانشاء
الاديب ناصح الدين المنتجى وهو كسابقه من حث الخبرة في حسن الانشاء وقد
ترك مصنفًا حافلا ضمنه * قواعد الدواوين المنية ونظام الضرائب والرسوم
ومن الكتاب في ذلك العصر الادب ناج الدين بن عبد الباقي السانى الآتى ذكره
ان شاء الله ، ومعاصره أبو محمد الحسن بن نصر بن مختار الدولة القادم الى
اليمن في عهد المجاهد وغيره كنبرون تركناهم لأجل الاختصار وأغلبهم من مصر
وقد رسخوا في اليمن قواعد كتابة الانشاء وقوانينها حتى أصبح يتعاطاها جماعة
من أساطين الادب في اليمن ومن طريف ما يروى عن كتابة الانشاء في العصر
الرسولي ان الملك المظفر بعث برسالة الى الجبوظى سلطان ظفار بهده بالغزو
واستشهد في آخر الرسالة بقوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب) الآية ، فجاء كتاب الجبوظى بجواب شاف وفي آخرها قوله
تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا أمثا)^(٢) . وهذه الوظيفة قدمنا ذكرها لصلتها بما نحن بصده
من تاريخ الادب اليماني *

ويعدد العمري الوظائف الحكومية في عصر بني رسول فيحصرها في سبع

(١) الجندي : السلوك ص ٣٦٣ (مخطوطة كوبرلى) *

(٢) بامخرمة * تاريخ نجر عدن ص ٢١٠ *

وظائف هي : وظيفة النائب والوزير والحاجب وكاتب السر وكاتب الجيش ووظيفة ديوان المال وشاد الولاية^(١) وهي وظائف مختلفة • فأما وظيفة النائب فهي درجة كبيرة وغالبا ما يتولاها أحد كبار القادة العسكريين أو بعض أقارب السلطان وعمله يعدى كل اختصاصات السلطان الرسمية كالتوقيع على الاحكام وغيرها وكان يتولى هذا المنصب الهام في عهد المؤيد جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد وفي عهد المجاهد تولاه الامير عز الدين هبة بن محمد بن منصور • وتلبها في الدرجة مباشرة وظيفة الوزارة وبعضهم يخلط بينها وبين النيابة الا أنهم في البمن قد جسعوا بينها وبين منصب القضاء العام فخلطوا بين الحكم المدني والحكم الشرعي كما حدث في مصر عندما ولي القاضي عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن بنت الاعز منصب القضاء والوزارة في وقت واحد خلال القرن السابع الهجري وأول من جمع بين هذين المنصبين في اليمن الوزير القاضي بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني المتوفي سنة ٦٩٥ • يقول الخزرجي : « هو أول من جسع له الوزارة والقضاء بالبمن في الدولة المظفرية وبعده القاضي موفق الدين علي بن محمد يحيوي في الدولة المؤيدية والمجاهدية ثم القاضي وجيه الدين عبد الرحمن ابن علي بن عباس في الدولة الاسرفية »^(٢) ويذكر الجندي أن الناس كانوا يمتقنون القاضي بهاء الدين العمراني لجمعه بين هذين المنصبين^(٣) وما ترتب عليه من مفاسد وهذا الامر لم يحدث إلا في زمن المظفر وذلك لاقتناعه بكفاءة وزيره أو لأنه أراد أن يقلد حكومة مصر في ذلك الوقت بتولية قاضيها ابن الأعز الوزارة وكان هذا الوزير معاصرا للمظفر حيث توفي قبله بسنة واحدة^(٤) • أما في عهد والده المنصور فقد كانت الوزارة مستقلة عن القضاء وكان يتولى الوزارة في عهده القاضي الرشيد ذو النون المصري المتوفي سنة ٦٦٣ هـ وهو من بقايا رجال الدولة الايوبية

(١) مسالك الابصار ص ٤٩ •

(٢) الخزرجي : طراز اعلام الزمن ج ص ١٧٩ مكتبة كنج كوليج بلندن •

(٣) الجندي : السلوك ص ٤٦٢ •

(٤) الاعلام للزركلبي ج ٤ ص ٨٨

في اليمن وفد وصليها بصحبه الملك المسعود^(١) . ثم انفصلت الوزارة عن القضاء في اوائل القرن السابع بعد نكبة القضاة بني العمراني السهيرة في كتب التاريخ اليمني وهي حادثة تذكرنا بتلك التي وقعت للبرامكة في عهد الرشيد وسببها أن الوزير حسان بن أسعد العمراني اتهم بدس السم للملك المؤيد بواسطة أحد عبيده فأمر المؤيد بسجنه مع أفراد جماعته من بني العمراني بعد أن طالبهم بحساب أموال اليتامى وغلل الموقوفات خلال نظرهم في القضاء ولما لم يجيبوه بشيء أمر بهم الى عدن وبنى لهم سجنا على باب دار الولاية . وكان القاضي حسان قد سودر بنعز مصادرة سديده وضرب ضربا مبرحا هو وابن أخيه عمران بن عبد الله ابن أسعد حتى شفعت فيهم بنت أسد الدين زوجة المؤيد فأقاموا بتعز أياما ثم سكنوا سهفنة بعد أن رهن عبد الله بن أسعد ابنه عمران ورهن حسان بن أسعد ابنه محمد وبعد وفاة بنت أسد الدين قام المؤيد المجاهد بمصادرتهم مرة أخرى وقبض عليهم وهم في سهفنة وانزلوا الى عدن فطرحوا في سجن ضيق قد أحدثه لأجلهم ليس فيه نفس أبدا فأقاموا فيه ثلاث سنين وأربعة أشهر توفي خلالها القاضي حسان بن أسعد العمراني سنة ٧٠٨ هـ حتى قدمت أخت المؤيد من ظفار وشفعت لهم عنده فأمر بإطلاقهم من السجن على أن لا يخرجوا من عدن^(٢) . فهذا خبر مصادرة القضاة لبني العمراني ذكرناه لصلته بموضوع الوزارة الذي نتحدث عنه هنا .

والوزارة منصب هام في الدولة الرسولية له تقاليده الخاصة كرفع الدولة وعقد الطيلسان وركوب البغلة ذات الزنار^(٣) الى غير ذلك . ولا يكون توليها إلا بمنشور رسمي يقرى في (دار الضيف) أحد الدوائر الرسمية للدولة وهذا يدل

(١) تاريخ نجر عدن ص ٧٧

(٢) أنظر نعاصيل نكبة القضاة بني العمراني في السلوك ص ٤٤٢ وبهجة الزمن، ص ١٠٤ .

(٣) العقود الوثلوبة ج ٢ ص ٤٢٥ .

على أهليه هذا المنصب كما أسلفنا^(١) . وهناك وظائف حكومية أخرى لا نقل خطوره عن درجة النبابة والورارذ كأبابكبه العسكر وكان يتولاها في عهد المجاهد الشرف بن حياجر الى غير ذلك من مناصب حكومة حملت بها الدولة الرسولية^(٢) .

أما الوظائف الادارية فقد مر بنا منصب كتابة الانشاء وبعده نأبي في الاهبة مناصب العمال وولاة المجابي وبطلق عليهم الشداد وهؤلاء السداد هم أكثر رجال الدولة اتصالا بالشعب وربما قسا بعضهم على المزارعين ونأذت منهم الرعبة فيكتب أحدهم الى السلطان في أمر ذلك الوالى . وقد حدثنا الجندى في أكثر من موضع من تاريخه عن قسوة أولئك السداد وأذبتهم وقد أرسل أحد الشداد عسكره الى الفقيه الصوفي بدر بن أحمد الغبشي لأخذ ما عله من ضرائب

(١) وقد حدثنا صاحب تاريخ الدولة الرسولية المجهول. الكثير عن هؤلاء الوررا، وذكر منهم جمال الدين محمد بن حسان . تولى الوزارة سنة ٧٦٤ و توفي سنة ٧٧٣ (انظر تاريخ الدولة الرسولية ص ٢٨) .

ومنهم وحده الدين النظاري وزير الدولة الاشرفيه (المصدر نفسه ص ٤٠) .
ومنهم وجبه الدين عبد الرحمن بن عباس تولى الوزارة سنة ٧٨٧ ووفاته سنة ٧٩٠ (أنظر المصدر السابق ص ٤٣ و ٤٧) .

ومنهم أحمد بن عمر بن معبد (المصدر نفسه ص ٩٩) .
ومنهم جمال الدين بن محمد بن أبي بكر بن اسحاق توفي سنة ٨٣٢ .
ومنهم وجبه الدين عبد الرحمن بن علي بن حمص (المصدر نفسه ص ١٤٢) .
ومنهم أحمد بن ابراهيم المحالبي توفي سنة ٨٣٥ (ص ١٧٨) .
ومنهم يوسف بن أحمد العراف تولى الوزارة سنة ٨٣٨ (ص ١٧٦) .
وفد أخضع الظاهر الملك كافة موظفي الدولة لهذا الوزير بمنشور أصدره سنة ٨٣٨ بقول صاحب التاريخ المجهول ص ١٧٦ : «ورد المرسوم العالي على كافة القضاة والعمال والمشددين والكتاب وسائر الجند المنصور بالباب الشريف بأن يمسوا في خدمة مولانا سيد الوزراء سمس الدين يوسف بن أحمد العراف من الباب الشريف الى سنة تم أمر مولانا السلطان أن يكسب منشورا ويقرى على سائر المناظر بأنه وزير الوزراء والمقلد لأمر الدولة والدراو بنى جميعا في أعمال السمن وأن يرفع الناس حوائجهم اليه وكساه السلطان نصره الله وأنعم عليه وذلك نهار الخميس ١٢ ذي القعدة سنة ٨٣٨ » .
ففهم من هذا النص القيم كافة سلطات الوزير في الدولة الرسولية .

(٢) ومنها أبهم فسموا الجند الى عده أقسام كقسم سمي عبيد السلاح (انظر المصدر السابق ص ٨٧) . وقسم سمي عبيد الحنكة (نفسه ص ٨٤) وعبيد اللوى (نفسه ص ٨٧) والنفاليت ص ٩٢ . وأغلب هؤلاء طوائف منمردة من الجند يكون أفرادهم من الاجانب .

فوجدوه في مزرعته يحرق أرضه فجري بينه وبينهم منازعة انتهت بقتله^(١) .

ونادرا ما يتفقد السلاطين أحوال الشعب ويعبدون عنهم حيف الولاة والعمال وربما تحكم عامل صغير في رقاب مجموعة من الفلاحين وفرض عليهم ضرائب لم تأمر بها الدولة . وكان الملك المظفر « اذا اشتكى اليه أهل جهة عاملا من العمال أو كاتب من الكتاب عزله عنهم ولا يعيده . وهذا الملك نادرا ما يتكرر وجوده في الدولة الرسولية وقد بلغ من تحريره انه اذا وجد خراج جهة من الجهات زاد عن المعتاد سأل عن سبب ذلك فاذا كانت الزيادة من وسيلة ابتدعها العامل أدبه أدبا بليغا وصرفه عن ولايته »^(٢) .

وربما طلب عمال الدولة الرسولية من الفلاح المسكين أن يدفع في أوقات الغلاء وارتفاع الاسعار نفس المقرر الذي كان يدفعه في أيام الرخاء وهذا ما حدث سنة ٧٣٦ حتى تركت الرعية وادي زبيد وتفرقوا في أنحاء اليمن ووصل الخبر الى الملك المجاهد فطلب حضور جماعة من أعيان المزارعين وسألهم عن سبب هروبهم فقالوا : « اثنا نشكو من سعر ذي الحجة فقال السلطان وما سعر ذي الحجة قالوا صرنا نطالب بما يتوجب علينا للدولة من كل محصول في وقت الضرائب ووقت رخص الاسعار ولكنهم يطلبون سعر السنة الماضية وقت ارتفاع الاسعار وقلة الطعام فلا يأتي المد الا بعدة أمداد كثيرة والذي يجب علينا للدولة انما هو طعام من نفس مازرعناه أو ثمنه فهذا الامر الذي أضر بنا » فقال السلطان هذا

(١) النرجي طبقات الخواص ص ٤٤ والاهمل بحفة الزمس ج ٢ ص ٨٥ (مخطوط) . وما دمننا بصدد الحديث عن الشداد فلا بد أن نشير الى بعض أسماء هذا المنصب واسماء ولانابهم فقد ذكر صاحب التاريخ المجهول أسماء عدة منهم :
منشد الجلال السعيد تولاه عبد الرحمن العلام سنة ٧٩٣ (نفسه ص ٥٣) .
وبولاه القاضي رصي الدين أبو بكر أحمد بن معيبد (نفسه ص ٦٩) .
ومنهم منشد المتسدين تولاه سرف الدين اسماعيل بن عبد الرحمن العلوي سنة ٨٠٨ .

ومنهم منشد زبيد . تولاه احمد بن ابراهيم المحالبي سنة ٨٣٢ (نفسه ١٢١) .
ومنهم منشد المهجم تولاه جماعة منهم جمال الدين الطيب بن مكاش (ص ١٢٦) .
ومنهم منشد لحج بولاه وجيه الدين عبد الرحمن بن اسحاق سنة ٨٣٧ .
(٢) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٧٨ .

والله ظلم ببْن ولا لوم عليكم إذا هربتم»^(١) ثم أمر بكتابة منشور يلزم إنصاف الملاحين . على أن الضرائب على الفلاحين في العصر الرسولي لا تخضع لقاعدة واحدة وربما ألغى الحاكم الجديد ما سنه الحاكم السابق . ففي عهد السلطان الافضل سن ضريبة خاصة على « العطب » القطن فيأتي الاترف ويطلبها^(٢) وربما تزيد بعض الضرائب على أهل منطقة معينة وتسقط عن منطقة أخرى حسب هوى الملك كما فعل الاشرف سنة ٧٨٤ عندما خفف الضرائب على أهل جهات « المأوى والبقرين والريان ونابط وميرح والنقض والبداني »^(٣) وهي جهات في وادي زبيد وكذلك فعل مع أهل صبر

وقد وضع أحد علماء الدولة الرسولية^(٤) كتابا مستقلا في ضرائب الدولة الرسولية والاماكن التي تؤخذ منها الجبايات ومن خلال فصوله يتضح لنا أن الدولة الرسولية كانت تقسم المناطق التي تؤخذ منها الضرائب الى أقسام هي:

١ - قسم البلاد الجبلية وتحتوي على جهتين :

أ - الجهة الاولى وهي الجبل الاعلى وتسمى البلاد العليا وهي طولاً من شرقي حضرموت الى بلاد الطويلة وشرق ملحان غرباً وعرضا من حقل قتاب جنوباً الى بلد بيشه . وفي هذا الكتاب مبلغ ما يأتي من خراجها .

ب - الجهة الثانية وهي المعروفة باليمن الاخضر وهي مدورة النسل ولها من الاعمال الجهة اليحصية وريمان وبني سيف وبني شرجة الخ .

٢ - القسم الثاني البلاد السهلية وهي تهامة وتوابعها .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٢ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٤ .

(٤) هو الحسن بن علي الحسيني أحد كتاب الدولة الرسولية وكتابه سمي (ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب) يبحث حول نظام الضرائب والادارة في الدولة الرسولية وقد عثر على مخطوطته الوحيدة في اليمن وهي محفوظة بمكتبة ميلانو بإيطاليا .

٣ - القسم الثالث البلاد الساحلية والتي توجد فيها الموانئ •

وقد استعان الشداد في أخذ الجبايات بنظام الاحصاء بغية الحصول على ضرائب شاملة دقيقة وقد سنّ هذا النظام الملك الاشرف فكان يبعث كل سنة جماعة من الفقهاء يقومون بعد النخل بزييد ومن بعده سار على هذه الطريقة كل من تلاه من الملوك ففي سنة ٧٧٩ أرسل الملك الاشرف الثاني من يقوم باحصاء

النخل وكانوا في الغالب يقتصرون على احصاء النخل لان هذا النوع من الاشجار يتجدد من حين لآخر زد على ذلك أن النخل كان هو السلعة الجيدة في مجتمع زييد وقد حمل تقصي العداد للنخل ومضايقاتهم الزراع الى أن يتلف بعضهم نخله تجنباً لشركهم •

وقد حمل لنا الادب اليمني صوراً متعددة من تدمير الناس من أولئك الشداد فهذا الصوفي الكبير أحمد بن علوان يبعث برسالة حامية الى الملك المظفر يستنكر فيها استحداثه تلك الضرائب التي لم يأمر بها ديننا الحنيف ويقول في آخرها شعراً :

هذي تهامة لا دينار عندهم	ولحج أبين بل صنعاء بل عدن
فما ذنوب مساكين الجبال وهم	جيران بيتك في الاخلاق والسكن
والأضعفون فما يقتات أجزلهم	الا بما جرت المسحاة والحجن
فانظر اليهم فعين الله ناظرة	هم الامانة والسلطان مؤتمن
عار عليك عمارات متسيدة	وللرعبنة دور كلها دمن
لا تفخرن بجمع المال كيف أتى	حاشاه عقلك عقل راجح زمن

أما ابن المقري فانه يبعث بقصيدة الى الملك الناصر أحمد بن اسماعيل يسكو على لسان أهل زييد مشدداً قال له ابن الزنول :

هم الرعايا العبيد الطائعون هم	وأنت أنت المطاع السيد الملك
فلا تكلمهم الى من ليس يرحمهم	ولا يرى هلكهم أمراً به درك

وكب مرة أخرى على لسان أهل لحج بشكو فيها من أحد العمال :

رعية لك في لحج بصرت بهم لهم وجوه تقاها ظاهر فيها
تندى حياء وتحميتها سكينها عن التكلم فيما ليس بعينها
يشكون من كاتب يغري بسلبهم نعماء أنت بحمد الله كاسيها

وما دنا بصدد الحدث عن وظائف الدولة فلا بد أن نقف عند القضاء وهو درجة عالية من الوظائف الحكومية تأتي في الأهمية بعد الوزارة وقد جمع بعضهم بينهما لعظم المنصين . وقد كان القضاء في اليمن هو الوسطة الوحيدة بين جماعة الفقهاء ورجال الدولة وغالبا ما كانوا يتورعون عن مخالطة الحكام والامراء لأسباب تعود الى سلوك أولئك الناس من التهاون في أمور الدين وظلم الناس حتى أن الجندي مع انخراطه في سلك وظائف الدولة نجده يحرص كل الحرص على عدم مخالطة الامراء واصحاب الدواوين وربما وصفهم بشرب المسكر وعدم المبالاة بحقوق الناس وهذا عام في سائر الفقهاء والعلماء المعاصرين للجندي في القرن السابع .

ولما كان القضاء له صلة وثيقة بالدولة كان من الصعوبة بمكان أن تحصل الدولة على فقهاء يتولون هذا المنصب الهام إذ الصعوبة منهم لا تكاد تستجيب لمطالب الدولة في تولي هذا المنصب الهام حتى ان كثيرا من الفقهاء أكره على تولي هذا المنصب والبعض منهم هرب من البلاد خوفا من تكليفه بهذا العمل . . بل بلغ التورع ببعضهم أن أثر السجن على تولي القضاء^(١) والذين تولوا القضاء كانوا على حذر كبير حتى انهم اعتبروا هذا المنصب من المحن الكبيرة التي أصيبوا بها ولهذا نجد الكثير منهم قد وقعوا تحت أعباء ديون باهضة نتيجة التحري في ارجاع الاموال لأصحابها والتدقيق في القضايا الوراثية^(٢) . وكان من أكبر الفقهاء الذين تولوا هذا المنصب الخطير الفقيه

(١) العقود للؤلؤة ج ١ ص ٧٠ .

(٢) السلوك ص ٢٨٠ .

العلامة اسماعيل بن محمد الحضرمي وكان الملك المظفر قد ولاه القضاء العام فقام بذلك أتم قيام وكان لابولي أحدا القضاء في المناطق الا من تحقق صلاحه وورعه • ويقال أنه عزل نفسه عن القضاء لما رأى الملك المظفر تساهل في إبطال الخمر وكان دائما مايكتب الى المظفر في خزف شقف (يا يوسف كثر شاكوك فقل شاكروك فإما عدلت وإلا انفصلت)^(١) • ومن سدة تحريه أنه وجد عند أحد من ولاد القضاء ثيابا فاخرة وأشياء لم يكن يعهدا عنه من قبل فسأله عن ذلك فقال هذا من بركاتك يا أبا الذبيح فقال ذبحني الله ان لم أعزلك • فُعزله واعتزل عن القضاء خلافا للرواية السابقة •

وقد قام القضاء في اليمن كهيئة مستقلة ليس للدولة دخل فيها الا من خلال تطبيق الاحكام • وربما حدثت بعض المصادمة بين صغار الامراء والقضاة فتدخل الدولة لصالح القضاء كما هو الحال في الحادثة التي ذكرها الخزرجي في حوادث سنه ٨٠٠ يقول : وفيها اخنصم رجلان عند والي زبد فطلب أحدهم حكم الشريعة المطهرة فمنعه الوالي من ذلك فاستغاث بحاكم الشريعة فعجز عن استنقاذه فكذب القاضي الى السلطان بتسكو من الوالي تعديه على حكم الشريعة فأمر السلطان حينئذ من تقدم الى الوالي وأخرجه من سه الى بب حاكم الشريعة ثم تقدم السلطان الأشرف وشتهم الوالي ووبخه توبيخا سديدا^(٢) • وهذا يدل على إعزاز السلطان للقضاء والشريعة •

ويقوم القضاء في الغالب على نظام تسلسلي يبتدي من القاضي العام أو قاضي القضاء وهو بدرجة وزير العدل الآن الى صغار القضاء الموزعين في سائر المناطق اليمنية على مختلف انحاءها وقد تولى ولاية القضاء العام في الدولة الرسولية جماعة من المسؤولين وهم :

١ — أبو الذبيح اسماعيل بن محمد الحضرمي المتوفى سنة ٦٧٥ •

(١) الشرحى طيفات الخواص ص ٧٤ •

(٢) العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٣٠٢ •

- ٢ — بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني المتوفى ٦٩٥ •
 - ٣ — محمد بن أحمد بن محمد اليجوي المتوفى ٧١٢ •
 - ٤ — رضي الدين ابو بكر محمد بن أحمد بن عمر بن الاديب المتوفى ٧٢٥ •
 - ٥ — محمد بن احمد اليجوي المتوفى سنة ٧٢٧ •
 - ٦ — علي بن أحمد الجنيد المتوفى سنة ٧٥٣ •
 - ٧ — عبد الاكبر بن أحمد الجنيد المتوفى سنة ٧٥٤ •
 - ٨ — محمد بن أحمد بن صقر الدمشقي المتوفى سنة ٧٨٥ وهو أول من تولى منصب القضاء العام من العلماء الواقدين الى اليمن •
 - ٩ — جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي المتوفى ٧٩٢ •
 - ١٠ — ثم ظل منصب القضاء العام شاغرا حتى قدم الى اليمن العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي سنة ٧٩٦ فأعطي منصب القضاء واستمر فيه حتى وفاته سنة ٨١٧ •
 - ١١ — أحمد بن أبي بكر الرداد المتوفى سنة ٨٢١ ولي القضاء نحو سنة • وكان يطمع في تولي هذا المنصب اسماعيل بن أبي بكر المقرئ فلم يتم له ذلك •
- فهؤلاء مجموع من تولى منصب قضاء الاقضية في الدولة الرسولية ويتلوهم جماعة من صغار القضاة تولوا الحكم في بعض المدن اليمنية ويكون توليتهم في الغالب باشراف قاضي القضاة وفي بعض الاماكن النائية التي يقل فيها العلماء وحكام الشرع يكون البت في قضايها بالتصالح لعدم وجود من يحكم بينهم وهذا ما يسميه الجندي الحكم بالتراضي^(١) وله أصل من العادات والتقاليد السائدة بين القبائل حتى ان ابن المجاور في القرن السابع يعمم هذه القاعدة على

(١) السلوك ٣٤٦ •

سائر أهل اليمن والحجاز^(١) ويطلق عليها اسم (المنع) وهو نظام يكون حسب الاعراف السائدة بين الناس وقد بقي من آثار هذا النظام بقية حتى زمن الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ وقد حمل عليه في كتابه (العدو الصائل) وأطلق عليه اسم (حكم الطاغوت) •

وقد خصصت الدولة لمرتبات القضاة والمدرسين الجزية المأخوذة من اليهود وقدرها نحو ١٥ دينار^(٢) على كل فرد لكن هذا المرنب غير كاف لسد حاجات القضاة مما اضطر بعضهم الى أن يشتغل بالزراعة بجانب القضاء وبعضهم تورط في الديون الكبيرة • أما صغار الكتبة فقد لجأ بعضهم الى أخذ الهدايا من المتحاكمين فيأخذ الموظف على كتابة السجل نحو خمسة دنانير وعشرة أخرى باسم القاضي^(٣) وهذا يكون في زمن انتشار الفوضى وتخاذل الدولة ، والا فالقضاء في اليمن قد احتفظ لنفسه بصحفات بيضاء خالدة فهذا الفقيه عمر بن أبي بكر الهزاز المتوفى سنة ٦٤٤ كان قد ضرب للناس المثل الاعلى في ورعه ونزاهته وكان من عادته اذا مات أحد من الناس أعلن عن تركته ومخلفاته في جامع تعز زيادة في التحري والورع وكان الفقيه محمد بن علي بن أبي الخل لما ولي قضاء الاقضية باليمن في عهد المظفر رفض أن يقبل مرتبه الشهري وانما كان يصرفه في الانفاق على المصادر بن وصغار الكتاب • ومن القضاة في ذلك الوقت من حكم على السلطان في قضية مشهورة^(٤) •



(١) ابن المجاور : المستبصر ٩٩ •

(٢) السلوك ص ٢٩٣ •

(٣) المصدر السابق •

(٤) تاريخ البرهني حبيب يذكر قضية مشرفة للفقيه محمد بن أبي الخطاط قاضي تعز •

حياة المجتمع

يذكر ابن الجاور في القرن السابع عن أخلاق زبيد أنها أقرب الى الرقة واللفظ فهم يميلون الى الملابس النظاف والمراكب الوطيئة وشم الطيب ويقول ان معظم رجالهم يتغابون في حديثهم ويتميلون الى غير ذلك^(١) وقد اكتمل في مدينة زبيد كل مقومات المجتمع الكامل وهم يشبهون في ذلك أهل مصر كما وصفهم المقرئزي *

وقليل من المؤرخين من رصد أخلاق المجتمع اليمني في ذلك الوقت وعاداتهم * وفي التنف القليلة التي ذكرها ابن الجاور - على الرغم من مبالغاته - نستطيع أن نتعرف على كثير من العادات والتقاليد التي جهلها التاريخ فقد حدثنا عن عاداتهم في الزواج وطريقة بيعهم وشرائهم وعاداتهم في المأكول والاسماء والالقب وغير ذلك وفي القرن الثامن رصد المؤرخ عبد الرحمن ابن محمد الحبشي أخلاق أهل بلدة وصاب فحدثنا كثيرا عن المجتمع في ذلك الوقت وقد تميز أهل وصاب بإكرام الضيف حتى « الفقير منهم فأنه يحب الضيف ولا يتضرر من اكرامه مع فقره بل يرهن من عقاره أو يبيع من ماله ما يقري به ضيفه ويألف من تقريب القليل ويؤنس الضيف بكثرة الترحيب»^(٢) * ومن جملة أخلاقهم حرصهم على المروءة والشرف فان الرجل يفضل أن يقتل ولا أن يثضب أمام باب السلاطين وربما قدم للسلطان كل ما يملك على أن لا يهان

(١) المستبصر ص ٧٠ *

(٢) الحبشي ص ١٠ الاعتبار في التاريخ والمآثر (مخطوط) *

أمام الناس وكان الرجل منهم اذا خلف وعدا ونكت عهدا أسموه أعيب ويصاح عليه في الاسواق بذلك ويعم عاره كل أقاربه فلا يجبر ذلك العار الا أن يجمع كل مامعه من الانعام ويذبحها أمام منزل الشخص الذي نكت عهده ويسمون ذلك « إنصافا »^(١) . وحتى في زمن الحبشي في القرن الثامن لا يوجد من يشرب الخمر في وصاب « فلا يعرف الخمر بها ولا أعلم أحدا منهم شربه بل لا يوجد بها مخمارة واحدة »^(٢) .

وربما أورثت وصاب من يسكنها الرقة « فأهلها رقاق القلوب ومن أقام بها من غير أهلها وجد في قلبه حالة لم يعهدها قبل اقامته فيها من الخشوع ورقة القلب »^(٣) كما نسير أهل مدينة عتمة بالذكاء المفرط وبخلافهم أهل البان من مدن وصاب حتى بلغ الأمر بأحدهم أن يصعد الجبل ويسدد بسهمه الى القمر لبصيده ويحكى عنهم أنهم رأوا القمر في بئر فظنوا أنه في أسفلها بين الماء^(٤) الى غير ذلك من النوادر الكثيرة التي تروى عنهم .

وكان أعنى ما يصاب به المجتمع في ذلك الوقت هو ثورات القبائل والتنافس بينها وربما دخلت بعض القبائل المدن المسالمة وعملت فيها النهب والسلب حتى كاد يضمحل الامن والاستقرار ويحتمي الناس في بيوتهم^(٥) . واذا كانت الدولة قوية فالامر على خلاف ذلك فحين كانت الدولة قوية في حضرموت كان ملكها السلطان عبد الله بن راشد الحميري يفتخر على سواه من ملوك اليمن بأن في مدينته تريم (ثلاث خصال تتميز بها : لا يوجد بها حرام ولا يوجد فيها سارق ولا يوجد فيها محتاج)^(٦) . ولكن سرعان ما يختفي ذلك الحاكم الحازم فتضيع البلاد تحت تنازع القبائل وربما قامت بعض القبائل بالغزو المسلح لبعض القرى الآمنة وتخويف أهلها .

(١ و ٢ و ٣ و ٤) . الاعتبار في التاريخ والمآثر (خ) .

(٥) طراز أعلام الزمن ص ١٦٢ والسلوك ص ٢٩٦ والمسننصر ص ٦٢ .

(٦) انباء الزمن ص ٣٢٠ .

وإذا خرجنا من دائرة الحروب سنجد المجتمع البمني في المدينة قد شهد تقدما ملموسا في التجارة والحياة المعيشية حتى زاحم الاغنياء بفصورهم قصور السلاطين والامراء ويكون في قصر الواحد منهم (حاشية من العبيد وعدد صالح من الاماء وعلى بابة جملة من الخدم والعبيد والخصيان من الهند والحيشة)^(١) .

كما أنهم تفننوا في صناعه الأطعمة حتى إنه بطبح في منزل الرجل منهم عدة ألوان من الطعام «ويعمل فيها بالسكر والقلوب وتطيب أوانيها بالعطر والبخور»^(١) وقد عدد الخزرجي من أنواع الحلوى المصنوعة في وقته عدة أصناف^(٢) .

كما كثرت الاعياد الرسمية والنزه وكان الناس يرتادون في النزه بستان (ثعبات) وبستان (الراحة) في زبيد والبستان الشرقي وغيرها من النزه ويقول من شاهد بستان ثعبات : إنه يحتوي على قبة ضخمة فرشت بالرخام الملون وبه عدة أعمدة يجري فيها الماء « الخ ».

وكانت تسلية الصبد هي النزهة المفضلة عند ملوك بني رسول وربما شارك بعض ملوكهم فيها كالملك الاشرف الذي قام برحلة صيد سنة ٧٩٧ وصاد مجموعة من حمر الوحش^(٣) . وقد اشتهر في هذا التاريخ نزهة « السبوت » حيث كان يخرج أهل زبيد الى ناحية النخل ويشاركونهم في ذلك . (الصغار والكبار بالطليل والزمر . بعدما يلبسون جملا عدة تامة من الاجراس والقلاقل ويشد على رقبتة بالخیوط المزركشة)^(٤) ويخرج في هذه النزهة النساء وهم في

(١) العمري . مسالك الابصار ص ٥٥ .

(٢) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٣٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٢ وانظر السمط الغالي اليمن ففيه الكثير من ذكر رحلاتهم الى الصيد . بل بلغ الامر بملوك الدولة الرسولية في حبهم للصيد أن يضع أحد العلماء القادمين الى اليمن وهو الفقيه يعقوب بن اسماعيل المطماطي كتابا للملك المؤيد في الصيد بعنوان (نزهة الملوك الاخيار في الاقتناص بأنواع الاطيار) انظر كتاب انتهاز الفرس في الصيد والقنص لحمزة بن علي الناشري الذي سنقوم بنشره في القريب العاجل .

(٤) المستبصر ص ٨٠ .

سُرب ولعب وقصف ورقص • ولقد استنكرها جماعة من العلماء المتمسكين ودعا ففهمهم الى تركها بقوله :

تجنب عن زييد ولا تطاها ولا تغررك يا ابن أخي زييد
فمي يوم السبت نرى مساوي أتها يوم سبتهم اليهود

بل زعم المؤرخ يحيى بن الحسين أنه خرج بسبب هذه النزهة من زييد وحدها نحو سبعاثة ببت من الفقهاء وأهل النجدة والحمة ، وكان المجدد لهذه النزهة بعد اندثارها الملك المؤيد داود بن علي بن يوسف المتوفى سنة ٧٢١ وقد عدت من مساوئه وأنها (أعظم بدعة في الاسلام وحقيقتها على ما يذكره المؤرخون أنه كان يخرج الملك بعسكره من زييد الى النخل في يوم السبت ويأمر أهل زييد بالخروج معه بنسائهم فتقع هناك مفاسد عظيمة واختلاط فاحش وسماع وطرب) (١) •

ولس بأيدينا تحديداً لبداية هذه النزهة في اليمن الا أن أقدم من ذكرها من المؤرخين هو ابن المجاور في القرن السابع الهجري ويذكر يحيى بن الحسين ان ابتداءها كان في زمن الأشرف سنة ٦٩٤ وأنه سبت في احدى السنوات فخرج معه نحو ثلثمائة محمل في كل محمل سرية (٢) •

وبجانب هذه النزهة الشهيرة تأتي عدة احتفالات رسمية واخرى دينية وقد ساهم فيها الادب والادباء مساهمة فعالة فقد شارك الادباء بصفة رسمية في بعض الاحفالات التي تكون لمناسبات خاصة بالدولة كالاتهاء من بناء أحد القصور السلطانية أو الاحتفال ببعض المناسبات الدولية •

ومن أشهر الاحتفالات الرسمية التي عنيت الدولة بها ذلك الاحتفال الذي أقامه الملك الأشرف بمناسبة ظهور بعض أولاده (٣) •

(١) عانة الاماني ص ٤٩٤ •

(٢) العهود اللؤلؤيه ج ١ ص ٢٩١ •

(٣) وفد أطيب الخرجى في وصف ما نذل فيه من أموال واستعدادات من ذلك

ومن الاحتمالات الكبيرة الاحتفال بالاعياد الدينية كعيد الاضحى وعيد الفطر والاحتفال بأيام النشيع في رمضان وهو عبارة عن اجتماع علمي يقيمه الملك الرسولي بعد الانتهاء من الافطار ويحضره جماعة من الاعيان والعلماء وربما جرت في هذا الاجتماع مناقشات علمية وأدبية بين الحاضرين فينقسم الادباء فيما بينهم الى قسمين ويكون الملك في موقف المحاييد وقد ذكر الخزرجي صورة مما كان يدور في تلك المجالس من مناقشات من ذلك أن الادباء انقسموا فيما بينهم الى قسمين في تفضل العنب والنخل (أيهما أفضل من صاحبه فحصل الاجتماع بتفضيل الرطب على العنب من فقهاء تهامة وأمرائها وكان القائلون بتفضيل العنب على الرطب فقهاء الجبال وأمراءها وفد أسند أهل الجبال أمرهم الى الفقيه صفي الدين احمد بن موسى التعزي وأسند أهل تهامة أمرهم الى الفقيه شرف الدين اسماعيل بن أبي بكر المقرئ^(١) .

وهناك احتفال آخر له صلة بالمناسبات الدينية وهو الاحتفال بعودة الحاج والابتهاج بقدومه باقامة المداره والتغني بفضله فيقيم أصحاب الشراء أعوادا كبيرة على شكل مراجيح فبتوسطها الحاج ويقوم الشعراء بين يديه بالمدائح والقصائد فيكافئهم صاحب الحفل بجوائز جزيلة^(٢) .

وفي بعض الأحيان تقام المداره لغير المناسبات الدينية ويتشاركها في ذلك آلة أخرى تسمى (الطلعات) أشبه ما نكون بعربة تجرها عجلات من الخشب^(٣)

=
انه بعث الى بعض الجزر لشراء ماتدعو اليه الحاجه من الطبر والحبان والحنطة والسمون والعسل والارز ومن الرمان والعدس الى غير ذلك وفي شهر شوال من سنة ٧٩٣ طلب الاشرف صنّاع الحلوى فاشتغلوا منها أنواع كثره منها المشبك والقرعة والقاهرة والسيرزيه والخسخابية والقابذ الى غير ذلك ، وقد حصر كل اعيان الدولة والفقهاء وعامة الناس وشارك فيه بعض الادباء (العمري ج مسالك الابصار ص ٥٦) . وتلك صورة مما كان نعام في بعض الحفلات الرسمية من نذخ ومظاهر وهي كبيرة جدا .

(١) المصدر السابق ج ص ٢٦٣ .

(٢) تاريخ نعر عدن ج ٢ ص ٢٤٥ وانظر السلوك .

(٣) العقود اللؤلؤة ج ٢ ص ٧٣ و ٧٤ و ٢٤٠ .

واحتفل الناس في ذلك الوقت بالرجبة وكان الملك المصور يأتي بنفسه الى الجند لأداء صلاة هذه المناسبة العظيمة عند أهل اليمن^(١) .

وعلى العموم فان الدولة الرسولية قد تفتنت في اقامة النزه والحفلات وشارك في ذلك ملوكها حتى ان الملك منهم كان (يشتي بزييد ويصيف بتغز) ، في حين كانت أوقاتهم (مفصولة على لذاتهم والخلوة من خطابهم وخاصتهم من الندماء والمطربين)^(٢) .

أما الناس فلهم شأن آخر وتتفاوت حياتهم بين اليسر والعسر وان كنا نجد في المجتمع في ذلك الوقت ما يشبه التكافؤ الاجتماعي لاعتمادهم على الزراعة في أغلب الاحيان حتى انغمس في العمل بالزراعة سائر فئات المجتمع بما فيهم العلماء وبعض الامراء الا أن هؤلاء انحصروا نفوذهم في الزراعة من خلال السيطرة على مناطق شاسعة من الاراضي الزراعية حصلوا عليها من الدولة الرسولية . وقد أرادوا أن يستثوا في أول الأمر نظاما إقطاعيا يشبه ذلك النظام الذي أحدثه المماليك في مصر والذي يعتمد على تسخير جماعة من الفلاحين لزراعة الارض لصالح الامير لكن هذا النظام سرعان ما انتهى بالفشل لأن أكثر الفلاحين كانوا من أفراد القبائل المسلحة فلم يستطع الامير فرض سيطرته عليهم ، وفشل نظام الاقطاع في اليمن فشلا تاما بخلاف ما هو مطبق عند معاصريهم في مصر وبعض بلاد الشام . ويبقى كل نفوذ الدولة على الفلاحين في أخذ الجبايات السنوية فقط . وحتى هذا الامر لم يتأت تماما للدولة فقد ذكر المؤرخ الحبشي في تاريخه أن عرب « حصن نقذ » من بلاد وصاب « لا يسلمون لواليهم مالا وليس عليهم خراج في أرضهم إلا في موضعين منها ولم تجر عليهم يد السلطان إلا في مدة قصيرة »^(٣) .

(١) السمت الغالى النمس ص ٢٣٣ .

(٢) العمري : مسالك الابصار ص ٥٦ .

(٣) الحبشي : الاعتبار (مخطوط) .

أما في البلاد المسالمة فالامر بخلاف ذلك ، ففي وصاب نفسها كان الرجل من أهل ظفران غالبا مايتموت فقيرا «وذلك لكثرة مايجور عليهم الولاة والظلمة»^(١) .

ولهذا السبب وغيره كان الناس كثيرا مايثورون على الدولة وربما قام أحد الثوار من بينهم ودعا الى أخذ حقوق السعب من الدولة فقد حدثنا المؤرخ الحبيشي عن واحد من أولئك الثوار وهو شخص عرف باسم الشريف كان قد ظهر في قرية « هرورده » من أعمال حصن النرف بوصاب ودعا الناس الى الوقوف ضد عمال الملك المنصور بعد أن جاروا فوقف معه سمانون رجلا وتمكن بهم على الرعم من فقره من أخذ قرية الحمرا والسدة ووقف معه الناس « لما كان قد نالهم من الظلم والجور من الوالي »^(٢) ثم أخذ المصنعة والجيب وعبرها من قرى وصاب وقام ببناء دور صغير للرعية حتى « ولوه عليهم فلم بأخذ منهم شيئا الا مايقوم بكفاية العسكر لاغير »^(٣) . ومن أمثلة هذا الرجل كثير من الثوار لعل آخرهم حسب علمي الفقيه سعيد ياسين في القرن الثالث عشر الهجري .

ومع ذلك فربما قام أفراد القبائل بالثورات المتتابعة على الحكومة وفد حدثنا صاحب تاريخ الدولة الرسولية المجهول عن ثورات كثير من القبائل التهامية كقبيلة الاشاعر والمعازبة والقرشين والجحافل وغيرهم وكانت الدولة تقوم بتجريدتهم من السلاح والخيول^(٤) في أوقات هدوئهم .

أما المماليك وهم مانسميهم بالامراء - فقد جاؤوا مع أول ملوك الدولة الرسولية الذي يقال :انه استكثر منهم حتى بلغت مماليكه البحرية ألف فارس يحسنون من الفروسية والرمي ما لا يحسنه مماليك مصر^(٥) . وأغلب الظن أن

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ص ٥٧ و ٧١ و ٧٨ و ٧٣ و ٨٣ و ٩٢ .
الى غير ذلك طبع اليابان سنة ١٩٧٦ م .

(٥) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٢ .

الملك الرسولي قد أراد من الاستكثار بهم أن تكون له عصبية قوية يفارع بها العصبية المحيطة به في اليمن من قبل تكتلات القبائل حوله وكأنه في هذا المسلك ينهج أسلوب حكام مصر المعاصرين له على أن حتف هذا الملك سيكون على أيدي هؤلاء المماليك كما مر بنا . وهؤلاء المماليك من أشرس خلق الله وقد أرادوا أن بسخروا الشعب لأهوائهم لولا أنهم وجدوا مجتمعا صلب المراس لا يخضع للضيم وهم دائما لا يزالون في حروب معهم حتى أحمدهم العرب سؤقتهم ونادرا ما يخرج مملوك من أبواب زبيد دون أن تتعرض حياته للخطر^(١)
الا أنهم في المدن قد شكلوا طبقة ثالثة بعد طبقة الحكام لها نفوذها الكبير في البلاد ولم يحد من شأنهم الا سقوط الدولة الرسولية في القرن التاسع وقيام دولة عربية تعتمد في حميتها على الشوكة العربية فتلاشى شأن المماليك وهرب أكثرهم الى الحجاز .

وفي المدن يتباين الناس وتتعدد طبقاتهم فأولهم بعد طبقة الملوك طبقة الامراء ولم يكن هؤلاء الامراء جميعهم من بيت الملك وانما يدخل فيهم جماعة من المماليك والرؤساء المقربين للسلطان ويحمل للامير في الغالب شعارات التعظيم والسيادة كدق الطبل والمرافقة له بالحرس وقد كرمت الدولة كثيرا منهم بواسطة الاقطاعات الهائلة التي تعطى لهم وربما بلغت هذه الاقطاعات قرى بأكملها^(٢) ويأتي بعدهم في المرتبة طبقة المشايخ أو رؤساء القبائل ونفوذهم يكون خارج المدن الكبيرة ويتحكمون في أفراد القبائل التابعة لهم ويغلب عليهم البساطة والسذاجة لذا فان الدولة كثيرا ما أوقعت بهم بواسطة الحيلة^(٣) ومن رؤسائهم

(١) والى ذلك يشير ابن المقري فيقول مخاطبا الظاهر :

وصي بقلهم القبائل بعضهم بعضا لكي يجدوا لديك منالا

(٢) انظر على سبيل المثال العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٦٨ و ٣٠١ و ٣١٨ وغيرها .

(٣) العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ١٠٩ .

في ذلك الوقت من أرسل أتباعه لإخافة السبل وظلم الرعية انتقاما من الدولة •
وبجانب تلك الطبقات العسكرية يأتي سائر أفراد الشعب وأغلبهم من
الفلاحين والحرفيين والعلماء ولكل من هؤلاء الناس أزياء خاصة بهم فعمامة أهل
الارياض يلبسون قمصانا كبيرة الجيوب ونعالا عربية ضخمة ومهم من يحرص
على إطالة شعره ولا يغطي رأسه إلا نادرا^(١) • وأما الامراء والعسكر فانهم يلبسون
أقبية اسلامية ضيقة الاكمام مزودة اليدين وأحزمة وعلى رؤوسهم أغطية تسمى
تخافيف تكون على شكل عصا (لفائف) وليست بعمامة وفي أرجلهم دلا كسان
وهي أخفاف من القماش والحرير الاطلس^(٢) أما العلماء فغالبا يلبسون العمام
والشاش والملاحف^(٣) •

وللنساء زي خاص بهن فعند الخروج تستعمل المرأة في الغالب نوعا من
الملابس يسمى جوخه وتضع على رأسها طرطورا ثم تتغطى بملاءة^(٤) ومن أزيائهن
نوع من الاغطية يوضع على الرأس يسمى مصون^(٥) •

ويوجد باليمن في ذلك الوقت أقلية دينية من اليهود الذين كانوا يستوطنون
قرى بجانب قرى المسلمين وكان أكثر وجودهم في مناطق الجبال المحاذية لتعز
وعدن • أما في المدن الكبيرة فقد كانت لهم أحياء خاصة وقد اندمج بعضهم
بأفراد الشعب من المسلمين وتولى وظائف حكومية هامة كالنظر في أموال المينا
بعدن وغيره ومنهم من احترف مهنا كالطب وبعض الصناعات اليدوية حتى كان
للوحد منهم المراكب الفارهة والعلمان الحسان مما لا يحصى به سائر أعيان
البلاد^(٦) وكانت عدن وتعز تغص بالعديد من كنائس اليهود فيسمع لأصوات

(١) السلوك ٣٢٠ •

(٢) العمري مسالك الابصار ٥٢ •

(٣) السلوك ٣٢٠ •

(٤) السبط الغالي التمن ص ٢٩٥ •

(٥) تاريخ البريهي ص ٣١٤ •

(٦) تاريخ البريهي ١٢٦ •

المصلين بها زجل عظيم يؤذي المسلمين وربما قام اليهود ببناء كنائس جديدة في تعز فيقوم بهدمها بعض العلماء والانكار عليهم^(١) .

أما النساء فلهن شأن كبير في العصر الرسولي ويكفي أن تعلم أن المرأة قد تولت الزعامة بأقصى درجاتها حتى ندرك أهميتها وقد ساست المرأة الرجال وتصدرت المحافل حتى أن قبيلة المعازبة المعروفة بشكيمتها قد ولت عليها مرأة عرفت بينت العواطف أحلوها محل الشيخ لهم فكانت (تركب دابة أو ناقه ونقود المعازبة في المعارك بأسرهم فكان السلطان يكسوها كما بكسو مشايخ القبائل)^(٢) وقد حفظت الدار الشمس ابنة الملك المنصور ملك اليمن بعد مقتل والدها لمدة أيام حتى قدم أخوها المظفر .

وقد اشتهر منهن في ذلك العصر جماعة من عقيات النساء عرفن بخدمتهن الاجتماعية — والاصلاحية نذكر منهن :

١ — الدار الشمس ابنة المنصور عربن علي الرسولي وكانت من النساء الحازمات ولما قتل والدها ولم يكن أحد من أقاربها موجوداً شمريت وبذلت الأموال للرجال وحفظت زيبى حتى وصل أخوها المظفر من المهجم وكانت هي السبب في الاستيلاء على الدولة ولها من المآثر الخيرية المدرسة المعروفة بالشمسية بذي عدينة من تعز ومدرسة بزيبى وغيرها . توفيت سنة ٦٩٥ هـ .

٢ — آمنة بنت اسماعيل النقاش من الحازمات حفظت الملك بعد عياب ابنها المجاهد في مصر وأخمدت الأمور بعد أن أوشكت أن تقوم ثورة ولها من المآثر الخيرية مدرسة في المحالب وأخرى بقرية السلامة وأنشأت خانقاه بزيبى الى غير ذلك توفيت سنة ٧٦٢ هـ .

٣ — أم الملوك جهة الطواشي جمال الدين فرحان لها من المآثر الخيرية مدرسة في زيبى وأخرى في تعز ولحق توفيت سنة ٨٣٦ هـ .

(١) السلوك ص ٣٣١ .

(٢) العقود اللؤلؤة ج ٢ ص ٦٩ .

٤ - بنت أسد الدين محمد بن الحسن الرسولي زوجة الملك المؤيد وكانت تنوسط في الشفاعة لعامة الناس ولها محاسن متعددة توفيت سنة ٧٠٤ •

٥ - الجهة المعتبية وكانت امرأة حليلة عميفة لها مدرسة بتعز توفيت سنة ٧٩٦ •

٦ - الدار الفاسي نسبة الى الطواشي كمال الدين فاتن بن عبد الله الطواشي كانت من النساء الكاملات وكان المجاهد يجلها ولها من المآثر مسجد كبير في زبيد توفيت سنة ٧٦٨ •

٧ - الدار النجمي كانت من الصالحات وكانت تهتم بتفقد أحوال الطلبة لها مآثر كبيرة استقصيناها في كتابنا معجم المرأة اليمنية • توفيت في القرن الثامن •

٨ - دهماء بنت يحيى المرتضى لها مؤلفات علمية في الفقه توفيت سنة ٨٣٧

٩ - صفية بنت المرتضى من العالمات لها بحث في الفقه توفيت سنة ٧٧١ •

١٠ - ماء السماء بنت الملك المظفر كانت من النساء الفاضلات لها المدرسة

الواثقية بزبيد توفيت سنة ٧٢٤ •

١١ - مريم بنت العفيف زوج الملك المظفر الرسولي كانت من العاقلات

لها عدة مدارس أنشأتها في زبيد وتعز وتعرف بمدارس مريم توفيت سنة ٧١٣ •

١٢ - نبيلة ابنة الملك المظفر أنشأت عدة مدارس علمية توفيت سنة ٧١٨ •

وأخريات استقصيناهن في كتابنا (معجم المرأة اليمنية) فتراجع هناك •



الحياة الدينية

عاش أهل اليمن حياة دينية كاملة ، ومن يتأمل ماكتبه الجندي عن صوفية اليمن يجد القوم قد اندمجوا في عبادات ورياضات شاقة تقف عندها الهمم الكبيرة فالواحد منهم ربما صلى صلاة الصبح بوضوء العشاء لم يرقد خلالها^(١) ومنهم من كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة ، ويصوم كل أيام السنة ، سوى الايام المكروهة^(٢) ومنهم من كان يختم القرآن كله في يوم واحد . وهكذا تكثر عبادات أهل اليمن في ذلك الوقت . وكان الشيخ الصالح طلحة الهتار قد مكث خمس عشرة سنة لا يفطر الا أيام العيدين ولا يخرج من البيت الا لصلاة الجمعة^(٣) . ولو توسعنا في ذكر عباداتهم لخرج بنا المقام ، ونكتفي بما ذكرنا للتدليل على انهماكهم في طاعة ربهم ومع ذلك لم تكن كل حياتهم في العبادة وحدها ، فقد تحسس الصوفية مشاكل الناس حولهم وحاولوا التعبير عنها بتسجاعة أمام الحكام من ملوك بني رسول ومن يتأمل ما كتبه الصوفي الكبير أحمد بن علوان الى الملك المظفر يجد مصداقا لما قلناه ففي هذه الرسالة يشكو ابن علوان على لسان عامة الناس ما أحدثه من ضرائب وجبايات فيقول :

« أما بعد أصلحك الله أيها الملك وأصلح بك وجعل أسباب الفضل مقصودة بسببك . إن الملك عاريته المستعارة بالقهر وحكمته المستفادة بالفكر ونعمته المستزادة بالشكر لوأؤها العدل ويدها البذل وخليها العقل وعدوها الجهل فان كان في الملك هذه الاوصاف فليس بهين وهذه نصيحة أجراها الله على لسان بعض رعيته وقد آتاك الله من الحلم والعلم فأمره على تذكيرك» الخ^(٤) .

وغالبا ما تقبل الحكام ادلال الصوفية عليهم برحابة صدر وتسامح حتى ان أحدهم كتب الى الملك المظفر يقول : « يا يوسف كثر شاكوك وقل شاكروك

(١) طبقات الخواص ٤٧ والاهل: نحفة الزمن ص ١٠٨ وص ١٦٧ .

(٢) أنظر مجلة الحكمة (الجذبدة) العدد ٣٢ ص ٣٨ .

فإما عدلت وإلا انفصلت^(١) فدل ذلك على مكانتهم التامة عند ملوك بني رسول ولعل هذا التسامح معهم من قبل هؤلاء الملوك لم يكن بدافع ديني وإنما كان لأسباب سياسية تقتضي ذلك حيث أن لهؤلاء الصوفية مكانة كبيرة في نفوس الناس فكان الميل اليهم ليس إلا نفرا للشعب وفد ترجموا ذلك في أكثر من مناسبة فهذا السلطان المظفر يسامح جماعة من الصوفية في الضرائب على أراضيهم^(٢) وقد رفض الصوفي أحمد بن موسى بن عجيل مسامحة المظفر لأرضه إلا أن يكون هذا السماح عاما في سائر أفراد الشعب^(٣) ومع ذلك فقد كانت مكانة الصوفية عند ملوك بني رسول تزداد كل يوم حتى بلغ بهم الامر الى أن كل من احتسب بترية الفقيه (ابن عجيل) لم يستطع السلطان أن يمسه بأذى واصبحت مدينة بيت الفقيه من الاماكن المقدسة التي لا يدخلها جند السلطان^(٤) .

ولم يؤثر هذا التكريم في مجاهرة الصوفية بالحق وربما قام أحدهم بالهجوم على أماكن الخمر وإراق الخمر دون أن يمسه أحد من العسكر^(٥) وكان الصوفية أقرب في ذلك الى رأي العامة فأحبهم الناس لذلك واعتبروا مزاراتهم من الاماكن الجليلة حتى ان الصوفي الكبير الشيخ طلحة الهتار اذا خرج من بيته لا يكاد يصل الى الجامع إلا بمشفة كبيرة لكثرة ازدحام الناس عليه^(٦) وربما نضايق بعض الصوفية من تلك الزيارات المتكررة فيحتال أحد أصحابه بحيلة طريفة يتخلص بها منهم^(٧) .

(١) أنظر كتابنا الصوفية والفقهاء في البمن ص ٤٧ .

(٢) طبقات الخواص ص ٨ .

(٣) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٥٨ .

(٤) الصوفية والفقهاء ص ١٥٠ وطبقات الخواص ص ٦٢ .

(٥) طبقات الخواص ص ٧٣ .

(٦) المصدر السابق ص ٦٤ .

(٧) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٢١ ، وبذكر في ذلك حكاية طريفة . يقول : ان الصوفي عبد الله بن أبي بكر الخطيب لما دخل عدن تسامع الناس به ، وكر الزحام عليه حتى شغلوه عن عبادته فشكا الى بعض حواصه فقال له : اطلب منهم قرضا فلما فعل ذلك مع أول زائر أنشئ هذا الخبر بين زواره وعرفوا أنهم مى وصلوا الى عنده سألهم كما سأل الاول فلم يأت أحد بعد ذلك الى النسخ .

على أن الصوفية ليسوا هم جميع أصحاب الوجاهة الدينية في المجتمع فقد زاحمهم في ذلك جمهور الفقهاء ، وربما حدث بينهما نزاع كبير فصلناه في كتابنا (الفقهاء والصوفية في اليمن) فلا نعود الى ذكره هنا .

وكانت المذاهب الفقهية السائدة في ذلك الوقت قبل انتشار مذهب الشافعي في اليمن هما مذهب الامام (مالك) والمذهب (الحنفي) واستمر الكثير من الفقهاء على مذهب الامام أبي حنيفة حتى بعد ظهور المذهب الشافعي وكانت مدينة زبيد قد ضمت جماعة كبيرة من أصحاب المذهب الحنفي والشافعي والمالكي . أما مذهب الامام زيد بن علي فقد انتشر في نواحي (صعدة) و (نجران) وما يليها وتمركزت (الاسماعيلية) في نواحي (صنعاء) والبلدان المحيطة بها وكانت صنعاء تضم في ذلك الوقت مجموعة من أتباع المذهب السني كالشافعية والحنفية .

ويقول المؤرخ (ابن سمره) واصفا الوضع المذهبي في اليمن قبل انتشار المذهب الشافعي كان الغالب على اليمن مذهب مالك وأبي حنيفة ولم يكن علم السنة مأخوذاً في هذا المخلاف الا من جامع معمر بن راشد البصري وهو مصنف في صنعاء وجامع سفيان بن عيينه وجامع أبي قره موسى بن طارق اللحجي ومن المرويات عن مالك وغيره^(١) .

ومن المؤرخين من يحدد ظهور المذهب (الشافعي) في اليمن بالقرن الثالث^(٢) ثم تقوى شأنه في القرن الرابع وكان المجدد له بعد اندثاره الفقيه اليمني القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي القرشي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ^(٣) .

وقد حظي مذهب (الشافعي) بقبول تام على أثر تحول السلطان المنصور

(١) ابن سمره . طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ص ٢٠٣ .

(٣) طبقات فقهاء اليمن ص ٨٠ و ٨٧ .

عمر بن علي الرسولي عن المذهب (الحنفي) الى المذهب (الشافعي)^(١) ومساند الدولة لهذا المذهب حتى إن أول مدرسة أنشأتها كانت لدراسة المذهب (الشافعي)^(٢) وما كان هذا الا هنام أن بتقوى لولا أن الدولة الرسولية وجدت ترحيبا كاملا في تقبل المذهب (الشافعي) وانتشار كتبه الفقهية منذ مرحلة مبكرة فان أقدم كتاب عرفه اليمن للمذهب الشافعي هو كتاب (مختصر المزني) تلمبذ الامام الشافعي وهو أول كتاب وضع في مذهب الشافعي وفد اشهر شهره واسعه في اليمن وأول من أدخله التسبخ حسن بن جعفر المراغي المتوفى سنة ٣٢٤ فرأه بمدرسة سهفة سنة ٣٢٠ وفد درس في هذا الكتاب بعد المراغي جماعة من علماء البسن أمثال أبي الفتح بن ملاس المتوفى في القرن الخامس والفقيه جعفر بن عبد الرحيم المخائي المتوفى سنة ٥٠٠ وأسعد بن الهيثم المتوفى سنة ٤٦٨ وغيرهم . وظل كتاب المزني مستعملا في الدراسة حتى حل محله كتاب المهذب لأبي اسحاق الشيرازي في القرن الخامس فمال الناس اليه حتى كاد أن يُنسى كتاب المزني ولم يعد له ذكر بعد هذا التاريخ بقول ابن سمره واصفاً كتب (الشافعية) في اليمن قبل وصول (المهذب) كان أهل اليمن في المائة الخامسة وما قبلها يتفقهون بكتاب المزني وفي أصول الفقه بكتاب (الرسالة) للشافعي ومصنفات الغزالي وكتاب أبي علي الطبري وكتاب ابن القطان ومصنف المحاملي وشروح كتاب المزني المشهورة لأن المهذب لم يصل الى اليمن الا في آخر المائة الخامسة^(٣) .

وانما كان تأخر وصوله الى اليمن بتأخر مصنفه فقد كان الامام الشيرازي من أهل القرن الخامس (توفي سنة ٤٧٦) فلا غرابة اذا كان مجيء كتاب المهذب في اليمن في القرن الخامس وأوائل السادس فما كاد يصل الى اليمن حتى انهال

(١) العفود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٧ .

(٢) طبقات الحواص ص ١٣٧ .

(٣) طبقات ففهاء اليمن ص ١١٨ .

عليه الفقهاء بالدراسة واعتمده الطلبة والمدرسون وأقدم من درس فيه الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي في القرن الخامس ولم يحد من شأن كتاب المذهب سوى كتاب (البيان) الذي صنّفه في اليمن على مذهب الشافعي الفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨ ومع ذلك لم يترك الطلبة الدراسة فيه نهائياً وزاحم كتاب (البيان) في بعض الأحيان حتى كان القرن السابع وظهور كتب الامام النووي (المنهاج) و (المجموع) و (روض الطالبين) فيقبل الفقهاء عليها ويستغنون بها عما سواها ••

وقد ورث الشافعية في اليمن في ذلك الوقت تزمّت الحنابلة وتشددهم في العقائد اذ لم يكن للشافعي مذهب خاص في العقيدة فمال الناس في هذا الصدد الى عقيدة أحمد بن حنبل لتلمذته على الامام الشافعي واعتماده على الحديث كشيخه حتى كان هذا دافعا لإنكار الشافعية على أتباع المذهب الحنفي القائل بالرأي وربما تسبب بعض الشافعية في متابعة كتب الحنمية واتلافها^(١) على أن فقهاء الشافعية في اليمن وان مالوا في عقيدتهم الى مذهب أحمد بن حنبل الا أنهم لم يوافقوا الحنابلة في جميع معتقداتهم من الصفات وغيرها وقد وافقوهم في القول بالصوت والحرف^(٢) • وكان الناس في اليمن حتى زمن الجندي يأخذون بعقيدة أحمد بن حنبل اذ الغالب على فقهاء اليمن ذلك الاعتقاد أما في القرن الثامن فقد انتقل اعتقاد بعض العلماء الى مذهب الاشعري لكنهم لا يتظاهرون بذلك خوفا على أنفسهم من جهلة بلادهم^(٣) وقد جرى أول احتكاك مباشر بين علماء الحنابلة والاشاعرة في اليمن عندما خرج الفقيه طاهر بن يحيى العمراني عن مذهب والده فتحزب العلماء ضده ومن بينهم والده حتى اضطره الى الهجرة الى مكة والمكوث بها مدة طويلة ولما عاد الى بلده أجبروه على الرجوع عن مذهبه واعلان ذلك على منبر المدينة^(٤) وكان من أكبر القائمين ضده الفقيه

(١) السلوك ص ٨٥ •

(٢ و ٣) تاريخ نجر عدن ص ٨٢ •

(٤) طبقات فقهاء اليمن ص ١٨٨ •

سيف السنة أحمد بن محمد البريهي ثم أجمع الفقهاء على هجره والانكار عليه
مناشفة ومراسلة^(١) وكان فقهاء الحنابلة في أول أمرهم من أكثر الناس محاربة
لعقيدة أبي الحسن الاشعري حتى وصل الامر ببعضهم الى أن يحرم مطالعة كتبه
واعارثها لفقهاء الاشاعرة ويوصي بذلك في وصيته فيكتب على ظهر كتاب
هذين البيتين :

هذا الكتاب لوجه الله موقوف نبا الى الطالب السني مصروف
ما للاشاعة الضلال في حسبي حق ولا للذي في الربيع معروف^(٢)

وكذلك ناظر الحنابلة الزيدية عندما دخل الفقيه جعفر بن عبد السلام مدينة
إب ولم يتم له ما أراد من افحامهم^(٣) وقد وقعت مناظرة أخرى بين فقهاء الحنابلة
والشيعة في مدينة وصاب تحت اشراف الامير الرسولي حسن بن علي الملقب بيدر
الدين فدل هذا على شجيع الدولة الرسولية لعقد تلك المناقشات^(٤) ومع ذلك
فان الفقهاء في اليمن على مختلف مذاهبهم كانوا هم الشعلة المتقدة في المناقشات
العلمية والجدال الفقهي وكثيراً ما ملؤوا فراغهم في البحث في مسائل فقهية مختلف
فيها كالبحث حول مسألة تكثير نارك الصلاة وطلاق التنافي وبراءة الزوج من
المهر الى غير ذلك وكان من أكبر الفقهاء المجادلين في ذلك الوقت الفقيه سيف
السنة البريهي والفقيه يحيى بن أحمد الهمداني ومحمد بن ابي بكر الخياط وابن
المقري وغيرهم وقد وصفهم الاخير بقوله^(٥) :

كنتم اذا عرضت في الدرس مشكلة تطايرت نحوها أفهامكم شررا

(١) السلوك ص ١٢٦ .

(٢) السلوك ص ١٢٤ .

(٣) السلوك ص ١٤١ .

(٤) السلوك ص ٣٥٠ .

(٥) دبان أبي المقري ص ١٥٠ .

أما الاحناف فقد اسفر أكثرهم بمدينة زيد حتى كونوا مجموعة كبيرة بعد المذهب الشافعي وكانت الاعلية منهم فيل قيام الدولة الرسولية كما يقول ابن المجاور^(١) واشتهر من فقهاءهم القاضي أحمد بن أبي عوف والقاضي أبو بكر ابن عسى بن حنكاس ومحمد بن علي الصريفي والفقهاء بنو العلوي وغيرهم وتوارث الاحناف إمامة جامع الاشاعر يزيد حتى أوائل القرن التاسع فتولاه أحد فقهاء الشافعية وهو الفقيه علي بن محمد بن قحح المتوفى سنة ٨٤٥هـ^(٢) ويقول الجندي اعلم أن وادي زبيد الغالب على أهله مذهب أبي حنيفة وكذلك وادي حيس ولكن رمع وحيس يغلب على أهلها العامية ولم أكد أسمع لهم بفقيهه .

وبقيت أسر قليلة بمدينة زيد تحتفظ بمذهب الامام مالك بن أنس وهو أقدم المذاهب الفقهية باليمن الا أنه كاد ينقرض بعد دخول مذهب الامام الشافعي وظلت أسرة بني المزجاني تحتفظ بمذهب الامام مالك حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري . .

وحسب قول الجندي نجد العلم بالفقه قد ارتبط بالدين وهو العلم المحمود وقد خضع الفقهاء للمناصب الدينية التي يمرضها عليهم تخصصهم الفقهي واشتغل الاغلب منهم بالمهام القضائية وقليل منهم من تولى الاشراف على المساجد والقيام بإمامة المصلين والأذان ومما يدخل في هذا الجانب تولي الخطابة بالناس يوم الجمعة وغيرها من المناسبات الدينية وأصبح يتعاطاها كل من هب ودب من سائر الوعاظ حتى كادت أن تفقد صبغتها الادبية وهي صنعة قديمة في اليمن فقد ذكر الهمداني من قدماء الخطباء في صنعاء مطرف بن مازن المتوفى سنة ١٩١هـ^(٣) وغيره . أما في العصر الرسولي فقد أصبحت الخطابة مهنة دينية خالصة تتوارثها أسر معينة كآسرة آل الدملي التي اشتهرت بجمال الصوت وحسن الالقاء وكان من أشهر خطبائهم الفقيه عبد الرحمن عبد الله الدملي المتوفى سنة

(١) المستبصر ص ٨٨ .
(٢) العمود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٩٠ .
(٣) صفه جزيرة العرب ص ٨٣ .

٧٤٩ ولقي الخطابه مدده طويلا بجامع رييد وبعد وفاته خلفه ولده محسد وكان كوالده حسن الصوت نم توفي سنة ٧٥٢ يقول الخزرجي : « كان أفصح من خطب وأحسن من قرأ في عصره » تم ولي الخطابه بعده أخوه عمر بن عبد الرحمن وبلغ النهاية فيها وشاع ذكره وطال عمره ولم نزل حطّيب المدينة وفاريء الحديب بجامع الاشاعر نحن خمسين سنة الى أن توفي سنة ٨٠٠ هـ واشتهرت أسرة آل الدملي بالخطابة حتى قال بعض الناس من المبالغين « ان لهم بفرة صوتها أحسن من سائر أصوات البفر » (١) • وكان قد تولى خطابه جامع الاشاعر قبل عبد الرحمن الدملي الخطيب عمر المقدسي وآخرون ومن متأخري الحطباء في العصر الرسولي الخطيب أبو بكر بن يوسف ابن المستأذن بصفه البرهبي بقوله رتب بجامع عدن فكان خطيبا مصقعا حسن الصوت سريع الدمعة تختع له القلوب وكان يبكي من خشية الله وعمره سبعون سنة وبعد وفاته سنة ٨١٥ تولى الخطابة بعده ولده عبد الرحمن • وربما شارك في الخطابة بعض العلماء الوافدين الى اليمن • ويغلب على هؤلاء جانب التكلف والمحابة للسلطان فقد حدث أن دخل أحد هؤلاء جامع دي عدينة فكان يخطب على البديهة وينوسع في الكلام ويطول لسانه بذكر ما لا ينبغي ويقول في خطبه الحمد لله الناصر الملك يشير الى الملك الناصر أحمد بن اسماعيل الرسولي فلما سمع ذلك أحد علماء اليمن وهو الفقيه رضي الدين الشنيني قام على باب المنبر وقال للخطيب اتق الله عما أنت بصدده واقصر خطبتك (٢) •

أما المؤذنون فليس بأيدينا شيء من أخبارهم سوى ما ذكره البرهبي عن واحد من مؤذني مدينة إب وهو الفقيه أبو بكر حسين وكان حسن الصوت حلو القراءة (رتب للأذان في جامع إب فكان يرقى المنارة في آخر الليل ويسبح بحمد الله ويكبر باخلاص وحضور قلب وينشد القصائد الوعظية وغيرها في المنارة في

(١) طراز اعلام الزمن (مخطوط) •

(٢) تاريخ البرهبي ص ٢٥

جنى الليل فيكون لكلامه وقع في القلوب ويسمع صوته على مسافة ثلاثة أميال ومكث بجامع إب نحو ثلاثين سنة يعتكف في كل فرض من وقت الأذان الى فراغ الصلاة فلا يخرج أثناء ذلك مهمادعت الضرورة^(١) توفي رحمه الله في سنة ٨٢٢ هـ •

وكان الليل في ذلك الوقت مسرحا لتلاوة المقرئين وانشاد المنتسدين وتسبيح المسيحين وأذان المؤذنين ويشاركهم في ذلك أصوات أهل العبادة والقائمين بالاسحار وجماعة الصوفية فيحيون الليل بأذكارهم وتهليلهم وربما قام أحدهم بالسماع والرقص في جوف الليل (فيفزعون الاطفال ويزعجون النواجم بأصواتهم العالية)^(٢) حتى أفتى بعض الفقهاء بعدم جواز ذلك وطلب من شيخ بلد (بني سيف) أن يمنع هؤلاء الصوفية من القيام بسماعهم في الليل فأجابه الى ذلك ومكثوا مدة لا يقومون بسماعهم حتى توفي ذلك الفقيه الساعي في اسكاتهم وهو الفقيه عبد الله الكاهلي المتوفى سنة ٨٣٥ فعاد الصوفية الى عاداتهم القديمة^(٣) • وهذا نموذج مما كان يقام في قرية صغيرة من قرى (معشار حصن ريمان الجاح) أما في مدينة تعز وزيد وغيرهما من المدن الكبيرة فالحياة مليئة بالاذكار والعبادات وكان الشيخ اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ يقوم بحفلة السماع في مسجده بزيد طيلة الليل الى أذان الفجر وربما وصلت أصواتهم الى قصر الملك المجاهد فلا يرى بأسا في ذلك^(٤) •



-
- (١) المصدر السابق ص ٥٠
(٢) المصدر السابق ص ٣٥
(٣) المصدر السابق ص ٣٥
(٤) المزحاحي : هدية السالك (مخطوط)

الحياة العلمية

انتشر العلم في عصر بني رسول وعم أكثر المدن والقرى اليمنية • ومع ذلك نجد المؤرخ الجندي كعاداته في وصفه للاحداث ودقته يتسكو من علة الجهل على بعض المدن والقرى ويصف مدناً بأكملها بالجهل كمدينتي حيس ورمع على الرغم من قربهما لمدينة زبيد مدينة العلم والنور • وفي رحلانه العديدة الى القرى اليمنية لا يهوته أن يعلق على الحالة العلمية لتلك البلدان فعندما دخل مدينة المخادر سنة ٦٧٢ نجده يقول (لم أجد فيها من العلماء سوى فقيه واحد) وأما القرى الصغيرة فحدث عن جهل أهلها ولاخرج حتى بلغ بهم الامر أنهم اذا حدثت لهم حادثة فقهية انفقوا عليها بالمصالحة والتراضي ، وقد وصف الجندي أيضا (قرية الداية) من جبل سورك بالعامة وهذه حضرموت بأكملها بصف الجندي أهلها بالبداوه السديدة والجهل •

أما عدن فسبب قلة العلماء بها اشتغال أهلها بالتجارة وهي مع ذلك ، أول ما يقابل الزائر اذا دخل اليمن فيعتقد كثير من الزوار أن جهل أهل عدن شامل لكثير من المدن اليمنية ولذلك قال أحدهم لما دخل عدن (١) :

لما دخلت اليمن رأيت وجهي حسنا
أف لها من بلدة أفقه من فيها أنا

لكن العلم قد قوي شأنه بعد ذلك وأصبح له مراكز علمية كبيرة يؤمها الطلبة من كل صوب بل أصبحت مدينة زبيد ثالثة المدن العلمية في جزيرة العرب بعد مكة والمدينة ينفد اليها العلماء بعد فراغهم من الاخذ عن علماء مكة والمدينة وكان لتشجيع ملوك الدولة الرسولية للعلماء أثر في إحياء تلك النهضة الفكرية الكبيرة في اليمن ومنهم من تشرب بحب العلم وساهم فيه بالعديد من المصنفات

(١) السلوك (مخطوط) ص ٣٤٦ •

كالملك المظفر يوسف المتوفى سنة ٦٩٤ هـ الذي صنف في علم الملك والطب كتباً كثيرة منها كتاب (تيسير المطالب في تسيير الكواكب) و (المخترع في فنون الصنع) و (العقد النفيس في مفاكهة الجليس) وغيره من الكتب . وصنف ابنه الملك الأشرف عمر بن يوسف المتوفى سنة ٦٩٦ كتاباً في الاسطرلاب وكتاب التبصرة في علم النجوم وكتاب الجامع في الطب والمعتمد في الادوية المفرد وكتاب المغني في البيطرة ، وفي علم الزراعة كتاب التفاحة في علم الفلاحة، وفي الأنساب كتاب طرفة الاصحاب وتحفة الآداب في الانساب وغير ذلك من الكتب . أما أخوه الملك المؤيد فله عدة كتب أكثرها في علم الادب وكتاب في (البيزرة) . والملك المجاهد علي بن داود المتوفى سنة ٧٦٤ اهتم بوجه خاص بطب الحيوان فألف كتاب (الأقوال الكافية والفصول النسافية) بحث في آخره الوباء العام الذي وقع في اليمن في عصره وأهلك الكثير من خيول الدولة . وألف الملك الأفضل عباس بن علي المتوفى سنة ٧٧٨ مصنفات في عدة علوم كعلم السياسة صنف فيه كتابه (نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء) وهو مبوب على فصول . وفي علم الزراعة وضع كتاباً بعنوان (بغية الفلاحين في الاشجار المثمرة والرياحين) ووضع في علم التاريخ عدة كتب جيدة ككتابه (العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية) وكتاب (نزهة العيون في طوائف القرون) ، وفي الانساب كتاب (بغية ذوي الهمم في معرفة أنساب العرب والعجم) وغيره .

ومن المؤرخين من يشكك في نسبة تلك الكتب الى الملك الأفضل ويزعم أنها من تأليف قاضي تعز الفقيه أبي بكر بن محمد بن يوسف الصبري وضعها على لسان الملك الأفضل^(١) . ولا يخلو هذا القول من الصحة ، حيث إن من عادة ملوك الدولة الرسولية المباهاة بتلك المصنفات وان لم تكن من تأليفهم . وكان الملك المظفر يفاخر في رسالة بعثها الى الظاهر بيبرس أن لابنه مصنف في علم الطب^(٢) وآخر من اشتغل بالتأليف من ملوك الدولة الرسولية هو الملك الأشرف

(١) الفاسي . العقد الثمين في تاريخ البلد الامن ج ٥ ص ٩٦

(٢) العقود اللؤلؤة ج ١ ص ٢٧٨ .

اسماعيل بن عباس المتوفى سنة ٨٠٣ وكان من عاداته في التأليف أن يشترع في أبواب الكتاب الرئيسية ثم يأمر من يتمها بعد ذلك^(١) . وقد وضع المؤرخ الخزرجي عدة كتب على لسانه ككتاب (العسجد المسبوك) وكتاب (فاكهة الزمن في أخبار من ملك اليمن) .

وعلى العموم فإن اشتغال ملوك الدولة الرسولية بالتأليف يدل على اقبالهم على العلم وحرصهم على الانتساب اليه . وقد تميزت مصنفاتهم بظاهرة فريدة قد لا تتكرر في تاريخ الفكر اليمني قاطبة وهي الاهتمام بالجانب العلمي من البحث فكتبوا في علم الفلك والطب والزراعة والبيطرة وغيرها من المواضيع العلمية التطبيقية في حين كان معاصروهم من ملوك الدول الاسلامية منشغلين بقضاياهم الخاصة والعامة ولم يعيروا الجانب العلمي أدنى اهتمام ، أما معاصروهم من الأئمة الزيدية في اليمن فقد ساهموا بدورهم في التأليف وربما فاقوا ملوك الدولة الرسولية في هذا الجانب إلا أن كتبهم ظلت محصورة بينهم .

وقد بلغ من حرص ملوك الدولة الرسولية على العلم أن يتفرغوا للدراسة على فقهاء اليمن . فهذا الملك المظفر يقرأ على الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي وعلى الفقيه محمد بن ابراهيم الفشلي في علم الحديث وعلى الفقيه محب الدين الطبري في علم الحديث أيضا وعلى الفقيه ابن العمك في علم النحو وكان الفقيه محمد بن عبد الله الريمي يقول طالعت كتب الملك المظفر فوجدتها كلها مضبوطة بخطه حتى من رآها يقول لم يكن له شغل طول عمره الا بالعلم بل بلغ الامر بالملك المظفر أن يبعث برسالة الى خراسان للبحث عن النسخة الأم من تفسير القرآن للامام الرازي لوجود نقص في نسخته فيظفر بها بعد جهد ويجد النقص كما هو عنده في نسخته . وكان الملك المؤيد يحفظ عدة كتب من أمهات الفنون ككتاب مقدمة طاهر في النحو وكتاب كفاية المتحفظ في اللغة والجمل للزجاجي والتنبيه للشيرازي وغيره .

(١) السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٩٩ .

وكانوا يحرسون على مجالس العلم والمشاركة فيها وقد جعلوا شهر رمضان
خاصا بمقابلات العلماء والاجتماع بهم ويصف ابن المقري مجالسهم في شعره
فبقول مخاطبا الملك الاشرف :

وحلقة علم يسقط الطير فوقها منزهة الأرجا عن اللغو والهجر
بها ظل أهل العلم حولك عكفا كما عكفت زهر النجوم على البدر^(١)
وهذا يجرنا الى الحديث عن تكريم الدولة الرسولية للعلماء وتشجيعها
للبحث العلمي . وقد كرمت الدولة الرسولية العلماء في شخص الفقيه العلامة
محمد بن عبد الله الريمي عندما انتهى من كتابة موسوعته الفقهية (التفقيه شرح
التنبيه) بأن حمل كتابه على رؤوس الطلبة الى قصر الملك وكافأه عليه بثمانية
وأربعين ألف درهم . ويقال إنه أول ما دخل على الملك المجاهد أعطاه أربعة
شخص ذهبية وزن كل واحد منها مائة مثقال وكتب على كل واحد منها شعرا :
إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طرّاً قبل أن تنفك
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ولا الشحّ يبقها إذا ما تولّت^(٢)
وعندما حمل كتاب (الاصعاد في الاجتهاد) للفيروزابادي الى باب السلطان
الاشرف احتفل بالفراغ منه بالطبول والاعاني وكافأه عليه بثلاثة آلاف دينار ،
وكان ملوك الدولة الرسولية يرغبون في العلماء ونادرا ما يسمحون لهم بالرحلة
من اليمن^(٣) . ومن طريف ما يذكر أن الفيروزابادي طلب من الملك الاشرف
السماح له بالعودة الى مكة فكتب اليه الملك الاشرف يقول : (ان هذا شيء
لا ينطق به لساني ولا يجري به قلبي فقد كانت اليمن عمياء فاستنارت فكيف يمكن
أن تعزم وأنت تعلم أن الله قد أحيا بك ما كان ميتا من البلد فبالله عليك الا ما وهبت
لنا بقية هذا العمر والله يا مجد الدين يميناً بارة اني أرى فراق الدنيا ونعيمها ولا
فراقك أنت اليمن وأهله)^(٤) . وهذا يدل على إعزاز الملك الأشرف للعلماء
وتكريمه لهم . وربما سامح الكثير منهم في ضرائب أراضيهم ومزروعاتهم .

(١) ديوان المقري ص ٨٣
(٢) قرة العيون ج ٢ ص ٩٢ وتاريخ اليمن في عصر الدولة الرسولية لمجهول ص ٤٥
(٣) العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٩٧
(٤) الضوء اللامع ج ١ ص ٨٤

وأعفى جماعة كالفقيه علي بن أحمد الاصبحي المتوفى سنة ٧٠٣ والفقيه عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي المتوفى سنة ٨٠٢ والمؤرخ علي بن حسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ وغيرهم كثير من الصوفية وأهل الدين . ويقول الحبيشي إنه جرت العادة أن جميع الفقهاء في وصاب وغيرها لا يدفعون نسباً للدولة على مزروعاتهم .

وكان تقرب ملوك الدولة الرسولية الى العلماء صورة واضحة من صور محبتهم للعلم . وقد علت الهمة ببعضهم الى أن يرأسل مشاهير العلماء خارج اليمن ويستكتبهم في القدوم الى البلاد كما سنرى في فصل لاحق^(١) ولذلك يقول العمري إن صاحب اليمن برغب دائماً في استقدام الغرباء^(٢) وربما استوفد الى اليمن جماعة من ذوي الاختصاصات المختلفة كالصناعة وعلم الفلك والموسيقا فقد ذكر الخزرجي أن الملك المؤيد استقدم الى اليمن سنة ٧٢٠ عالم الهيئة والهندسة الأمير بدر الدين حسن بن أحمد بن المختار وكان حسب تعبير الخزرجي « عارفاً بعلوم الأوائل ولم يكن في الديار المصرية والسامية من يناسبه في معرفة علم الهيئة والهندسة والمنطق وقد فرح السلطان بوصوله فرحاً شديداً »^(٣) وبين يدي الملك المظفر وضع العلامة محمد بن أبي بكر الفارسي المتوفى سنة ٦٧٥ كتبه في علم الموسيقا ككتاب (دارة الطرب) وكتاب (الالحن) وغيرهما . وكذلك وضع هذا العالم كتابه (الزيج) في علم الفلك وأسماء باسم الملك المظفر والذي يهمننا هنا هو الإشارة الى رغبة ملوك الدولة الرسولية في نشر العلوم على مختلف أنواعها ، وقد مر بنا مساهمة ملوكهم في بعض العلوم المجردة كالفلك والطب والهندسة والزراعة وغير ذلك وهو أمر جديد على اليمن لم تعهده من قبل .

(١) الغينا هذا الفصل بعد تضخم الكتاب ونحيل القارئ الكريم الى مقالنا المنشور في مجلة اليمن بعنوان : العلماء القادمون الى اليمن في العصر الرسولي ، انظر اليمن الجديد العدد الاول محرم سنة ١٣٩٤ هـ .

(٢) مسالك الانصار

(٣) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٣٥

وكانت العلوم الاسلامية مصدر رواج كبير في ذلك الوقت أقبل عليها العلماء في زبيد وغيرها حتى أصبح الفقهاء بمكانة عالية في الدولة • قصدهم الملوك وطلبوا ودعاهم ، وربما رحل الملك المظفر وهو في إبان ملكه الى منزل الفقيه أحمد بن محمد الزبراني في (سهنه) وأكل معه في بيته كسرات خبز يابسة^(١)، وعندما علم بعلو سند الفقيه عبد الله بن يحيى الهمداني في (كتاب البيان) طلب حضوره من قرينته وقرأ عليه الكتاب بأكمله وكذلك كان ينزل المظفر عند الفقيه محمد بن اسماعيل الحضرمي بقرأ عليه في (صحيح البخاري) مع شدة انكاره عليه وولاه القضاء على كراهة منه ••

ونستخلص من كل هذا أن الدولة الرسولية كرمت العلماء واعتنت بالبحث العلمي حتى تفرغ العلماء لدروسهم وكتاباتهم وهم في هدوء تام وراحة بال •• وقد خصصت الدولة للعلماء أوقافاً كبيرة وجعلت جزية اليهود خاصة بمرتباتهم • ومن العلماء من يحصل على مرتبات إضافية غير المقرر الرسمي كالفقيه عبداللطيف ابن أبي بكر الشرجي الذي كان يحصل في كل شهر على مرتب قدره ثمانمائة درهم مع جماعة من العلماء وذلك بعد أن أتم السلطان الملك الاشرف على الفقيه قراءة كتب النحو وأمره بتصنيف شرح (ملحّة الاعراب) وشرح (مختصر ابن عباد) ولما ختم الكتاب أجازاه السلطان بجائزة سنوية وكساه كسوة فاخرة وأركبه بغلة حسنة وجعل له أرزاقاً من جملة المرتزقين في كل شهر ثمان مئة درهم وسامحه في خراج أرضه ونخله • وهذا غاية التكريم ••

ومع ذلك لم يكن كل العلماء في حالة متساوية من الرخاء المادي ومنهم من استلم مرتبات سنوية مقابل قيامه بالتدريس في مدارس الدولة الرسولية • ونادراً ما كانت هذه المرتبات تسد كل حاجات العلماء الشخصية ، فيعوض ذلك النقص بالاشتغال في بعض الاعمال التجارية وقد مارس التجارة كثير من علماء

(١) السلوك (مخطوط)

الدولة الرسولية كالفقيه حسين بن علي العدني المتوفى سنة ٦٣٠ الذي اشغل بجانب التدريس بالتجارة في العوة ، وكالفقيه محمد بن أحمد الغيثي المتوفى ٦٥٩ . كان أثناء تدرسه يتعاطى بيع العطر في مدينة عدن . ومنهم من بلى بالفقر نتيجة الورع الشديد بل نجد منهم من حرص كل الحرص على عدم أخذ شيء من أموال الدولة مع شدة الفقر وكثرة العيال ، وهذا هو الفقيه أبو بكر بن علي الحداد المتوفى سنة ٨٠٠ يصاب بكثرة الاولاد مع الفقر المدقع فيأتيه أحد عمال الدولة بمال كثير من الملك الافضل يقدر بنحو مائة دينار فيرفض أن يأخذها ويقول للخادم ارجع بها الى السلطان يصرفها في مصالح المسلمين . وكان أكثر تكسبه من النساخة . وكانت النساخة حرفة كثير من العلماء الورعين الذين حرصوا على البعد عن أبواب السلطان . ومن هؤلاء الفقيه أحمد بن أبي بكر البريبي المتوفى سنة ٨٢٥ « عاش على طريقة السلف الصالح من الاشتغال بالعلم والعمل والورع وكان معظم قوته من أجرته على نسخ كتاب الله تعالى (القرآن) وكتب الحديث والفقه واذا جمع من ذلك ما يسد خلله (جوعه) نسخ لنفسه كتباً كثيرة بخطه » . ومع ذلك فهذا الفقيه كان من كبار علماء اليمن وله مصنفات في علم الفقه والحديث سنذكرها فيما بعد . ومنهم من اشتغل بالزراعة وجعلها حرفته كالعلامة الفقيه موفق الدين علي عطية الدملاوي المتوفى سنة ٨٣٦ والحديث عن حرف العلماء بطول لو أردنا استقصاء ذلك . وربما رجعنا الى هذا الموضوع عند كلامنا على مراتب المدرسين في الدولة الرسولية .

وكان العلماء من أحرص الناس على نشر العلم وتلقيه ولا يهمهم في ذلك ما يلاقونه من صعاب وقد بلغ الامر ببعضهم أن يترك الزواج ليتفرغ للعلم^(١) . وكثير منهم من قطع المسافات الكبيرة لطلب العلم فرحلوا الى مصر والشام والعراق وقد كثرت رحلاتهم في هذا العصر الذي ندرسه فرحل الى مصر الفقيه أبو القاسم بن موسى الذؤالي وتوفي بها ورحل الى دمشق العالم المفسر يحيى بن أبي

(١) نسخة الزمن ج ٢ ص ٨١ و ٨٨

القاسم العلوي وقد دخل أيضا مدينة بغداد والري والديلم • ومن الرحلات العلمية الناجحة في ذلك الوقت رحلة العلامة اليمني أحمد بن محمد الشرعبي المتوفى سنة ٨٣٧ دخل دمشق ومكث بها مدة يطلب العلم حتى توفي بها • ويذكر البريهي كثيراً من تلك الرحلات العلمية كرحلة محمد بن عمر الشعبي دخل دمشق للاخذ على شيخها ابن الوردي وهو أول من أدخل كتاب (البهجة) في الفقه لشيخه المذكور • ورحل الى مصر والشام من أهل تعز الفقيه علي بن سعيد الزبيدي من علماء آخر العصر الرسولي وغيره كثير • وهذا يدل على حرص علماء اليمن على الأخذ عن علماء الاسلام في شتى أقطارهم وان كان الأكثر منهم قد اكتفى بالأخذ عن العلماء الوافدين الى مكة والمدينة وهم الأغلبية حيث نجد أكثر أولئك العلماء قد حجوا الى مكة ومنهم من عرج الى اليمن لقرب المسافة •

وكان ابتهاج العلماء في اليمن أشد ما يكون بالكتب • حتى أرنخ بعضهم دخولها واحتفل بها فقد ذكر (الجندي) احتفال العلماء بدخول شرح (العزيري) في الفقه وحرص شيخه الاصبحي على نسخه • وعندما دخل اليمن لأول مرة كتاب (مغني اللبيب) في النحو لابن هشام احتفل به الأدباء في صنعاء وقرطوه بالعديد من الرسائل من ذلك ما كتبه الاديب ابراهيم بن يحيى بن قاسم الهادي الذي يقول في أول تقريره: (لما وصل الأخ أحمد بن محمد اليريمي أبقاه الله الى صنعاء مصحوبا بما يشرح الصدور من علوم الاعلام الصدور وبما تقر به العيون من فنون الأفنان العيون • وكان مما استصحب من دفاتر علومهم وذخائر معلومهم كتاب العلامة ابن هشام المسمى (المغني) في دقائق مسائل الإعراب فأتحفني بعاريته أياما وهو بغيتي المقصودة وضالتي المنشودة) (١) الخ • ولا نستغرب من ذلك الاهتمام من قبل علماء اليمن بدخول الكتب فقد كان ملوك الدولة الرسولية بإشارة من العلماء قد احتفلوا بها غاية الاحتفال حتى كان ذلك تقليدا

(١) انظر الرسالة في مطلع البدور (خ) •

مُسَبَّحاً عند ملوك الدول المتأخرة كالدولة الطاهرية التي اقتصت في أسلوبها أسلوب ملوك (آل رسول) فقد ذكر المؤرخون أنه لما وصل لأول مرة الى مدينة زبد (كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني سنة ٩٠١ احتفل به السلطان عامر الطاهري احتفالا كبيرا (١) *

وقد حرص العلماء على اقتناء الكتب ونسخها ونادرا ما يموت العالم منهم دون أن يترك مجموعة كبيرة من الكتب فتصير بأيدي ورثته لا يقدرון قيمتها وقد باع ورثة الفقيه عبد الله بن محمد المخلافي كتب والدهم بأبخس ثمن مع حرصه في العناية بها في حياته * وبيع كتاب الوجيز للغزالي من جملة كتب سعيد ابن عبد الله من ناحية الشوافي بعشرة دنانير تقديراً لما لكانه * ولما توفي الفقيه بكر ابن يحيى الفردساني بحث الجندي عن كتبه فلم يقف على شيء منها وقيل له أن ابنه مال الى صحبة الأمراء فأهدى أكثر كتب والده اليهم عن طريق التقرب اليهم * ويحدثنا البريهي عن كتب العلامة الكبير محمد بن أبي بكر الخياط بعد وفاته فيقول : (إنها تفرقت بعد أن جمعها واجتهد في تحصيلها وضبطها وهي زيادة على سبعمائة كتاب) * وكذلك كتب الفقيه موسى بن أحمد الوصابي المتوفى سنة ٧٢١ يقول الحبشي في تاريخ وصاب إنه لما مات غفل ذريته عن كتبه سنتين فأصابها بلل وكانت نحو خمسمائة مجلد فتلفت كلها ولم يبق إلا اليسير * لذلك حرص العلماء قبل وفاتهم على وقف كتبهم وجبسها على طلبة العلم * كالعلامة أحمد بن محمد البريهي الذي حصر وقف كتبه على أتباع عقيدة أحمد بن حنبل وقد وقف الجندي في القرن السابع الهجري على نص وقف كتبه فوجد مكتوباً بخط البريهي على أحد أجزاء البخاري يقول : (وقفه أحمد بن محمد وجميع الكتب المنسوبة اليه من الحديث والأصول والفروع والفرائض والتفسير واللغة والنحو وهي ثمانون كتاباً على أهل السنة ممن وجد فيهم الشروط فمن خرج عن الشرط بدعة أو ما ترد به الشهادة خرج من الوقف ولا حق في الوقف لمبتدع

(١) انظر خبر هذه الطريقة في بغية المستفيد (خ) *

وإذا لم يبق مسنق من نسل الواف فآهل السنة فيها سواء أبدا ما بقت لعن الله من يملكها أو يملكها أو يسعى في فساد الوقف أو يكتسبها على من يستحقها أو يعيرها من لا ينتفع بها إذا سئل بسرط الحفاظ ، كتبه أحمد بن محمد تقبل الله منه • كتب بتاريخ ٥٨٤) • فهذا أقدم نص في وقف الكتب وسجد العلماء بعد البريهي فد حرصوا على وقف كتبهم • وكان الفقيه محمد بن مضمون بن عمران المتوفى سنة ٦٣٣ يقتني أنر شيخه البريهي في وقف كتبه ويكتب على كل كتاب منها هذه الايات :

وقف " حرام " وحبس دائم * الأبد	بقاء رجا ثواب الواحد الصمد
على الحنابلة المشهور مذهبهم	من آل بيت أبي عمران ذي الرشد
ثم الحنابل طرأ بعد أن عدموا	سيان غائبهم أو حاضر البلد
لا حظ فيه لبدعي يخالفني	أو كان معتقدا ما ليس معنقدي • • الخ

أما الفقيه أحمد بن محمد الشاوري المتوفى سنة ٨٣١ فإنه أوقف كتبه على أولاده وأحفاده وشرط أن كل من ترك الصلاة منهم لا حظ له في الوقف • وهكذا تتعدد صيغ الوقفيات والقصد منها حفظ الكتب بعد موت أصحابها وكانت هذه الوقفيات والنمليكات عليها مستندا رئيسيا للمؤرخ الجندي في معرفة أسماء العلماء وأماكن وجودهم فلا يسأل على شيء إذا وصل الى قرية أو مدينة الا على بقايا تلك الكتب وتصفحها •

وما دمننا بصدد الحديث عن الكتب فلا بد أن نقف عند المكتبات في ذلك العصر فهي الزاد الرئيسي لطلاب العلم • •

وفي زمن قلة الكتب تكون هذه المكتبات هامة إذ ليس باستطاعة كل الناس الحصول على الكتب إلا بمشقة كبيرة من نساخه وأثمان باهظة وقد عرف كثير من العلماء بقله الكتب لتلك الصعوبات حتى إن بعضهم آثر الهجرة من قريته ليكون في مدينة تضم مكتبة عامة كالفقيه مقل بن خلف الهمداني المتوفى سنة

٥٧٩ الذي استقر بمدينة (ذي أشرق) ليكون على صلة بمكتبتها الموقوفة (فانه كان قليل الكتب) (١) .

ولا يتحصل على الكتب إلا من كان ذا سعة وأموال كثيرة وفي مقدمة هؤلاء ملوك الدولة الرسولية الذين جمعوا لأنفسهم مكتبات كبيرة وربما عيّنوا في دواوينهم من يقوم بنسخ الكتب الجديدة الوافدة الى اليمن وكان مكتب الملك المؤيد الرسولي يضم نحو (عشرة ثسّاخ ينسخون الكتب وترفع الى خزائنه بعد مقابلتها وتحريرها) (٢) وقد ضمت مكتبة هذا الملك نحو مائة ألف مجلد ويحمل اليها الكتب النفيسة من كل صوب حتى أنه وصل اليه نسخة جيدة من كتاب الأغاني بخط ياقوت المستعصي فبذل فيها مائتي دينار . .

وكان الملك المظفر يبعث الى خارج اليمن من يبحث له عن نوادر المخطوطات وقد ذكر الجندي واحداً من أولئك الرسل وهو الفقيه شرف الدين الاربلي (٣) وكذلك الملك الأفضل والمؤيد وغيرهما . ولا تزال بعض مقتنيات مكتبات ملوك الدولة الرسولية محفوظة الى الآن (٤) .

وقد حذا حذوهم في جمع الكتب جماعة من صغار الامراء وأثرياء العلماء منهم الامير عبد الله بن العباس الحجاجي المتوفى بتعز سنة ٦٧٠ وقد ضمت مكتبته أكثر من خمسة آلاف مجلد وكالعلامة أبي الخير بن منصور الشماخي

(١) بن سمره : طبقات فمهاء اليمن ص ١١٥

(٢) ابن عبد المجيد بهجة الزمن ص ١٣٣

(٣) الجندي : السلوك ويذكر السخاوي في الصوء اللامع ج ١٠ ص ١٤
« ان الفقيه محمد بن محمد المخزومي المتوفى سنة ٨١٧ هـ قسم الى زبيد من مصر وعمل في النساخة المعروفة عند الملك الاشرف » .

(٤) من هذه الكتب الموجودة الى الآن نسخة من كتاب لباب الالباب لابن خلف النحوي من مكتبة الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي وعليها حطه محفوظة بمكتبته حسن حسني بنونس ونسخة من كتاب التقييه شرح النبيه للريمي النسخة التي بعها الى الملك المعاهد وكافاه عليها بتعز . ونسخة من كتاب منتخب الفنون للعلوي من مكتبة الملك المؤيد الرسولي كتبت سنة ٧٠٤ ومحفظة الآن بمكتبة الاسناد حسين محفوظ ببغداد الى غير ذلك .

المتوفى سنة ٦٨٠ يقول الجندي في وصف مكتبته^(١) (جمعت خزائنه من الكتب ما لم يجمعه غيره من نظرائه بحيث قيل إن فيها مائة أصل سوى المختصرات) ومن أصحاب المكتبات في ذلك الوقت الشيخ أبو بكر بن محمد التميمي المتوفى في سنة ٦٩٦ جمع مكتبة كبيرة أوقفها على طلبة العلم بمدينة صنعاء^(٢) ومنهم الأديب الموسوعي عمر بن علي العلوي المتوفى سنة ٧٠٣ ضمت مكتبته مجموعة نادرة من الكتب بلغ مافيها من الدواوين الشعرية وحدها نحو خمسمائة ديوان^(٣) وكذلك الأمير محمد بن محمد الحسام توفي سنة ٧٠٧ (جمعت مكتبته من الكتب ما لم تجمعه مكتبة أحد من نظرائه) • ومن المكتبات في هذا العصر أيضاً مكتبة الفقيه المحدث سليمان بن إبراهيم العلوي المتوفى سنة ٨٢٥ حَوّت مكتبته في تعز مجموعة نفيسة من الكتب ومكتبة العلامة محمد بن سعيد بن كبن المتوفى سنة ٨٤٢^(٤) ضمت مكتبته نحو ألف كتاب أكثرها من نسخ يده والبعض بالشراء • وآخر ما ذكره من جماعي الكتب في ذلك العصر الفقيه محمد بن داود الوحشي المتوفى سنة ٧٠٧ حَوّت مكتبته ألف مجلدة أغلبها جاءت به بالشراء • فهذه نبذة صالحة من أسماء المكتبات في العصر الرسولي تدلنا على إقبال العلماء في ذلك العصر على أنه من المفيد أن نشير الى أن تلك المكتبات كانت في عمومها مقصدا لطلاب العلم على الرغم من ملكية أصحابها لها ونادرا ما كانوا يحرمون المستفيدين منها بل نجد البعض منهم قد أوقفها على العلماء بعد وفاته ومع ذلك فإن مدارس بني رسول قد ضمت أيضا مجموعات نفيسة من الكتب الفقهية بذلت لسائر الطلبة على مختلف ميولهم وكانت مدرسة الرشيدية بتعز تضم مكتبة ثمينة وغيرها من المدارس الآتي ذكرها .

(١) الخزرجي • العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٥٧

(٢) المصدر السابق لوحة ٤٦١

(٣) ابو مخرمة نارينج تعز عدن ص ٩٥

(٤) نارينج البريهي لوحة ٢٤٥

التعليم

إذا تجاوزنا العلم والعلماء في العصر الرسولي فسنجد التعليم قد مثل مظهراً آخر من مظاهر الحياة العلمية في ذلك الوقت وقد شرف العصر في تلك المدة بكثرة المدارس حتى أصبح المنطلق الحقيقي لبداهة النهضة التعليمية في اليمن وقد ولع سلاطين الدولة الرسولية بانشاء المدارس على مختلف أنواعها وهم مقتفون في ذلك آثار أسلافهم بني أيوب في اليمن ومصر حيث تفنن هؤلاء في إنشاء المدارس الفخمة في مصر ودمشق ومن يتأمل كتاب الخطط للمقريزي يجد مصداق ماقلناه أما في اليمن فقد كانت لهم مدارس كبيرة لعل أقدمها المدرسة السيفية التي أنشأها بتعز المعز بن اسماعيل بن طغتكين سنة ٦٩٣ ونسبها الى والده سيف الاسلام طغتكين وهي كما يقول المؤرخ يحيى بن الحسين (أول مدرسة أنشئت باليمن) وفي هذا العصر أيضاً أسس الامام عبد الله بن حمزة مدرسته في صنعاء كما أسس الأتابك سنقر بن عبد الله المتوفى سنة ٦٠٨ مدرستين بزيد احدهما تسمى المدرسة العاصمية والأخرى (الدحمانية) نسبة الى مدرسين بهما وهكذا أسس العصر الايوبي في اليمن فكرة المدارس العلمية فورثها عنهم بنو رسول وتوسعوا فيها توسعاً كبيراً حتى عمت المدارس أغلب القرى والمدن اليمنية على الرغم من عدم تشجيع بعض العلماء لهم في بنائها وقد هجاها أحدهم بشعر يفضل فيه المساجد على المدارس فقال :

بع المدارس لو علمت بدارسٍ يغلوا وأخسر صفقة للمشتري
دعها ولازم للمساجد دائماً إن شئت تظفر بالثواب الأوفر

وكانت المدارس بجانب اهتمامها بالتعليم ملجأً للغرباء والتجار يقصدونها عند أول نزولهم حتى إنها قامت في فترة من الزمن بدور الفنادق والسماسر مما دلّ على عدم احترام الناس لها في أول ظهورها * وقد شهدت المدارس في ذلك

العصر التخصص العلمي لأول مره بانساء الملك المنصور عمر بن علي الرسولي ثلاث مدارس متخصصة بتدريس المذهب الشافعي والمذهب الحنفي وعلم الحديث وسبب ذلك أن الملك المنصور لما أنشأ مدرسة للتأفيع غضب عليه الأحناف وقال له فقيهم العلامة أبو بكر بن عيسى بن حنكاس : (ما فعل بك أصحاب أبي حنيفة فقال له السمع والطاعة يا فقيه وبنى المدرسة المنصورية السفلى لأصحاب مذهب أبي حنيفة) ثم تعددت المدارس وشارك في بنائها بجانب الملوك جماعة من الأمراء والعلماء والتجار • وسنسقيها بقدر الطاقة والإمكان في هذا التبت المختصر فإليك هذه المدارس كما ذكرها الجندي وغيره من مؤرخي الدولة الرسولية^(١):

أولا - مدارس زبيد :

المدارس المنصورية : هن ثلاث مدارس أنشأهن الملك المنصور عمر ابن علي الرسولي زبيد إحداها المدرسة المنصورية العليا خاصة بالمذهب الشافعي. والثانية المدرسة المنصورية السفلى للمذهب الحنفي • وقد درس بهاتين المدرستين جماعة من الاساتذة منهم أحمد بن سليمان الحكمي المتوفى سنة ٧٠٣ درسا في المدرسة الاولى ، وفي الثانية درّس فيها الفقيه أبو بكر بن عيسى السراج المتوفى سنة ٧٠٥ والفقيه علي بن نوح المتوفى سنة ٧٥١ والفقيه أبو بكر بن علي الهاملي المتوفى سنة ٧٦١ وغيره كثير •

وللمنصور مدارس أخرى غير السابقتين منها مدرسة أهل الحديث بزبيد وأخرى بحد المنسكية •

المدرسة التاجية

هي من قديمات المدارس بزبيد أسسها الطواشي تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري وكان من ممالك الاميرة « بنت حوزة » زوجة الملك المنصور عمر ابن علي وتوفي سنة ٦٤٥ وتعرف هذه المدرسة باسم آخر هو «مدرسة المبردين» وسبب تسميتها بهذا الاسم هو أن صناع البرادع يتجمعون عندها فسميت بهم •

(١) وللنوسع في هذا الموضوع يراجع بحثنا المنشور في مجلة الغد •

وهي منخصصه في دراسه الفقه • وأوكل الاشراف عليها الى القضاة بنى محمد
إبن عمر ودرس فيها الفقه علي بن عبد الله الزبلي أحد علماء الفرائض والحساب
في العصر الرسولي توفي سنة ٧١٤ ومن المدرسين بهذه المدرسة أيضا الفقه أبو
العباس أحمد بن صالح بن اسماعيل الحضرمي المتوفى سنة ٧٢٢ •

مدرسة القراء :

من انشاء الطواشي ناج الدين السابق خصصها لقراء القراءات السبع
وعين فيها إماماً للصلاة ومؤدناً للصلوات الخمس وأوقف عليها أوقافاً طائلة •
ولهذا الطواشي مدرسة أخرى بمدينة زيد خصصها لقراءة الحديث النبوي
وعليها أوقاف كسائر المدارس السابقة •

المدرسة النظامية :

هي من أشهر المدارس في زيد أسسها الطواشي نظام الدين المظفر من
شجعان الدولة الرسولية توفي سنة ٦٦٦ وتناوب التدريس فيها جماعة منهم
الفقيه علي بن محمد تمامة المتوفى سنة ٧٨٧ أحد مشاهير الفقهاء في عصره ومن
مصنفاته في الفقه مختصر المنهاج للنووي • ومختصر كتاب المعين للفرضي •

المدرسة الدعاسية :

نسبة الى مؤسسها الفقيه الاديب سراج الدين أبو بكر بن عمر بن دعاس
المتوفى سنة ٦٦٧ ويحدد موقعها في القرن الثامن الفقيه المؤرخ علي بن حسن
الخزرجي فيقول : « تقع ما بين سوق المنجارة والسوق الكبير في زيد » وقد
خصصها لقراءة الفقه الحنفي ومن المدرسين فيها الفقيه ابراهيم بن مهنا المتوفى
سنة ٧٤٣ •

المدرسة الشمسية :

أسستها بزيد الاميرة الدار الشمسي ابنة الملك المنصور وهي من

أوائل النساء المحسنات في العصر الرسولي توفيت سنة ٦٩٥ • ومدرستها تقع جنوب سوق المعاصر كما يقول الخزرجي وعليها وقف كبير يقوم بكفالتها • .

المدرسة العفيفية :

من انساء الملك المؤيد داود بن يوسف المتوفى سنة ٧٢١ درس بها الاديب عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة ٧٤٤ •

المدرسة السابعة :

وسمى أيضا مدرسة مريم نسبة الى مؤسستها السيدة مريم بنت الشيخ الشسبي بن العفيف زوجة الملك المظفر المتوفاة سنة ٧١٣ يقول الخزرجي في وصف هذه المدرسة « وهي من أحسن المدارس وضعا رتّبَ فيها إماماً ومؤذناً ومعلّما وأبناما يتعلمون القرآن ومدرسا للفقه على المذهب الشافعي ومعيدا وطلبة وأوقف على الجميع وقما يقوم بكفالتهم » وأول من درس بها من الاساتذة الفقيه أبو الحسن الشرعبي المتوفى سنة ٧٠٢ وقد أقام مدرسا بها عدة سنوات على كبر سنه وضعف قواه ••

المدرسة الفاتنية :

من مدارس زييد لم أتحقق تاريخها ودرس بها الفقيه عمر بن علي الزيايدي السابق الذكر • تم ترميمها سنة ٧٩٢ •

المدرسة الفرحانية :

ذكرها الخزرجي ضمن المدارس المرممة سنة ٧٩٢ •

مدرسة المسلب :

من المدارس التي قام بترميمها القاضي عبد اللطيف بن محمد بن سالم سنة ٧٩٢ •

المدرسة الميكائيلة

من مدارس زبيد ولعلها تنسب الى الامير نور الدين بن ميكائيل أحد الامراء في العصر الرسولي عاش في زمن المجاهد .

المدرسة الهكارية :

من مدارس زبيد لم أتخفق تاريخها ودرس بها الفقيه عمر بن علي الزبادي السابق الذكر والمتوفى سنة ٧٠٣ .

مسجد الاشاعر :

من المساجد الهامة في زبيد وتقام فيه حلقات دراسية علما وقلما يخلو في سائر أيام الاسبوع من مدرّس وطلبة يدرسون علم الحديث والفقه وكان يستأثر به الحنفية حتى زمن الملك الظاهر الرسولي فنولى إمامته الفقيه التسافعي علي بن محمد بن قحّس ، وفي هذا المسجد عقد العلامة النحوي بدر الدين محمد ابن أبي بكر الدماميني القادم من مصر الى اليمن سنة ٨١٩ مجالسه الادبية وكذلك عقد فيه العلامة محمد بن محمد الجزري مجلسا في الحديث أثناء وصوله الى زبيد في زمن الملك الناصر الرسولي ونادرا ما يأتي عالم الى اليمن ولا يفصده . ويذكر المؤرخ الاهدل أن عمارة هذا الجامع في صورته الحالية كانت سنة ٤٢٥ هـ في زمن سيف الاسلام بن طغتكين .

ثانيا - مدارس تعز :

المدرسة السيفية :

هي أول مدرسة أنشئت في تعز بناها المعز اسماعيل بن طغتكين الايوبي في موضع دار للاتابك سنقر بن عبد الله سنة ٥٩٣ ونسبها الى والده سيف الاسلام طغتكين بن أيوب المتوفى سنة ٥٩٣ وهو مقبور بها وخصص لها المعز أوقافا كثيرة منها وادي ظبا بأكمله ورتب فيها جماعة من القراء بالبيع القراءات . وظلت هذه المدرسة قائمة حتى القرن التاسع حيث نجد السخاوي

يشير الى بعض المدرسين بها ومن أساتذتها الفقيه علي بن عثمان الانسهي أحد العلماء القادمين الى اليمن سنة ٧٠٧ •

المدرسة الاتابكية :

نسبة الى مؤسسها الاتابك^(١) سنقر بن عبد الله المتوفى سنة ٦٠٨ أحد أمراء الدولة الايوبية بناها في ذي هزيم من نواحي تعز وعرفت بالمدرسة الاتابكية وعندما قتل الملك المنصور الرسولي في هذه الناحية قبر في هذه المدرسة لكونه متزوجا بابنة الاتابك سنقر بن عبد الله • وبقيت هذه المدرسة قائمة مدة طويلة ومن المدرسين بها الفقيه أبو بكر بن جبريل المتوفى سنة ٧٤١ والفقيه اسحاق بن أحمد بن يحيى بن زكر المتوفى سنة ٧٥٦ وهو من كبار المدرسين في عصره •

المدرسة المجيرية :

من المدارس القديمة بتعز ويعود زمنها الى وقت العزيز طغتكين أسسها الامير مجير الدين كافور التقي أحد المقربين لسيف اسلام بن طغتكين وكان هذا الامير من المشتغلين بطلب العلم وأخذ الناس عليه في علم الحديث والى هذه المدرسة تنسب حارة كبيرة في مدينة تعز يقال لها حول مجير الدين يصفها الخزرجي في القرن الثامن بأنها قرية من مرتاع البقر في مدينة تعز •

المدرسة الوزيرية :

هي أول المدارس التي أنشأها الملك المنصور في تعز سميت باسم أول مدرس فيها كما هي العادة في تسمية المدارس في ذلك الوقت اد لم تُسم تلك المدارس باسم مؤسسيها الا في عصور الملوك المتأخرين من آل رسول وأول من درس بها من العلماء الفقيه أحمد بن عبد الله بن أسعد الوزيري وبه سميت المدرسة لطول إقامته فيها توفي سنة ٦٦٢ وقد تناوب على التدريس فيها جماعة من بني

(١) الابابك لفظة تركية معناها الولد الامير وربما أطلق على من ربي أولاد الملوك وهو من ألقاب التشريف • انظر الفلفسندي في صبح الاعشى ج ٤ ص ١٨ •

الوزيرى منهم الفقيه أحمد بن محمد الوزبري وكان من كبار العلماء الورعين
توفي سنة ٦٦١ ومن أقدم المدرسين فيها الفقه أحمد بن إبراهيم بن أبي عمران
من أهل مدينه إب وما زال الملك تطلعه في الوصول الى عز للتدريس بسدرسته
الوزيريه حتى أجابه الى ذلك وقرأ عليه المصور بعض الكتب العلمية توفي سنة
٦٣٣ ودرس بهذه المدرسة أيضا الفقه أبو بكر بن محمد بن سعيد الحفصي
الازدي المتوفى سنة ٦٨٩ ودرس بها أيضا الفقه أبو بكر بن عبد الله بن محمد
بن زريق من أهل جبله توفي سنة ٧٠٣ فهؤلاء هم كبار المدرسين بالمدرسة
الوزيرية وهناك جماعة أخرى تركناهم لاجل الاختصار .

المدرسة الغرابية :

من مدارس الملك المنصور بتعز سميت باسم مؤذنها الغراب وكان رجلا
صالحا . ومنهم من يطلق عليها اسم المدرسة المنصورية وهذه النسبية متأخرة
وتناوب في التدريس عليها جماعة من كبار العلماء والفقهاء منهم الفقه أبو
زكريا يحيى بن زكريا الكلالي الحميري المتوفى سنة ٦٦٧ وكان مقصد الناس
للاخذ عليه وآخر من ذكره من المدرسين بها الفقيه الصوفي عمر بن أبي بكر بن
العراق المتوفى سنة ٧٥٤ وكان من المقربين للملك المجاهد الرسولي .

المدرسة الرشيدية :

أسسها في تعز القاضي رشيد الدين ذو النون محمد بن ذي النون المصري
توفي سنة ٦٦٣ القادم الى اليمن بصحبة الملك الايوبي المسعود يوسف بن الكامل
محمد بن أبي بكر بن أيوب آخر ملوك الدولة الايوبية في اليمن وقد ولي للملك
المسعود عدن وكان مقصد الادباء والعلماء وفي عهد الملك المنصور ولي الوزارة
وأشأ المدرسة « الرشيدية » بتعز وخصص مكتبة ثمينة تحوي على أمهات الكتب
بجانب أوقافها العديدة درس بهذه المدرسة العلامة الشهير أبو العباس أحمد بن
عبد الله الدائم المعروف بابن الصفي الميموني المتوفى سنة ٧٠٧ ولا زالت هذه
المدرسة قائمة حتى القرن التاسع حبت ذكر السخاوي أحد المدرسين بها في هذا

القرن وهو الفقيه علي بن محمد بن اسماعيل الناشري المتوفى سنة ٨١٢ •

المدرسة النظامية :

من مدارس دي هزيم القريبة من تعز بناها الطواشي نظام الدين مختص.
المظفري أحد المقربين للملك المنصور توفي سنة ٦٦٦ ودرس بمدرسته الفقيه عبد
الله بن محمد الخزرجي المتوفى سنة ٦٥٥ ودرس بها الفقيه عمر بن مسعود
الحميري وعليه تخرج جمع كبير من الفقهاء توفي سنة ٦٥٨ •

المدرسة العمرية :

أنشأها الأمير نجم الدين عمر بن يوسف أخو الملك المظفر لأنه توفي سنة
٦٦٧ ومن المدرسين بها الفقيه عمر بن محمد بن عبد الله المتوجي المتوفى سنة ٧٠٩ وكان
من العلماء الزهاد وقد أصابه دين فرحل الى عدن لقضائه فتوفي هناك •

المدرسة النجاشية :

نسبة الى مؤسسها الأمير محمد بن نجاح أحد أمراء الدولة الرسولية في
عهد الملك المظفر يوسف بن عمر توفي سنة ٦٨١ ودرس بمدرسته الفقيه أبو
محمد عبد الله بن عبيد المتوفى سنة ٦٩٤ والفقيه عبد الله بن محمد بن سبا
الريمي العياشي المتوفى سنة ٧١٥ •

المدرسة المظفرية :

من كبريات المدارس بتعز أسسها في مغربة تعز الملك المظفر يوسف بن عمر
الرسولي المتوفى سنة ٦٩٤ وبناها على أسلوب عجيب • وخصص لها أوقافا كثيرة
وعندما اكمل عمارتها استدعى لها الملك أشهر المدرسين في عصره وهو الفقيه
عبد الله بن محمد بن سبا الريمي المتوفى سنة ٧١٥ ودرس بها أيضا بعد عصر
الملك المظفر الفقيه محمد بن يوسف الصبري المتوفى سنة ٧٤٢ والفقيه عمر بن
سعيد التعزي المتوفى سنة ٧٨٨ ودرس بها في القرن التاسع الفقيه عبد الرحمن
ابن أبي بكر الزوقري تلميذ جمال الدين الريمي المتوفى سنة ٨١٦ •

المدرسة الاشرفية :

من مدارس الملك الاشرف عمر بن يوسف الرسولي المتوفى سنة ٦٩٦ ونقع في مغربة تعز وهي من المدارس الكبيرة جعل فيها استاذاً للفقهاء الشافعي وإماماً ومؤذناً وبثراً يستقي منها ومن المدرسين بها الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الدائم ابن الصفي المتوفى سنة ٧٠٧ باستدعاء من الملك الاشرف نفسه ودرس بها أيضاً الفقيه أبو بكر بن أحمد بن عمر الشعيبي المتوفى سنة ٧١٤ وغيرهما وبقول المؤرخ أبو مخرمة أن هذه المدرسة من تأسيس الملك المظفر يوسف بن عمر والد الملك الاشرف فيحقق *

المدرسة السابقية :

بنتها في مغربة تعز في ناحية الحميرا السيدة مريم زوجة الملك المظفر المتوفاة سنة ٧١٣ وتعرف هذه المدرسة أيضاً بمدرسة الحميراء درس فيها الفقيه علي بن محمد بن يوسف الصبري المتوفى سنة ٧٥٢ *

المدرسة المؤيدية :

من المدارس الكبيرة بتعز أنشأها الملك المؤيد داود بن يوسف المتوفى سنة ٧٢١ بالمغربة بتعز وأوقف عليها أوقافاً طائلة وجعل فيها مدرسا وإماماً ومؤذناً ومعلماً للآيتام ومقرئاً يقرئ القرآن بالسبع القراءات ووقف عليها مكتبة نفيسة من الكتب أما المدرسون فيها فهم جماعة نذكر منهم الفقيه أحمد بن أبي بكر الاحنف المتوفى سنة ٧١٧ ومنهم الفقيه محمد بن عبد الرحمن البريحي المتوفى سنة ٧٤٨ ومنهم الفقيه عبد الله بن محمد الناشري المتوفى سنة ٨٤١ وغيرهم *

المدرسة المجاهدية :

مدرسة ضخمة أنشأها الملك المجاهد علي بن المؤيد المتوفى سنة ٧٦٤ بناحية الجبيل بتعز وعين فيها إماماً ومؤذناً وخطيباً ومدرسا للفقهاء ومدرسا للحديث وجعل فيها مكاناً للصوفية يتفرغون فيه للعبادة ودرس في هذه المدرسة الفقيه عبد الله

ابن محمد بن عمر الخزرجي المتوفى سنة ٧٣٥ وهو أول من درس فيها بطلب من مؤسسها المملك المجاهد ومن المدرسين فيها العلامة عمر بن عبد الله المليكي المتوفى سنة ٧٦٨ واشتغل فيها بدراسة علم الحديث سنة ٧٤٧ ومن علماء الحديث الذين درسوا فيها المحدث اليمني الكبير سليمان بن ابراهيم العلوي المتوفى سنة ٨٢٥ .

المدرسة الافضليه :

من مدارس الجبيل بعز أنشأها الملك الافضل عباس بن علي بن داود الرسولي المتوفى سنة ٧٧٨ وبنها على أسلوب عجيب حيث جعلها على ثلاث طبقات الاولى مربعة الشكل قوية الاركان والطبقة الثانية مثلثة الاركان والطبقة الثالثة مسدسة الشكل وبنى على رأسها مئذنة طويلة لم يكن في البلاد مثلها ثم رتب فيها إماماً ومؤذنًا وقيماً عليها ومعلماً للآيتام ومدرسا للفقهاء وآخر للحديث وعين فيها جماعة من الصوفية وعليها أوقاف كثيرة لأكرام الضيوف والطلبة ومن المدرسين بها الفقيه أبو بكر علي الناشري المتوفى سنة ٧٧٢ وغيره كثير .

المدرسة المعتبية :

أنشأتها الاميرة جهة الطواشي معتب بن عبد الله زوجة الملك الاشرف اسماعيل بن عباس الرسولي المتوفى سنة ٧٩٦ وقد بنتها في الواسطة من تعز وخصصت لها إماماً ومؤذنًا وقيماً ومدرسا وطلبة ومعلماً وأينما لقراءة القرآن .

المدرسة الانرفية :

وهي غير السابق ذكرها وهذه المدرسة أنشأها الملك الاشرف اسماعيل بن الافضل الرسولي المتوفى سنة ٨٠٣ ويقول من شاهدها انها مدرسة حسنة الشكل بها بابان شرقي وغربي وباب جنوبي ومقدم « ردهة » فسيح وشيسه رحية وبنى فيها حماما نفيسا وخصص فيها إماماً ومؤذنًا وقيماً ومدرسا على مذهب الشافعي ومعيداً ومدرسا للحديث والفتوى ومدرسا في النحو وآخر للادب وأوقف فيها عدة من الكتب النفيسة بجانب أوقافها المالية الكثيرة .

المدرسة الشمسية :

من مدارس تعز ولم أتحقق اسم منشئها ولعلها من إنشاء الأمير شمس الدين ابن علي بن رسول المتوفى سنة ٦١٤ والد الملك المنصور أول ملوك الدولة الرسولية • ودرس بهذه المدرسة الفقيه أبو سليمان داود بن ابراهيم الزيلعي المتوفى سنة ٧٠٩ ودرس بها الفقيه أبوبكر بن جبريل المتوفى سنة ٧٤١ ومن المدرسين فيها الفقيه أبو بكر بن علي الناشري المتوفى سنة ٧٧٢ •

المدرسة الاسدية :

من كبريات المدارس في تعز لم أتحقق اسم منشئها ولعلها منسوبة الى الامير أسد الدين محمد بن بدر الدين الحسن بن علي الرسولي المتوفى سنة ٦٧٧ •

ثالثاً - مدارس عدن :

المدرسة المنصورية :

أسسها الملك المنصور عمر بن علي الرسولي ودرس فيها الفقيه الحلبي المتوفى سنة ٧٦٠ وغيره •

المدرسة النجمية :

لم أتحقق منشئها ولعلها منسوبة الى الاميرة الدار النجمية عمة الملك المظفر •

المدرسة الظاهرية :

أنشأها الظاهر يحيى بن اسماعيل الرسولي المتوفى سنة ٨٤٢ • وعرف في عدن عدة مساجد يدرس فيها العلوم كمسجد السماع ومسجد السوق ومسجد الشجرة وهي كلها ملتقى الطلبة بأساتذتهم •

رابعاً - مدارس الجند :

المدرسة المنصورية :

أنشأها المنصور عمر بن علي الرسولي •

المدرسة الشقيرية :

خامسا - مدارس ذي عدينه (بتعز) :

المدرسة الشمسية :

أسستها الدار الشمسي ابنة المنصور عمر بن علي الرسولي *

المدرسة الاشرفية :

بناها الملك الاشرف اسماعيل بن العباس . . .

سادسا - مدارس ذي جيله :

المدرسة الاشرفية أو الشرفيه :

أنشأها الامير موسى بن علي الرسولي *

المدرسة الراية .

سابعا - مدارس مختلفة منها :

مدرسة ذي عقب *

ومدرسة جبن وغيرها *

وقد عرفت هذه المدارس كل العلوم الاسلامية على مختلف أنواعها كالعلوم الشرعية واللغوية والادبية وشهدت المدارس في ذلك الوقت دراسات خاصة في علم الفلك والطب والحساب والمنطق يقوم بها أساتذة من أهل اليمن ومن غيرهم، ومن الاساتذة اليمنيين من اهتم بجانب الرياضة وكلف طلبته بالقيام ببعض الحركات الرياضية كالفقيه محمد بن أحمد بن بطل المتوفى نحوسنة ٦٣٠ فكان يأمر طلبته بالخروج بعد صلاة العصر الى الصحراء ويأمرهم بالتسابق والجري حتى اذا تعبوا وراح وقت المغرب أمرهم بالانصراف *

وكان الاساتذة يتقاضون مرتبات سنوية وشهرية تقتطع من أوقاف المدارس، وغالبا ما تكون عينية أو نقدية تدفع من خزينة الدولة وكانت مرتبات المدرسين في عهد الدولة النجاشية تقدر بنحو اثني عشر ألف دينار أما في العصر الرسولي،

فمنعطي لهم مرتبات نفدية في كل شهر وتختلف هذه المرتبات باختلاف المدرسين. ومكآنتهم من السلطان فهذا الادب عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى. سنة ٧٤٤ يحصل على مرتب شهري يقدر بثلاثين ديناراً مقابل تدريسه في المدرسة المؤيدية وهذا أعلى قدر يحصل عليه مدرس في ذلك الوقت * *

- وخصصت الدولة لمرتبات المدرسين والقضاة في البلدان جزية اليهود فسدت - هذه الضريبة كثيراً من أعباء الدولة في التدريس. ومن عريب ما يذكر عن المدرسين في ذلك الوقت أن التدريس يكون ببعض المدارس وراثياً كإمامة المساجد وخطابة الجمعة فيتولى الابن مهنة التدريس بعد وفاة والده أو في حياته في مدرسته التي كان يدرس بها حتى أن كثيراً من المدارس التي أنشئت في ذلك الوقت بنيت خصيصاً لأساتذة معينين يدرسون بها وقد ذكر الشرجي عدة مدارس توارث أساتذتها التدريس بها *

ويكثر الطلبة حول الاستاذ كلما تبحر في العلم واشتهر شأنه فقد ضمت حلقة الشيخ زيد بن عبد الله البقاعي بعد رحلته من مكة نحو مائتي طالب وربما بلغوا نحو ثمانمائة طالب بمدرسة حجة على قلة أهلها وكذلك كانت حلقة الشيخ صالح بن ابراهيم العثري تحتوي على مائة طالب *

ومن أشهر الحلقات الدراسية في ذلك العصر حلقة الشيخ محمد بن أبي بكر الاصبحي صاحب كتاب المعين بلغ مجموع طلبتها نحو ثلاثمائة طالب حتى ضاقت بهم مصنعة سير فرحل بهم الى (إب) وهذا كثير بالنسبة لقلة الناس في ذلك الوقت ومع ذلك فإن الطلبة لا يأخذون على الاستاذ إلا بعد التحقق التام من علمه وأمانته ودينه وقد حدث أن قدم رجل غريب الى بلد الفقيه أحمد بن محمد الزبراني المتوفى سنة ٦٦٧ وطلب اقراء الطلبة فقال له الفقيه : إنا لا نأخذ العلم إلا عمّن تحققنا دينه وأمانته (وأنت غريب علينا ربما أوقعتنا في محذور من حيث لا نشعر) وهذا غاية التحري في الاخذ على الاساتذة * *



العلوم

عرفت اليمن علوم السنة منذ زمن بعيد وظهر فيها أفذاذ كبار من رجال الحديث والدين كطاوس وعبد الرزاق وغيرهما من فدماء المحدثين ولذلك لم تنشط في اليمن علوم الفلسفة وأهل المقالات ولم تجار اليمن في ذلك بغداد أو غيرها من الحواضر الإسلامية التي عرفت شيئاً من ذلك بل إن علماء اليمن صسوا آذانهم عن الاختلافات الطاحنة بين أهل الفرق في تلك البلدان وكان طاوس اذا جاءه أحد أتباع المذهب المعتزلي أو غيره صم أذنه خشية سماع كلامه •

وعلى نهج طاوس سار أكثر علماء اليمن من المتأخرين في العصر الرسولي حتى بلغ الامر ببعضهم أن يكره علم الطب ويعتبره من العلوم المزعزعة للإيمان ولذلك أنكروا على الفقيه سعيد بن قيس البغداني لما اشتغل بعلم المنطق (ونسبوه الى الزندقة والخروج عن الدين) ونرى الجندي يذكر جماعة من آل أبي الخل ويشير الى أنهم حادوا عن الطريق باشتغالهم (بكتب المنطق والميل الى اعتقاد أصحاب الطبائع) وكذلك يصف جماعة من فقهاء آل السامح بالخروج عن المذهب لمعاناتهم علم (الطب ومذهب الحكماء) •

وهكذا كانت بداية علماء اليمن في الدولة الرسولية الانكار على علوم الطبيعة والفلسفة والمنطق ولولا جهود ملوك الدولة الرسولية في تحييد هذه العلوم الى أهل اليمن ومشاركتهم فيها بالتصنيف كما مر بنا سابقاً لما عرفت اليمن شيئاً من ذلك بل إن علماء اليمن أنكروا على الملك المظفر لما أراد أن يقرأ كتب المنطق على الفقيه شمس الدين البيلقاني القادم الى اليمن من فارس وسبب وجوده نزاعاً كبيراً بين الفقهاء بسبب احداث هذا الفن في مدرسة عدن • فأنكر عليه القاضي محمد بن أسعد العنسي (لان الغالب على الفقهاء باليمن عدم الاشتغال بالمنطق خاصة) •

وقليل ما ظهرت كتب الفلك وسائر العلوم غير الدينية حتى إن وجود الحسن ابن أحمد الهمداني المتوفي سنة ٣٦٠ واشتغاله بعلوم الفلسفة والطب يعتبر ظاهرة فريدة في التاريخ اليمني لم تتكرر فالرجل كان على صلة وثيقة بتلك العلوم بل نعرف من مصنفاته أنه قرأ كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب المقالات لأقليدس ومن كتبه الفلسفية سرائر الحكمة وكتاب اليعسوب والقوى في الطب وغيره وكان صاعد البغدادى يعده ثاني فلاسفة العرب بعد الكندي ♦♦

وكانت بداية اليمن بالهمداني في القرن الرابع ستكون مشجعة لظهور مصنفات فلسفية وفلكية كثيرة لولا أنها اصطدمت بجماعة من الفقهاء الحنابلة المتزمتين فانقطعت تلك الفنون بانقطاع الهمداني وظهر في النادر قلة من أتباع المذهب الحنفي من اشتغل ببعض العلوم كالفقيه أحمد بن محمد الأشعري في القرن السادس الذي ينسب له كتاب في علم المساحة بعنوان (النفاحة في علم المساحة) شرحه في القرن العاشر أحمد بن علوان الوازعي وغيره ♦

وقد ارتبط علم المساحة والحساب والفلك والطب بأغراض يومية تمس الحاجة إليها كالزراعة والمواقيت والفرائض والتجارة فكان لابد من المشاركة فيها وبعد انقضاء جيل الحنابلة المتشددين منذ عصر الجندي خلمهم جماعة من الأشاعرة لم يحقدوا على العلوم التجريبية ذلك الحقد الذي عرفه الحنابلة فظهرت مساهمات يسيرة في تلك الفنون وقد ساعد على الإقبال عليها بعض الشيء رغبة ملوك الدولة الرسولية في دراستها وكان الملك المظفر يحض على دراسة علم الطب ويبيع إلى الملك الظاهر ببيرس صاحب مصر يسأله في ذلك بل هو نفسه كتب فيه كتابه المسمى (البيان في كشف الطب للعيان) وكتب ابنه الأشرف (المعتمد في الأدوية المفردة) وللمجاهد كتاب كبير في طب الحيوان بعنوان (الاقوال الكافية) وتحت رعاية الملك المظفر كتب العلامة اليمني محمد بن أبي بكر الفارسي المتوفى سنة ٦٧٧ كتابه في الطب (الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة) وهو موجود ببعض المكتبات وله كتاب آخر في

معرفة السموم وكتاب آخر في علم البيطرة وهكذا كان الاقبال على الطب بتحريض من ملوك الدولة الرسولية وقد اشنهر في أواخر الدولة اثنان من كبار علماء الطب في اليمن هما الصنبري وأبي الغيث الكراني ..

الصنبري :

فأما الصنبري فهو الفقيه مهدي بن علي بن ابراهيم الصبري اشتهر في علم القراءات والفقه والطب وتوفي بالمهجم سنة ٨١٥ له (كتاب الرحمة في الطب والحكمة) وهو عبر كتاب السيوطي المسمى بنفس الاسم وقد قسمه على خمسة أبواب . الاول ، في علم الطبعة ، والثاني في طباع الاغذية والادوية ، والثالث فيما يصلح للبدن في حال الصحة ، والرابع في الامراض الخاصة ، والخامس في الامراض العامة ، ومن هذا الكتاب عدة نسخ خطية وقد طبع في أوروبا ..

الكراني :

وأما الناني فهو الشيخ محمد بن أبي الغب الكراني ولد بأبيات حسين . وأخذ على جماعة من علماء زبيد حتى أصبح أحد الفقهاء البارزين ثم اشتغل في آخر عمره بعلم الطب وتوفي سنة ٨٣٧ له (كتاب سُفاء الاجسام) في الطب كتاب مشهور نقل أكثر مادته صاحب تسهيل المنافع .

علم الفلك :

ونمضي مع العلوم التجريبية في العصر الرسولي فنجد علم الفلك قد استعاد نشاطه وظهر أول كتاب فيه بعد مؤلفات الهمداني كتاب الفقيه الجندي أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن المبردع المتوفى نحو سنة ٦٦٠ وهو كتاب مبسوط الحجم يصفه الجندي بقوله : عليه اعتماد الناس في علم المواقيت وهو بعنوان (المواقيت في علم المواقيت) منه عدة نسخ خطية . وكما كانت البداية في علم الطب بسلاطين آل رسول كذلك كانت بداية علم الفلك بصورته الشاملة ..

فقد نسب الى الملك المظفر كتابه « تيسير المطالب في تسيير الكواكب »

ولابنه الاشرف (التبصرة في علم النجوم) وفي عصر المظفر أُلّف العلامة محمد بن أبي بكر الفارسي السابق الذكر عدة كتب في علم الفلك منها (نهاية الادراك في أسرار علم الافلاك) وكتاب (الزيج المظفري) ونسبه الى الملك المظفر وكتاب (مصارع الفكر البهيج في حل مشكلات الزيج) • ويختتم هذا العصر بكتاب العلامة الفلكي أبي العقول المسمى (الزيج المختار) وقد أطنب الباحث الامريكي دافد كنج في وصف هذا الكتاب وقبته العلمية وهو يتضمن على جداول فلكية في غاية الدقة جعلها محسوبة لعرض مدينة تعز وتشمل على فصول السنة والفصول الزراعية •

علم الحساب :

وفي علم الحساب والجبر والمقابلة والمساحة ظهر عدة مؤلفات جيدة لعل أقدمها كتب العلامة الحساب أحمد بن عمر بن هاشم المزيحي الموفى سنة ٦٨٠ وكان أحد رجال هذا الفن في اليمن ولي ديوان المخلاف وسكن ذي جبلة ومن كتبه في علم الحساب (كتاب جواهر الحساب) وكتاب (شرح مختصر الخوارزمي) في الجبر والمقابلة عليه اعتماد الطلبة في هذا الفن • وألف في علم الحساب الفقيه الحنفي أبو بكر بن علي الهاملي المتوفى سنة ٧٦٩ كتاب (مفيد الطلاب في معرفة الحساب) وآخر من نخصص في هذا الفن وبرز فيه العلامة محمد بن عبد الله بن سلم أحد علماء جبلة المتوفى سنة ٨٠٥ له عدة كتب في علم الحساب منها (لوامع طوالع السعدي في شرح الهندي) في الحساب وكتاب (عجالة المبني في شرح الهندي) وله أيضا كتاب (كفاية المهتدي في شرح الهندي) •

علم الزراعة :

وعرف هذا العصر ظاهرة علمية فريدة لم نشهدها في غيره حيث اهتم ملوك الدولة الرسولية بالتأليف في علم الزراعة والفلاحة والتأليف فيها فأُلّف الملك الاشرف الاول كتابه (التفاحة في علم الفلاحة) وألف الملك الافضل كتاب (بغية الفلاحين في الاشجار المنمرة والرياحين) وشاركهما في هذا العلم جماعة من

علاء اليمن المتأخرين كالفقيه حمزه بن علي الناصري المتوفى سنة ٩٣٦ صاحب كتاب (حقائق الرياض) ، والفقيه حسين ابن أبي الفاسم الاهدل صاحب كتاب (كشف القناع في أحكام الزراعة) .

العلوم الاجتماعية والسياسية :

واذا تجاوزنا هذا النوع من العلوم فسنجد العصر قد ساهم في التأليف في نوع آخر من العلوم الفريدة في بابها فألف في علم السياسة وقوانين الدولة جماعة من العلماء أولهم الفقيه الشافعي أبو عبد الله محمد بن علي الفلعي المتوفى سنة ٦٣٠ ألف كتاب (تهذيب الرئاسة في ترتيب السياسة) منه نسخة مخطوطة بمدينة زبيد . وكتب في هذا الفن الفقيه أحمد بن محمد المحلي المتوفى سنة ٦٥٢ رسالته الفريدة المسماة (نصيحة الولاة الهادية الى النجاة) وقد طاعتها فوجدتها مفيدة في بابها ، وتلاه جماعة من علماء الدولة الرسولية أولهم الملك الرسولي الافضل عباس بن علي المتوفى سنة ٧٧٨ له كتاب (نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء) في علم السياسة وقد سبق ذكره ثم تلاه الفقيه عبد الرحمن بن محمد الحبيشي المتوفى سنة ٧٨٠ ألف: أحكام الرئاسة في آداب السياسة وآلف العلامة محمد ابن موسى الذؤالي سنة ٧٩٠ كتابه المسمى (التحفة المدونة في أحكام السلطنة) ووضع الاداري الكبير حسن بن علي الحسيني المتوفى سنة ٨١٥ كتبه القيمة في قوانين الدواوين الرسولية . ومنها كتاب (ملخص الفطن) السابق الذكر وكتاب (الديوان الجليل في معرفة النقلي والتسجير) . وآخر من نذكره من مصنفى الدولة الرسولية الفقيه محمد بن عبد الله الناصري المتوفى سنة ٨٢١ له كتاب (النصائح الايمانية لذوي الولايات السلطانية) وهكذا يترسخ هذا الفن في التراث اليمني بكثرة التصنيف فيه . وللعلماء المتأخرين عن العصر الرسولي جملة مصنفات أخرى يجدها القارئ في كتابي (مصادر الفكر الاسلامي)^(١) .

(١) وقد طبع أخيرا ضمن منشورات مركز الدراسات المسماة .

على أنه من المفيد الإشارة هنا الى أن للعلماء الوافدين الى اليمن مساهمات
جليلة في تلك العلوم وقد ذكر صاحب نفح الطيب أن أبا حيي القرطبي أحد
فلاسفة الاندلس دخل الى اليمن سنة ٤٤٢ ولقي حظوة كبيرة عند ملكها الصليحي
واستقر باليمن حتى وفاته وكان (بصيرا بالهندسة وعلم النجوم) وهذا العالم
أغفل ذكره مؤرخو اليمن مع شهرته في ذلك الوقت واحيائه للعلوم الفلسفية
في البلاد .

ومن سائلة أبي حيي كثير من العلماء دخلوا اليمن بدافع علمي بحث . وفي
العصر الذي ندرسه نجد أن السلطان المؤيد قد استقبل بفرح شديد عالم الفلك
العلامة بدر الدين حسن بن المختار ودخل على اتره جماعة من الاطباء والمهندسين
والصناع وغيرهم وفي ذلك يقول العمري (ولا تزال ملوك اليمن تسجل من
مصر والشام طوائف أرباب الصناعات) .

* * *

الحياة الثقافية

اتضح لنا من الفصول السابقة أن العصر الرسولي كان زمن علم وتعليم فلا عراية أن تظهر المدارس العلمية على مختلف الاتجاهات وبرز فيها على وجه الخصوص المدرسة الإسلامية بنسب فروعها الاختصاصية وقد كان لأهل اليمن ولع شديد بالعلوم الإسلامية وكيف لا يكون ذلك وقد ارتبط جهم بهذا الدين منذ أول ظهوره في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وترسخ في نفوسهم حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم حتى جمع بعضهم الأحاديث الواردة في أهل اليمن فجاءت مجاميع فريدة في بابها استقصاها في أوائل القرن السابع العلامة محمد بن اسماعيل بن أبي الصيف المتوفى سنة ٦٠٩ هـ في كتابه (فضائل اليمن وأهله) والقبه أحمد بن عبد الله الهسداني في كتابه (فضل اليمن) وغيرها * وكان آخرهم في العصر الحديث العلامة محمد بن علي الأهدل في كتابه (الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون) * وشغفوا بعلم الفقه لارتباطه بالتعاليم الإسلامية التي دعا إليها ديننا الحنيف ومع ذلك لم يكن تأليفهم فيه وتدوين قواعده إلا حاجة ماسة إلى ذلك ولم يدخل علماء اليمن مجال التصنيف اعتباطا كما نجد عند أكثر علماء الإسلام الذين ولعوا بالكتابة لمجرد تكثير أسماء مصنفاتهم وتعدادها فلم يعرف عن علماء اليمن كثرة المصنفات وربما مات العالم منهم عن مصنف واحد والبعض حرص كل الحرص على أن لا يترك شيئا من كتبه وانهك في العبادات والاذكار وكان أحدهم يقول لو أردت أن أضع في حرف الباء من بسم الله الرحمن الرحيم أربعين وقرا من الكتب لاستطعت لكن يسمعه من ذلك انشغاله بذكر الله *

والعالم الوحيد في هذا العصر الذي اشتهرت عنه كثرة المصنفات هو العلامة الامام يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ هـ الذي ترك مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف المجالات العلمية حتى وصلت الى نحو سبعين كتابا وعدت أبامه بكراسات كتبه فزادت كتبه على أيامه ولكن هذه الكثرة من المصنفات تختفي عند العلماء الذين أبوا قبله وبعده ولم نجدها إلا عند علماء القرن الثاني عشر والثالث عشر. وقد سئل العلامة عبد الله بن حسن الدواري المتوفى سنة ٨٠٠ هـ ، أن يضع للطلبة مصنفا في علم التفسير فقال : « فيما صنعه علماء الاسلام الكفاية » وكان أحدهم قد شرع في شرح كتاب (التنبيه) في الفقه فلما وصله شرح ابن يونس للكتاب ووجد تطابقا في المقصود محاماه كبه . .

ولهذا حرص فقهاء اليمن على استقدام الكتب الفقهية من خارج اليمن ومراجعتها بمصنفاتهم . وقد أعاد العلامة علي بن أحمد الاصبحي المتوفى سنة ٧٠٢ تصنيف كتابه المعين لما وصلته نسخة من كتاب (شرح الوجيز) للعزيزي . .

وكان استقدام المتون والشروح من أهم ما عني به الفقهاء فوصلت الى اليمن مجموعة من الكتب العلمية المدروسة في مختلف الاتجاهات العلمية . . ففي علم القرآن والتفسير ولع المفسرون بتفسير القرآن لابن النقاش على الرغم من عدم اشتهاره في موطنه الاصيلي في بغداد وقد بلغ من شغفهم به أن بعضهم كان يستحضره غيباً ويحضر الطلبة على حفظه . .

واعتنى العلماء في هذا العصر أيضا بكتاب الوسيط في التفسير للواحدى حنى إن العلامة اسماعيل بن محمد الحصرمى المتوفى سنة ٦٧٧ هـ تفرغ لوضع ملاحظات نقدية حوله . أما (تفسير الكشف للزمخشري) فله شأن كبير عند فقهاء مذهب الامام زيد ، وشرحه واخصره أكثر من عالم من أشهرهم الفقيه المفسر يحيى بن أبي القاسم العلوي المتوفى سنة ٧٥٢ هـ ، فقد وضع حاشية عليه عرفت بحاسية العلوي . واختصره في مؤلف مستقل العلامة عبد الهادي المنوفى سنة ٧٩٢ في

كتابه الجواهر الشفاف ووضع العلامة علي بن أبي القاسم المتوفى سنة ٨٣٧ هـ
أكثر من كتاب حول الكشف منها : تجريد الكشف وكتاب الدر الشفاف *
وشأن هذا الكتاب أكبر عند الفقهاء المتأخرين *

ومادنا بصدد الحديث عن الكتب الواردة الى اليمن فسنجد العلماء فد
حرصوا كل الحرص على استقدام الكتب الفقهية الشهيرة ككتب الشيرازي
والغزالي والنووي واستحضروا معها الكتب الشارحة لها * ومنذ زمن الفقيه
زيد بن عبد الله اليفاعي واقبال الناس شديد على كتب العلامة أبي اسحق التيرازي
واندفعوا في استحصال كتبه الفقهية (التنبيه) و (المذهب) و (اللمع) واعتنوا
بها العناية المائقة * وكان ابن سمره يقول في وصف كتاب المذهب الكتاب الشريف
والتصنيف المبارك الكامل غاية المجتهدين ونهاية المؤثرين الذي تفقه به المصنفون
وعليه يعتمد المفتون * ثم أطنب في وصفه وكان المذهب المقرر الرسمي لمدارس
الدولة الرسولية وقد شرحه جماعة من أفاضل الاساتذة كالفقيه عبد الله بن يحيى
الصعبي المتوفى سنة ٥٥٣ والفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨
والحسين بن أبي بكر الشعباني المتوفى سنة ٥٨٣ وموسى بن محمد الطويري
(من أهل القرن السادس) ومحمد بن اسماعيل الاحنف المتوفى (في القرن
السادس) أيضا، ومحمد بن علي المتوفى سنة ٦٣٠ واسماعيل بن محمد الحضرمي
وأحمد بن موسى بن عجيل المتوفى سنة ٦٩٠. وعلي بن أحمد الاصبحي المتوفى
سنة ٧٠٢ * وغيرهم كثر ، ولايزاحم كتاب المذهب في هذه المكانة العالية التي
وصل اليها عند علماء الدولة الرسولية سوى الكتاب الثاني للشيرازي وهو كتاب
التنبيه ، وقد بلغ الافتتان به الى حد الهوس فحفظوه وبالغوا في تجويده *.

ونادرا ما يظهر عالم من علمائهم دون أن يضع تعليقا أو شرحا عليه ، وانظر
الى هذه القائمة ليتضح لك ما قلناه فقد شرحه جماعة من العلماء الذين سبقوا
قام العصر الرسولي بسنوات قليلة فلا نذكرهم هنا وانما نشير الى أولئك الذين
شرحوه خلال ذلك العصر منهم الفقيه أحمد بن محمد السبتي المتوفى سنة

٦٧٥ والفقيه محمد بن عبد الله العمراني المتوفى سنة ٦٩٥ وأحمد بن علي العامري المتوفى سنة ٧٢١ ..

واشتهر في هذا العصر شرح العلامة محمد بن عبد الله الريمي المتوفى سنة ٧٩٢ حتى ان الدولة الرسولية احتفلت بالفراغ من هذا التصنيف في حفل مهيب وقد مر بنا ذلك .. ثم شرحه بعد الريمي الفقيه نور الدين علي بن أبي الأزرق المتوفى سنة ٨٠٩ في شرحين كبير وصغير وقفت عليهما في بعض المكتبات *

وعندما وصل (التنبيه) لأول مرة استشكلت مسائل فيه على الفقيه أبي الحسن علي بن القاسم الشراحي المتوفى سنة ٦٤٠ فحررها وبعثها الى علماء بغداد بصحبة العلامة رضى الدين الصغاني *

وكذلك كانت عناية الفقهاء بكتاب الشيرازي في أصول الفقه المسمى باللمع وقد سد ثغرة كبيرة في هذا الباب حيث كانت عناية أهل اليمن قبله بكتب محلية صغيرة ليست ذات بال وشرحه جماعة من علماء الدولة الرسولية منهم الفقيه عبد الله بن أسعد الوزيري المتوفى سنة ٦١٣ وشرحه في كتابه (غاية المطلب والمأمول) ثم شرحه الفقيه موسى أحمد الوصابي المتوفى سنة ٦٢١ وشرحه أحمد ابن مقبل العلبي المتوفى سنة ٦٣٠ *

ولما دخلت كتب الغزالي الفقهية اليمن أقبل عليها العلماء أكثر من إقبالهم على كتبه الكلامية ولهذا لم تشتهر هذه الكتب في اليمن حتى قال أحد العلماء وهو الفقيه التباعي مفضلاً كتب الغزالي الفقهية :

أحب فروعه وألحّ فيها وأكره ما يصنف في الأصول
لأن مقالته فيه مقالٌ لأرباب الشريعة والعقول
فلست بخائف للخوض فيها لأسلمَ بعد من خطر الدخول

وقد بلغ تأثير كتب الغزالي على فقهاء اليمن وصوفيتها الى حد أن أحدهم هام على وجهه وترك أولاده وأسبابه المعيشية بعد فراغه من مطالعة كتاب الاحياء

•• أما الفقهاء فكانت عنايتهم بكتب الغزالي الفقهية واستعملوا كتابه (الوجيز) و (الوسيط) في الدراسة العلمية ، وكان من أشهر المختصين بهما الفقيه محمد بن عمر التباعي وهو القائل للآيات السابقة في التفضيل بين كتب الغزالي ، وقد شرح الوسيط جماعة من كبار العلماء في ذلك الوقت منهم العلامة محمد بن عبد الله الهرمل المتوفى سنة ٦٦٨ والعلامة اسماعيل بن محمد الحضرمي المتوفى سنة ٦٧٥ وأحمد بن علي العامري المتوفى سنة ٧٢١ ومحمد بن سعيد أبو شكيل المتوفى سنة ٧٣٩ وعلي بن محمد الناشري المتوفى سنة ٧٣٩ وغيره • ويقول الجندي أن كتب الغزالي لم تصل الى اليمن إلا بعد ظهور كتب الشيرازي والعمراني بفترة ليست بالقصيرة •

ويذكر الجندي شدة عناية العلماء بكتب الشيرازي فيقول (عكف الناس عليها منذ القرن الخامس حتى الثامن حتى لم يكد أحد يتفقه بغيرها إلا بعد التفقه منها) • وقد قال بعض علماء العجم وقد أقال باليمن ورأى إقبال الناس على مؤلفات الشيرازي أن (العالم منهم متى نقل من غيرها قل أن يستجد نقله أو يستكمل عقله) • ولما ظهرت كتب النووي وانتفع الناس بها وصلت الى اليمن وزاحمت كتب الشيخين أبي اسحاق والغزالي وكان أكثر ولع الناس بكتابه (المنهاج) ولا أدل على ذلك من هذه الشروح الكثيرة التي وضعت عليه في اليمن كشرح الفقيه عبد الرحمن بن محمد البريهي المتوفى سنة ٨٢٧ وغيره ، ومنهم من حفظه عن ظهر قلب كالفقيه أبي بكر بن أحمد السهيلي المتوفى سنة ٧٤٤ والفقيه علي بن محمد الصبري المتوفى سنة ٧٥٢ وغيرهما كثير •

واشتهر في الدراسة بين الطلبة كتاب (الحاوي) الصغير للقزويني وقد أدخله الى اليمن العلماء القادمون اليها في العصر الرسولي فما كان بأسرع من إقبال العلماء والطلبة عليه حتى قام بشرحه بعض الفقهاء أمثال العلامة محمد بن حسن السراج المتوفى سنة ٧٥٠ وأبي بكر بن محمد الخياط المتوفى سنة ٨١١ وأحمد ابن أبي بكر البريهي المتوفى سنة ٨٢٥ وغيرهم •

وظل أهل اليمن في العصر الرسولي يعتنون بالكتب الفقهية الواردة اليهم حتى ظهر فيهم جماعة من فحول الفقهاء أمثال ابن أبي الخير العمراني وغيره فاستعاضوا بكتبهم عن غيرها بعض الشيء . ويطول بنا البحث لو أردنا استقصاء الكلام عن عناية أهل اليمن بكتب الفقه الواردة اليهم ، ولعلنا سنعود الى هذا الموضوع عند حديثنا عن الفنون الاسلامية .

أما اهتمامهم بعلوم الكلام والجدال فهو اهتمام ضعيف الاثر وهم بقدر قربهم من علم الفقه نجدهم نفروا كل النفور من العلوم الكلامية وخاصة مايتعلق بعلم الخلاف والفرق ولم يعرف أهل اليمن مصنفاً في هذا الفن سوى (كتاب الحروف السبعة) للفقير حسين بن جعفر المراغي المتوفى سنة ٣١٤ وهو في عقيدة الحنابلة وقد أنكر عليه المؤرخ الجندي بعض مسائل وردت في كتابه وسأل عنها شيوخه ويقول : (لعلها أدخلت عليه من قبل أهل الضلال) .

وقد نجحت في اليمن حملة الغزالي على الفلسفة وما يتعلق بعلوم أهل الكلام حتى دعا أكابرهم الى إيمان كإيمان العجائز لا يعرف الاستقصاء والتتبع في ماهية التوحيد ولم يدخل علماء الدولة الرسولية في هذا الفن الا فيما كان ضرورة لازمة يحتم عليهم البحث درسها كمعرفة أصول التوحيد وما يجب الاعتقاد به وقد حفلت بها كتبهم الفقهية ولم تفرد بمصنفات خاصة وقد حمل دعوة الغزالي في ترك التعقيد في علم الكلام العلامة اليمني الكبير محمد بن ابراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ فحمل على الفلاسفة والمناطق في كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) وفيه يقول (١) :

كم من فتى منطقي كافر نجس كالكلب بل هو شر منه في الهون
يرى وساوس أهل الكفر منقبة فهماً ويسخر من طه ويأسين
وكان الفلاسفة قد استشرى شرهم حتى كان منهم (من عادى علوم القرآن

(١) محمد بن ابراهيم الوزير ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان .

وفارق فريق الفرقان وصنف في التحذير من الاعتماد على مافيه من التباين في معرفة الاديان) • وهذا غاية ما وصل اليه الفلاسفة في ذلك الوقت •

وفي صنعاء راجت علوم المعتزلة والعلوم العقلية وانكب علماؤها في التصنيف على تلك القواعد وساعدتهم في ذلك جماعة من العلماء الباطنية كالفقيه حسين بن علي الانف المتوفى سنة ٦٦٧ هـ وابنه علي المتوفى سنة ٦٨٢ وكان علامتهم علي ابن محمد الانف المتوفى سنة ٦١٢ هو أول من رد على الغزالي فيما اتهم به الاسماعيلية في كتابه (فضائح الباطنية) فصنف الانف في الرد عليه كتابه (دافع الباطل) ووصلتهم في ذلك الوقت (رسائل اخوان الصفاء) فنأثر بها جماعة من علمائهم وألف على منوالها العلامة ابراهيم بن حسين الحامدي المتوفى سنة ٥٥٨ هـ كتابه (كنز الولد) وغيره •

وتكثر الردود في هذا الفن وهي زائدة على اللازم حتى سماه بعضهم علم الجدل والخلاف لكثرة تلك الردود والمناقضات المملة ، فقد أمضى الناس جل أوقاتهم في متابعة تلك العثرات والنقائص وما بالك برجل اشتغل أكثر وقته بمقارعة الابطال يضع في الرد على رسالة صغيرة كتابا في نحو ألف ورقة هو كتاب (التسافي) للإمام عبد الله بن حمزة •

وكان أهل السنة على الرغم من عدم ميلهم للخوض في علم الكلام نجدهم قد تابعوا المعتزلة في ردهم عليهم ووصمهم بالجبر والحشو فألف الفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني كتابا بعنوان (الانتصار في الرد على القدريّة الاثرار) ويعني بهم المعتزلة ، ثم تبعهم ابن أبي القبائل فوضع رسالته الخارقة وتلاه الفقيه منصور ابن جبر المتوفى سنة ٦٥٧ فألف في الرد على المعتزلة كتابه (الرسالة المزلزلة لقواعد المعتزلة) وآخر من رد عليهم من أهل السنة الفقيه الصوفي عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ في كتابه (مراهم العلل المعضلة في الرد على المعتزلة) وكان المعتزلة يرون في أنفسهم الذكاء المفرط والترفع عن هوة التقليد والجمود الذي وصم به أهل الحديث •

وفي هذا العصر ظهرت دعوه فكرية عظمت تدعو الى ترك السذهب ونبد
الخلافات الواقعة بين أهل الفرق الاسلاميه فظهرت كتب العلامة محمد بن ابراهيم
الوزير تدعو الى ذلك ومن يتأمل كتابه (إينار الحق) يجد الكثير من معالم هذه
الدعوة الكبيرة •

ومن الفقهاء في اليمن من جمع في عمله التبدي بين سائر المذاهب الفقهية
كالفقيه بكر بن عمر الموزعي الذي يقول عن نفسه : (أنا في الفقه شافعي
وفي المعتقد حنبلي وفي الطهارة زيدي) • رحم الله الجميع •

علوم القرآن الكريم :

أقبل الناس على كتاب الله بالعناية النامة والبحب في مصامنه ومعاني آياته •
وفي العصر الذي ندرسه بلغ مجموع حفظ القرآن حداً لا يتصوره العقل حتى
بلغ مجموع الحفظ من أسرة واحدة هي أسرة (آل أبي الخل) نحو نلأنسه
وستين حافظا يجتمعون في مسجدهم بعد كل صلاة ويختمون القرآن كله غبا •
أما عن عناية الدولة بالقرآن فانها خصصت لها مدارس مستقلة نعى بنحفظه
وإقراءه وقد عرفت مدينة زبيد الكثير من هذه المدارس وكان يدرس فيها جماعة
من مشاهير المقرئين في اليمن واشتهر في هذا العصر من المقرئين الفقيه أبو
الحسن علي بن أبي بكر بن شداد الحميري واليه انتهت رئاسة الإقراء في اليمن
كله وأخذ عليه جمهور كبير من القراء ويقول الخزرجي (مامن مقرئ في اليمن
إلا وأخذ عليه وانتشر ذكره ، فقصدوه من جميع الجهات وكانت اليه الرحلة في
علم القراءات) •

ومن علماء القراءات في ذلك الوقت جماعة من العلماء تناولهم فيما يلي
بالاختصار :

- البعلوي

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر بن زاكي البعلوي من علماء القراءات السبع انتفع به الناس وقصده الطلبة من نواحي شتى وله في هذا الفن مصنفات كثيرة توفي سنة ٧٠٨ هـ •

- الشغدري

علي بن عطية بن علي الشغدري ولد سنة ٦٠٥ وسكن جبل حفاش وعنه تلقى العلم جماعة من علماء بلده توفي سنة ٧٢٠ وله منظومة جيدة في علم القراءات

- المعبري

أبو يعقوب اسحاق بن محمد المعافري المعبري كان من علماء القراءات وله فيه كتاب (الايجاز في القراءات) توفي سنة ٨٠٠ تقريبا •

- الشنظبي

حسن بن محمد الشنظبي ولد سنة ٧٨٩ وأخذ علومه بصنعاء واشتغل بتدريس القرآن في مدارس تعز وتوفي سنة ٨٣٤ له الزراري المسفرة في القراءات •

- الشرعبي

أحمد بن محمد بن سعيد الشرعبي من أهل مدينة تعز ورحل الى مكة ودمشق وتوفي بها سنة ٨٣٧ له كتاب تكملة القراءات الثلاث ، أضاف فيها على منظومة الشاطبي الشهيرة في القراءات •

- الناشري

ومن أشهر المقرئين في العصر الرسولي العلامة الكبير عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري ولد سنة ٨٠٥ وأخذ علومه في علم القراءات عن أبي الجزري الشهير في هذا الفن وعينه الملك الظاهر مدرسا بمدينة زبيد وتوفي في الطاعون العام سنة ٨٤٨ وله عدة مصنفات في علم القراءات منها كتاب : ايضاح الدرة المضيئة في

قراءات الثلاثة المرضية ، وكتاب الدر الناظم لرواه حفص من قراءة عاصم، وله الهداية الى تحقيق الرواية في رواه قالون ، والدوري، وكتاب الدرالمكنون لرواية الدوري وحفص وقالون وغيره من الكتب القيمة في بابها •

واشتهر في آخر العصر الرسولي العلامة محمد بن ابراهيم الشاوري الخولاني المتوفى سنة ٨٦١ بكتابه الكبير المسمى فاكهة البصر والسمع في معرفة القراءات السبع •

وكان لدخول عالم القراءات الشهير محمد بن محمد الجزري المنوفى سنة ٨٣٣ الى اليمن وعقده مجالس العلم بجامع الاشاعر سنة ٨٢٨ أثر كبير في تنشيط الهمم لدراسة هذا العلم الجليل •

ولم تقتصر عناية أهل اليمن في علوم القراءات وحدها فقد شاركوا أيضا في علم التفسير ، وظهرت شروح وحواسٍ كثيرة على التفسير المعنده كما مر بنا ذلك فيما سبق، ومن العلماء من كتب تفاسير مستقلة كالعلامة المفسر عطية بن محيي الدين النجراني المتوفى سنة ٦٦٥، له كتاب البيان في التفسير • يقول المؤرخ يحيى بن الحسن في وصفه كتاب جليل جمع من علوم التفسير الموافقة للقواعد في العدل والتوحيد ونكثرت التفسير بعد ذلك فيظهر خلال العصر الرسولي أربعة تفاسير للقرآن جيدة في بابها وهي : تفسير القرآن لمحمد بن ادريس الناصر المتوفى سنة ٧٣٦ ويسمى الاكسير الابريز وله كتب أخرى في علوم القرآن الكريم للعلامة محمد بن علي الاعقم عرف بتفسير الاعقم واشتهر بن أيدي الناس في ذلك الوقت شهرة واسعة • وثالث الكتب : تفسير القرآن لمعيسى بن مفلح ، يصمه ابو الرجال بقوله : (من أعجب التفسير يشتمل على كل فائدة شريفة) • وأخيرا تفسير العلامة محمد بن حمزة بن مظفر المتوفى سنة ٨٣٦ المسمى المقاليد في التفسير يقع في أربعة مجلدات • وترك في هذا العصر العلامة أبو بكر بن علي الحداد المتوفى سنة ٨٠٠ تفسيراً مختصراً يشبه في أسلوبه أسلوب تفسير الجلالين وعرف عند الناس بتفسير الحداد •

واهتم الفقهاء بجانب آخر من التفسير عُرف بتفسير الاباب السرعة وهي تلك التي تتناول بعض القضايا السرعة ، وقد أكر عليهم هذا الخصاص في القرن الثالث عشر العلامة محمد بن على الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ • وقد استقصى آيات الاحكام في عصر بني رسول العلامة أحمد بن يحيى المرتضى وشرحها في كتاب له وكذلك العلامة محمد بن ابراهيم الوزر في بعض كتبه •

ومن أشهر مفسري آيات الاحكام في عصرنا انان من العساء وهما : الموزعي والفقهاء يوسف • وسنمرد ترجمهما فيما بعد وما عداها فمصنفاتهم لا ترقى الى درجة هذين العالمين وان كانت جيدة في موضوعها فانها من حيث الابتكار والموضوع الذي تناولوه وهم جماعة منهم العلامة محمد بن الهادي بن تاج الدين المتوفى سنة ٧٣٠ له (الروضة والغدير) ويسمى أيضا (الانوار المضية في تفسير الآيات السرعة) وهو أصل كتاب الثمرات للقبه يوسف ، كما يقول ابن أبي الرحال ومنهم العلامة المهدي بن صلاح المتوفى سنة ٨٧٧ ، له تعلق على الروضة والغدير ، والعلامة محمد بن جبريل المتوفى سنة ٨٣٦ له كتاب في تفسير آيات الاحكام • والآن مع أشهر مفسري الآيات السرعة في هذا العصر الموزعي

— الموزعي —

هو محمد بن على بن عبد الله بن ابراهيم عرف بنور الدين الخطيب من أسرة علمية تولت الخطابة بموزع وقد ذكر الجندي واحداً من أجداده وهذا العلامة متأخر عن عصر الجندي والخزرجي فلم يذكره في تاريخهما وسقطت ترجمته من كتاب الضوء اللامع للسخاوي وانما أورد ترجمته تلميذه العلامة حسين بن عبد الرحمن الاهل في تاريخه والبرهني في تاريخه أيضا ومنهما نستقي معلوماتنا عنه وهو أحق بالاهتمام والعناية •

ولد الموزعي بفرة موزع وأخذ علومه عن أساتذة زبيد ومن أشهرهم جمال الدين الريمي وغيره وقد أراد شيخه أن يواسيه بمعونة مالية أثناء طلبه العلم فأبى

ذلك وبعد نجرحه على نبوخذ درس وأفتى ولهي القبول عند الناس حتى وصفه
أحدهم بقوله : (كان إماماً عالماً علمه كالعارض الهاتل المحلي بصانيفه جيد
الزمان العاقل مستقر المحاسن والبيان فخر اليمن وبهجة الزمن الصبور الوصول
للرحم الخشوع له الباع الطويل في علم الفقه والاصول والنحو والمعاني والبيان
واللغة) • وكان مع فقره المدقع لا يكاد يدخر شيئاً في بيته فكان صاحب صدقات
واسعة وأفعال للخير وهذا بعض من أخلاقه وبقول تلميذه الاهدل : (لم ينق
لي الاخذ عن الموزعي وقت رحلتي الى (موزع) حتى وفق الله وصوله الينا في
(أبيات حسن) ، وقد قدم على الملك الناصر، فنزل عندي في بيتي فأخذت عليه اللمع
قراءة متقنة) • وجرت للموزعي حوادث جلية مع الصوفية بناها في كتابنا
(الصوفية والفقه) • وله مصنعات علمية منها كتاب (مصاييح المعاني في حروف
المعاني) في النحو وكتاب (كنوز الخبايا في قواعد الوصايا) وكتاب (الاستعداد
لرتبة الاجتهاد) وكتاب (جامع الفقه) في ثلاثة مجلدات لم يتمه • وكتاب
(كشف الظلمة عن هذه الامة) في الرد على ابن عربي الصوفي وكتابه في أحكام
القرآن يسمى (تفسير البيان في أحكام القرآن) من أفضل ما وضعه أهل اليمن
في هذا الباب وقد وقفت عليه فوجدته البحر العباب والعلم الزاخر يقع في أربعة
مجلدات كبيرة وربما تهيأ لطبعه الآن أحد العلماء • توفي الموزعي في أوائل ربيع
الآخر سنة ٨٢٥ •

— الفقيه يوسف

يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان عرف بالفقيه يوسف أحد أعلام الفقه
في عصره ولد بهجرة العين بثلاً وأخذ عنه الطلبة من كل صوب حتى أصبح المشتهر
اليه في علم الفقه ومن مصنفاته كتاب (الزهور في الفقه) وكتب (الرباض
الزاهرة) وكتاب (الثمرات في تفسير آيات الاحكام) من الكتب الجيدة أنشأ
عليه الذهبي المتأخر في كتابه (التفسير والمفسرون) توفي سنة ٨٣٢ •

علم الحديث :

كان اليمن منذ عصر الصحابة والتابعين أحد مصادر الحديث الرئيسية يرحل إليه طلابه من كل صوب ، وقد وصله أغلب أئمة الحديث من الرعيل الاول فوصله الامام عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة والامام الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عوانة وغيرهم كثير ، وهذا يدل على مكانة اليمن في علم الحديث ولا غرابة بعد ذلك أن نجد اليمن يزاحم حواضر الاسلام في الاسبقية بتدوين الحديث فألف معمر بن راشد المتوفي سنة ١٥٣ مسنده في علم الحديث فسبق به جمهور المحدثين في التصنيف حتى قال الراهزي إن أول من صنف في علم الحديث معمر ابن راشد في صنعاء وتلك أسبقية جليلة تفخر بها اليمن وأي فخر * ثم تلاه أبو بكر عبد الرزاق بن همام المتوفى سنة ٢١١ ووضع موسوعته الضخمة في علم الحديث المسماة بالمصنف فكان هذا الكتاب منهلا لكل من أتى بعده ثم تتابعت المسانيد الحديثية فأتى بعد عبد الرزاق جماعة من كبار المحدثين لا مجال لحصرهم هنا .

وقد ورث العصر الرسولي ذلك الاهتمام بعلم الحديث ، إلا أنه اهتمام انحصر في مدارسه الحديثية وتعليه ولم نجد من يؤلف فيه إلا في النادر . وكانت مجالس الحديث تعقد بعد صلاتي الصبح والعصر بمسجد الاشاعر بزييد(فينصب لقارئ الحديث منبر شرقي الجامع فيسمع قراءته كل من في المسجد) * ونادرا ما يأتي قادم الى اليمن دون أن يعقد مجلس حديث ولهذا السبب كثرت مجالس الحديث في اليمن وتعددت رواياتهم فيه وقد شهد (جامع الاشاعر) بزييد ندوات علمية كثيرة من هذه المجالس لعل أشهرها ندوة العلامة محمد بن محمد الجزري القادم الى اليمن سنة ٨٢٨ وندوة العلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني حين قدومه سنة ٨٠٦ وقد شجع ملوك الدولة الرسولية علوم الحديث وكرموا حملته

وقد خصصوا جانباً كبيراً من (دار الضيف) لسماع الحديث ومدارسته عند وصول العلماء الى البلاد وعندما وصل الى اليمن المحدث الكبير أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ هـ المعروف بالمحب الطبري كان نزوله في هذه الدار وبإشارته وضع للملك المظفر عدة كتب في علم الحديث والفقه اسمها باسمه ومن هذه الكتب كتاب (الدر المنثور للملك المنصور) جعله باسم والده ورتب فيه (كتاب الغريين) في الحديث للهروي وكتاب (الطراز المذهب المجرب في تلخيص المذهب للملك المظفر) ذكر في أوله أنه ألفه بمقتضى أمر الملك المظفر ومات عنه وهو لا يزال مسودة وألف للملك المظفر أيضاً كتاب (المحرر للملك المظفر) جمع فيه أحكام الحديث من صحيح البخاري ومسلم ووضع في (أسانيد) الملك المظفر كتابين أولهما كتاب (الاعلام لمرويات المشيخة الاعلام من سكنة المسجد الحرام) وثانيهما كتاب (العقود الدرية في المشيخة المظفرية) وغيره من الكتب فدل ذلك على اعزاز الملك المظفر لعلم الحديث وعلمائه وكان هذا الملك يرحل بنفسه الى منزل الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي ليسمع عليه (صحيح البخاري) على الرغم من كراهة هذا الفقيه للملك المظفر ومجاهرته بالانكار عليه .

وقد عرف أهل اليمن جل كتب الحديث الصحيحة وولع بها سائر العلماء على مختلف اتجاهاتهم ومشاربهم . ومع ذلك لم تستهزئ بينهم تلك الكتب التي وضعها أهل اليمن أنفسهم من القدامى في علم الحديث فلم يستهزئ مثلاً كتاب (المسند) لمعمر بن راشد أو كتاب (المصنف) لتلميذه عبد الرزاق أو كتاب (المسند) لموسى بن طارق الحججي وغيره . وكان جل اهتمامهم بصحيح البخاري وكثير منهم من حفظه عن ظهر قلب بمتونه وأسانيده كالفقيه أبي الخطاب عير بن سعيد الهمداني المتوفى سنة ٦٦٣ وغيره . وكانت أول صلة لأهل اليمن بصحيح البخاري عندما قام المحدث محمد بن أحمد المروزي المتوفى سنة ٣٧١ هـ وعقد مجلس الحديث بمدينة ذمار فأخذ عنه العلماء روايته عن المقرئ تلميذ البخاري حتى قال الخطيب البغدادي : إنه أجل من روى (صحيح البخاري) . ومن المتلقين

عنه في ذلك الوقت من أهل ذمار العلامة عبد الله بن علي الزرغاني وله رحلة الى مكة أخذ فيها عن أكابر علماء الاسلام كالعلامة (الطحاوي) والمزني وغيرهما ، وهو أقدم من روى صحيح البخاري من أهل اليمن ثم نلاه (ابن ملامس) وغيره من جمهور المحدثين والمقهاء وقلما يظهر عالم منهم دون أن يطالع هذا الكتاب العظيم مطالعة كاملة تكون في الغالب بمحضر كبير من العلماء وربما خصصوا لقراءته أشهراً معلومة كرجب ورمضان • وقد شارك في حضورها بعض ملوك الدولة الرسولية كالمظفر والاشرف وعندما وصل الى اليمن العلامة مجد الدين الفيروزابادي عقد عند أول قدومه مجلساً عاماً للحديث وشرع في قراءة صحيح البخاري بمحضر من الملك الاشرف وبعد الانتهاء من قراءته قام الشعراء بين يدي الملك بالتهنئة ومن بينهم الفقيه اسماعيل بن أبي بكر المقرئ الذي قال في أول قصيدته وكانت القراءة في رمضان :

لصومك شهر الصوم يكسى من الفخر ملابس لم تخلع على ليلة القدر

والحديث عن عناية أهل اليمن بصحيح البخاري متشعب الاطراف ، ولم تكن سائر كتب الحديث بهذا القدر من الاهتمام وان عرفوها وتدارسوها فان كتاب (صحيح مسلم) يأتي في الدرجة الثانية بعد البخاري • وقد شهد القرن السادس مدارس هذا الكتاب بجامعة الجند في حفل كبير رأسه الفقيه سيف السنة البريهي المتوفى سنة ٥٨٦ ، وعرفوا في ذلك الوقت من كتب الصحاح جملة منتخبة ككتاب (سنن الترمذي) وسنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل وانتشر بين أيديهم أيضاً (كتاب الغريبين) للهرودي فاعتنوا به العناية الكافية •

وكانت عنايتهم بمطالعة كتب الحديث أكثر من عنايتهم بالتأليف فيه كما أسلفنا فيما سبق وكأنهم استغنوا بما ألفه أهل الاسلام في هذا الصدد ، ولهذا السبب لم تظهر في هذا العصر مؤلفات معتمدة في علم الحديث سوى بضعة كتب قليلة تعنى في الدرجة الاولى بجمع الاحاديث النبوية المتعلقة بالاحكام ككتاب (شفاء الأوام) للامير الحسين بدر الدين المتوفى سنة ٦٦٢ وقد استوعب فيه

المادة من روايه أهل البت وانتشر بين فقهاء المذهب الامام زيد بن علي ولم ينسبه فأكمله من بعده جماعة من العلماء كالعلامة صلاح بن ابراهيم بن تاج الدين والعلامة صلاح بن الجلال وعلبه نروح وحواش كثيرة لعل أشهرها حاشية الشوكاني المسماة (وبل الغمام) وكنت أظن أن للفقهاء محمد بن بطلال الركني كتابا في شرح البخاري لكن اتضح لي بعد ذلك أن هذا النسخ هو من تأليف ابن بطلال علي بن خلف المتوفى سنة ٤٤٩ هـ أحد أفاضل المغرب وقد أثنى عليه ابن خلدون في مقدمته . واختصر (شرح صحيح مسلم) للمازري الفقيه اسماعيل ابن محمد الحضرمي المتوفى سنة ٧٧٦ هـ والقبه محمد بن عبد الرحمن البريهي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وشرح سنن أبي داود العلامة أبو بكر أحمد بن دعسين المتوفى سنة ٧٥٢ هـ في أربعة مجلدات مات عنها وهي مسودة . وشرح سنن النسائي في هذا العصر العلامة عبد الله بن محمد الناصري المتوفى سنة ٨١٤ هـ .

وجمع العلماء خلال هذه الفترة (أربعينات) في علم الحديث في مضامين مختلفة حسب عادة العلماء في هذا الصدد ، ولعل أقدمها أربعينية العلامة محمد ابن اسماعيل بن أبي الصنف اليميني المتوفى سنة ٦٠٩ هـ جعلها في فضل اليمن ثم تلاه معاصره العلامة محمد بن علي بن جديد المتوفى سنة ٦٢٠ هـ أربعون حديثا في فضائل الاعمال . ثم تتابعت هذه الاربعينيات فنصف فيها من علماء اليمن خلال العصر الرسولي جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطلال الركني المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (الاربعون المستخرجة من الاحاديث الحسان) ثم محمد بن عبد الله الحارثي المتوفى سنة ٦٤٩ هـ كتاب (الاربعون في الاذكار والادعية) وأحمد ابن عبد الله الهمداني له (الاربعون اليمنية في الاحاديث النبوية) وهو من أهل القرن الثامن فيما أظن ، ثم أربعينية العلامة علي بن أبي بكر الأزرق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ ، ولأحمد بن أبي بكر البريهي المتوفى سنة ٨٢٥ هـ أربعينية جعلها في أحاديث معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخرى في مناقب الخلفاء الاربعة وغير ذلك من الاحاديث المجموعة المخصصة برقم أربعين وهي تختلف من حيث الطول والقصر .

وجمع المحدثون في ذلك الوقت الاحاديث الواردة في مضامين خاصة فجمع العلامة محمد بن موسى الذوالي المتوفى سنة ٧٩٠ الاحاديث الواردة في الاخلاق والاحسان في كتابه (حديقة الازهان في شرح احاديث فضل الاخلاق والاحسان) الى غير ذلك من المواضيع المتنوعة وتلك هي جوانب من اهتمامات العلماء في علم الحديث . أما مصطلح الحديث فلم يكتب فيه غير مؤلف واحد للعلامة محمد بن ابراهيم الوزير .

على أن منسيخة الحديث ورئاسته لم تعط في العصر الرسولي إلا لاثني من كبار علماء الحديث في اليمن هما العلامة ابراهيم بن عمر العلوي وابنه سليمان وانتهت بالعلامة محمد بن ابراهيم الوزير وسنفردهم بالترجمة فيما يلي:

العلوي :

أبو اسحاق ابراهيم بن عمر بن علي العلوي من علماء زبيد الافاضل انتهت اليه رئاسة علم الحديث وكان من العلماء الكمّل حسن الاخلاق متواضعا محبوبا عند الناس وبرع في علم الحديث حتى قصدته الطلبة . ويقول الشرجي : (وإليه نرجع روايات أهل اليمن في الحديث) ودرس في (المدرسة الصلاحية) بزبيد ، وله تعاليق مفيدة على بعض الكتب الحديثية وجمع حفيده أبو القاسم بن سليمان مشائخ جده في مؤلف مستقل ، توفي بمدينة زبيد سنة ٧٥٢ .

العلوي الثاني :

هو سليمان بن ابراهيم العلوي السابق ذكره خلف والده في علم الحديث ورحل الى مكة واليه انتهت الرحلة في نواحي اليمن وسكن مدينة تعز فانتفع به جماعة من أهلها وكان يقول عن نفسه : قرأت البخاري بلفظه أكثر من خمسين مرة ، وقال الاهدل : إنه يقرأ البخاري في السنة مرتين فأكثر حتى أنى عليه نحو ٢٨ مرة ، وكان أعرف أهل عصره بعلم الحديث ودرس بالصلاحية في زبيد مدة ثم انتقل الى تدريس الحديث بالمجاهدية والافضلية بتعز واستوطنها وجمع فيها مكتبة كبيرة ومن تلامذه العلامة محمد بن ابراهيم الوزير، وكنت قد وقفت

له على إجازة لتلميذه هذا بعد فراغه من قراءة كتاب (الجمع بين الصحيحين)
للحميدي نوردها هنا بنصها لمعرفة صيغ تلك الاجازات التي كانت تكتب في ذلك
الوقت • يقول العلوي :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده لانحصى ثناء عليه والصلاة والسلام
على رسوله محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأصهاره
وأَنْصاره كلما ذكرهم الذاكرون وغفل عن ذكرهم الغافلون وبعد فانه شرفني الله
تعالى ورحل إلي وقدم علي الى بلدي مدينة (تعز) المحروس مستقر المملكة
اليمنية الرسولية عمرها الله بالعلم الشريف سيدنا الامام حقاً والمجتهد صدقاً
الفائق على أقرانه من الاغصان النبوية المؤيدة بالتأييد الإلهي المختار لله تعالى
والموفق في اجتهاده جمال العترة النبوية محمد بن ابراهيم بن علي المرتضى بن
المفضل وسمع من لفظي وقرأ عليّ ثلث كتاب (الجمع بين صحيحي البخاري
ومسلم) رحمة الله عليهما جميعا جمع الامام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي
نصر فتوح بن حصيد الازدي الحميدي الاندلسي الظاهري المذهب من كبار
تلامذة ابن حزم وأجزته باقي الكتاب لأهليته ودينه وأمانته وعلمه وبراعته وسمع
معه ما ذكرته الفقيه الصالح النبيه قاسم بن سليمان بن محمد الحنبلي ثم العمري
القادم معه وآخرون من بلادنا وأخبرتهم أنني قرأته على شبخي الامام الحافظ
المجتهد المقدم علي مقري كتاب الله تعالى أبي الحسن موفق بن علي بن أبي بكر
ابن شداد المقري الهمداني المتوفى سنة ٧٧١ قال حدثنا الشيخ الامام المجتهد
أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي الخير بن منصور التماسخي السعدي المتوفى
سنة ٧٢٩ وأجزته لحق سماعه لذلك من لفظي هو وصاحبه المذكور بروايتي
وأجزت الشريف المذكور روايته جميع ما أرويه من سائر العلوم الدينية فليرو ذلك
عني موفقا مسددا بتاريخ يوم الثلاثاء من شهر ذي القعدة سنة ٨٠٦ وكان ذلك
في منزلي في مدينة تعز المحروس حرسها الله تعالى وكتبه العبد الفقير الى الله

- سليمان بن ابراهيم بن عسر بن علي العلوي الحمي خادم الحديب البوي
- توفي العلامة سليمان بن ابراهيم العلوي بسيدية نعر سنة ٨٢٥هـ^(١)

علم الفقه :

اقتصروا أهل السنة في العصر الرسولي على تقلد أصحاب المذاهب الأربعة الفقهية ولم يخرج عن هذه القاعدة أحد من علمائهم إلا فبا كان ترجيحاً لبعض الأقوال وقد أنكر الناس في ذلك الوقت على الفقيه علي بن إساعيل الحضرمي لما اجتهد في مسألة لم يجد لها نصاً في كتب الفقه المتداولة عندهم وظل الناس منابذين له حتى وجد تلك المسألة أحد أقربائه بعد وفاته بمدة طويلة ، وقد شل التقليد حركة الفقه وتطوره ولم يظهر فيه إلا جماعة من النقلة المؤؤولين للنصوص القديمة •

وقد زاده حدة وجود مؤلفات جماعة من كبار المقلدين الذين حصروا الاجتهاد على أشخاص قليلين كالنووي رحمه الله وهو من كبار المقلدين والداعين اليه ، فوقف الناس عند تشريح الجمل وتفنيدها، على الرغم من وجود بعض العلماء الذين يقارعون بعلمهم مؤسسي المذاهب الأربعة الكبار • ولهذا السبب نجد مذهب الامام زيد بن علي قد فاق في اليمن سائر المذاهب الأخرى باجتهاداته واختياراته المتنوعة وبرع فيه جماعة من المجتهدين كالعلامة عبد الله بن حنزة والامام يحيى بن حنزة والامام أحمد بن يحيى المرتضى وغيرهم وهذا الأخير عرف بقبوله للتقليد إلا أنه تقليد لا يتقيد بمذهب معين وتكثر الأقوال في هذا المذهب حتى أنها تشكل ثورة فقهية عظيمة بجانب قوله بالثورة على الحاكم الظالم ويجدها الباحث في الكثرة الكاثرة من المصنفات العلمية التي تركها الفقهاء في ذلك الوقت وقد صرح بالاجتهاد جماعة من كبار فقهاء مذهب الامام زيد منذ تأسيس هذا المذهب حتى القرن الثالث عشر الهجري • ومع ذلك لم تظهر دعوة

(١) بقى ذكر ترجمة العلامة محمد بن ابراهيم الوزر ، والكلام فيه واسع ،
 منجمل العارى، الى كتابنا : « محمد بن ابراهيم الوزر » الذي سظهر فرنسا •

الاجتهاد صريحة إلا في القرن التاسع الهجرى وقد حصل لواءها العلامة المجتهد محمد بن ابراهيم الوزير الموفى سنة ٨٤٠ ووصع في هذا الصدد رساله فبسة بعنوان (الفوائد في الاجتهاد) وقد كثر الفقهاء في هذا العصر ونحس سنعرض لهم بالاختصار في هذه العجالة العاجلة ونبتدىء أولا بفقهاء مذهب الامام زيد لأخذهم بالاجتهاد وتجديدهم في الفقه :

ابن هيجان :

سليمان بن هيجان المتوفى سنة ٦٥٢ عرف بكتابيه المذاكره في الفقه .

الامير :

ومن أشهر الفقهاء على مذهب الامام زيد بن علي العلامة الامير علي بن الحسين بن يحيى بن الناصر الحسين تلقى علومه على جماعة من فقهاء المذهب واتفق على فضله جميع العلماء توفي بعد سنة ٦٢٥ تقريبا واشتهر بكتابيه (اللمع في الفقه) شهره واسعة واعتمده الناس في كل عصر بعد زمانه وله كتب اخرى منها شرح (التحرير) للهاروني .

ابن معرف :

هو الفقيه محمد بن عبد الله بن معرف معاصر الامام أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٦٥٦ له كتاب شرح التحرير بعنوان المنهج المير .

ابن بدر الدين :

الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى ولد سنة ٥٨٢ وهو من كبار علماء اليمن في ذلك الوقت واشتهر شهرة واسعة بمصنعه (تفساء الاوام) وله كتب أخرى منها (الذريعة في أصول الدين) وبنابيع النصيحة في العفائد الصحيحة وثمره الافكار في حرب البغاة والكفار ، ومن مؤلفاته الفقيه كتاب التقرير لفوائد التحرير وهو من الكتب الشهيرة في بابها توفي سنة ٦٦٢ بهجرة رغافة في صعدة .

النحوى :

الحسن بن محمد بن الحسن النحوى كان من كبار علماء المذهب نولى القضاء بصنعاء وله عدة كتب فقهية أشهرها كتاب (النذكرة الفاخرة) وكتاب شرح الحفيظ والسراج المنير وغيره توفى سنة ٧٩١ •

فهؤلاء أسهر فقهاء مذهب الامام زيد وهم كثره كاثرة استقصينا تراجمهم في كتابنا (مصادر الفكر الاسلامي في البس) فلا نعود اليها هنا •

أما فقهاء المذهب الشافعى فهم علماء الدولة الرسولية الرسيون وعلى أيديهم قامت النهضة الفقهية بدارس اليمن في ذلك الوقت وفد نبغ منهم عدد كبير نقتصر هنا على ذكر الأهم منهم فقط .

القلعي :

أبو عبد الله محمد بن علي الحسن القلعي جاء الى البس من الشام وكان فقيها جليلا انتفع بكنبه أغلب أهل ظفار وحضرموت وعنه انتشر الفقه الشافعي في تلك النواحي ومن مصنفاته كتاب (قواعد المهدى) ومستغرب المهدى وإيضاح الغوامض في علم الفرائض وغيره توفى سنة ٦٣٠ •

الاصبحي :

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد الاصبحي كان من الفقهاء الزهاد كثير النلاوة لكتاب الله ونبغ على يديه جمع كبير من علماء اليمن منهم علي بن أحمد الاصبحي الآتي ذكره ، وكان أكثر مكوته بمصنعة (سير) ثم رحل الى مدينة (إب) بعد كثرة طلبته ، توفى سنة ٦٩١ ومن مصنفاته الفقهية كتاب (الاشراف في تصحيح الخلاف) و (الايضاح والفتوح في غرائب الشروح) و (المصباح) والوسائل والنجيح الى غير ذلك •

العمراني :

محمد بن عبد الله بن أسعد العمراني تلقى علومه بمصنعة سير وهو من شيوخ الجندي وكان فقيها فاضلا أجمع علماء عصره على مكانته في الفقه توفى.

سنة ٦٩٥ وله كتاب شرح (التنبيه) في الفقه و (البضاعة لمن أحب صلاة الجماعة)
و (ابضاح الاضحى) و (جامع أسباب الخيرات) و (مثير العزم لأهل الكسل
والفتنرات) •

الاصبحي :

أبو الحسن علي بن أحمد بن أسعد الاصبحي ولد سنة ٦٤٤ وتلقى علومه
على ابن خاله العلامة محمد بن أبي بكر وعلى غيره وأتقن علم الفقه حتى حققه
وكان علماء عصره يرجعون الى قوله وسألونه وكان جليل الخلق دائم البشر
حسن الالفة درس بالمدرسة (المظفرية) مدة فنبغ على يديه جماعة من العلماء
وكان الملك المظفر يجعله ويحترمه توفي سنة ٧٠٣ ومن أشهر مصنفاته كتاب
(معين أهل التقوى في الفقه والفتوى) عرف بكتاب (المعين) وله كتاب (غرائب
الشرحين) و (أسرار المذهب) وغيرها •

الحبيشي :

عبد الرحمن بن عمر بن محمد الحبيشي كان فقيها صالحا تولى القضاء
بوصاب فكان قوالا بالحق لا يخاف في الله لومة لائم وله مواقف مع الولاية
والحكام توفي سنة ٧٨٠ ومن مصنفاته كتاب (النظم والتبيان) و (الفناوى
الحبيشية) •

الريمي :

جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي من أشهر فقهاء المذهب النساقي في
العصر الرسولي ولد سنة ٧١٠ وتلقى علومه على جمع كبير من علماء زبيد وكان
فقيها ضليعا عارفا محققا مشغولا بالتدريس باذلاء نفسه للطلبة فكان يقوم بنفقات
المنقطعين منهم وولاه الملك الاشرف قضاء الاقضية باليمن كلها وجمع أموالا
كثيرة ويصفه الخزرجي بقوله : (كان وهابا مناعا ضاررا نفاعا) ، توفي سنة ٧٩٢
ومن مصنفاته الكثيرة كتاب (التفقيه شرح النبيه) وكتاب (عمدة الامة في اجماع
الائمة الاربعة) وكتاب (المعاني البديعة في معرفة اختلاف الشريعة) وهو من

الكتب الفريدة في بابها وكتاب (نظم النبيه) وكتاب (بغية الناسك في كيفية المناسك) و(مطلع الاشراق في الاختلاف الغزالي وأبي اسحاق) و (غرائب المذهب) الى غير ذلك من لكتب الفريدة في بابها *

الازرق :

نور الدين علي بن أبي بكر الازرق ولد بأبيات حسين وهو من شيوخ الاهدل صاحب التاريخ أخذ علومه بسدينه زبيد والنقى بعلماء مكة في رحلته اليها ثم عاد الى بلده ومهر في الفقه والحساب وافرغ للتدريس والمطالعة فلا يرى إلا مطالعا لكتاب أو مدرسا في مدرسة وأفتى نحو خسين سنة ومن مصنماته (كتاب التحقيق الوافي شرح التنبيه) وهو الشرح الكبير وكتاب (الحق شرح التنبيه المختصر) وكتاب (مختصر المهمات) للاسنوي وكتاب (نفائس الاحكام) وهو من الكتب القيمة وصفه الاهدل في تاريخه وأنى عليه * توفي الازرق سنة ٨٠٩ بأبيات حسين * ومن فقهاء المذهب الحنفي في عصر بي رسول جباعة من العلماء نذكر منهم :

ابن معطن :

الفقيه أبو بكر بن محمد بن معطن من كبار الفقهاء بزييد وعنه انتشر فقه أبي حنيفة توفي سنة ٦٨٤ *

(النحو واللغة) :

بدأت عناية اليمن بعلوم اللغة والنحو منذ مدة مبكرة تحت عوامل دينية بحنة اذ بواسطة العربية يمكن فهم أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية واشتدت عنايتهم بالعربية حتى كادت أن تذوب فيها الكثير من اللهجات المحلية^(١) ولم يعد لها أي أثر يذكر إلا فيما كان خاصا بأسماء البلدان والاعلام ، وقد اختار أهل اليمن عربية عدنان لفهم النصوص الاسلامية ، وظهر فيهم من ألف معاجم مستقلة

(١) ولو بقي الآن كثير من معردات اللهجة اليمنية لانرت العربية بكثير من الكلمات الاصيلة الموغلة في عربييتها اذ لهجة قحطان هي أصل العربية ومهدا الاول

تعنى بغريب اللغة لعل أقدمها كتاب (نظام الغريب) لعيسى بن ابراهيم الربيعي المتوفى سنة ٤٨٠ وقد اشتهر شهرة واسعة في زمنه واعنده الطلبة في كل عصر حتى إن الجندي يقول - وهو يصف عناية الناس بهذا الكتاب - : (ان من لا يقرؤه لا يعد لغويا) * وقد اقتصر فيه على ما يكثر استعماله من غريب اللغة * ولا يضارعه في الشهرة والمكانة سوى كتابه تسمس العلوم لنشوان الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ ، وهو المعجم الوحيد الذي أثر على أهل اليمن اذ لم يؤلف أحد من بعده في هذا الشأن * واكتفى الناس في اليمن بعد ذلك بكتاب (القاموس المحيط) للفيروزابادي الذي وضعه مؤلفه في مدينة (زبيد) عندما استقر به الترحال في هذه المدينة وأهدى نسخته الكاملة الى الملك الناصر الرسولي وصدره بأبيات في مدحه (١) :

مولى ملوك الارض من في وجهه مقياس نور أيما مقياس
بدر محيا وجهه الاسنى لنا مغن عن القمرين والنبراس

أما علم النحو فله شأن كبير في اليمن واستغرقت دراسته جل أوقاتهم العلمية حتى نجد منهم من أوقف حياته لتعلم النحو وتعليمه ، ولا يعد الفقيه مشاركا في العلوم الشرعية الا بعد أن يحقق هذا الفن ويتقن أصوله * وكان أكثر تفقه أهل اليمن في النحو قبل ظهور الكتب الكبيرة على مختصر الحسن بن عباد الذي عرف باسمه وتداوله الناس ، حتى إن الطالب في النحو (لا يستفتح إلا به) حسب عبارة الجندي * * وقد شرحه في (القرن السادس) في اليمن الفقيه أبو السعود ابن فتح الله * وفي (القرن الثامن) شرحه العلامة عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي وعندما وصلت الى اليمن (مقدمة ابن بابشاذ) في النحو المعروفة بالمقدمة الحسينية ولح الناس بها غاية الولع واعتمدت في الدراسة حتى أن الملك المؤيد الرسولي كان من جملة حفاظها وشرحها في العصر الرسولي جماعة من كبار العلماء لعل أشهرهم الامام يحيى بن حمزة في كتابه (الحاصر لفوايد المقدمة) وشرحها بعده

(١) القاموس ج ١ ص ٤ *

العلامة الحوي أحمد بن عنماز بن بصيص المنوفي سنة ٧٦٨ ثم العلامة عبد اللطيف الشرجي المنوفي سنة ٧٠٣ ، وأخيرا شرحه العلامة علي بن محمد بن هطيل المنوفي سنة ٨١٢ المسمى (عدة ذوي الهم) .

ثم جاء كتاب (المفصل في النحو) للزمخشري فسال الناس اليه وأعجبوا بأسلوبه حتى إن منهم من حفظه على ضخامته ، وشرحه في العصر الذي ندرسه أربعة من كبار النحاة هم : ابن عصفير المتوفى سنة ٦١٤ نفريبا ، ومحمد بن علي ابن بعبش المتوفى سنة ٦٨٠ وعبد اللطيف الشرجي وابن هطيل . ووقعت على شرح ضخيم للامام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى بعنوان (الناج المكلل) .

وأخيرا جاءت كتب ابن الحاجب النحوية وغطت على سائر كتب النحو المداولة وأصبحت شغل العلماء الناعل فلا يرجعون إلا إليها وقد اشهر كتاب ابن الحاجب (الكافية) شهرة واسعة في حين لا يكاد يذكر كتابه الآخر في النحو المسمى (الوافية) الا نادرا وأقل منهما حظاً كتاب ابن الحاجب الثالث المسمى (الشافية) وهو في التصريف . أما كتاب (الكافية) فقد دخل الدراسة النحوية في اليمن منذ زمن المصنف في القرن السابع حتى إن المؤرخ ابن أبي الرجال ينسب لابن عصفير كتابا في شرحه وهو متقدم الزمن . وشرحه في اليمن أيضا العلامة ابن هطيل السابق الذكر في كتابه (معونة الطالب) وشرحه علي بن محمد ابن أبي القاسم المتوفى سنة ٨٣٧ في (البرود الصافية) وأحمد بن محمد الرصاص في (منهاج الطالب) ، وتكثر الشروح لهذا الكتاب بعد عصرنا هذا ويشتهر على وجه الخصوص كتاب (مصباح الراغب) لمحمد بن عز الدين المتوفى سنة ٩٧٣ وقد عرف هذا الكتاب بحاشية (السيد) وشرح عبد الملك بن دعيسن المتوفى سنة ١٠٠٦ الى غير ذلك من الشروح الكثيرة .

ومن علماء النحو في اليمن من لم يكتف بشرح المتن النحوية (الشهيرة) فشارك في التأليف فيه مستقلا وقد عرف عصر بني رسول مجموعة من هؤلاء العلماء المصنفين لعل أقدمهم جمهور بن علي بن جمهور تلميذ ابن بطال الركبي

له كتاب في النحو بعنوان (المذاكرة) ومنهم أبو محمد عبد الله بن عمر الفايثي المتوفى سنة ٦٩٥ وضع في النحو كتابا جيدة منها كتابه (اللوامع في النحو) وغيره ومنهم عبد الله بن محمد بن أبي الرجال المتوفى سنة ٧٠٢ تقريبا له كتاب (إكسير الذهب في النحو) •

ومنهم محمد بن موسى الذؤالي المتوفى سنة ٧٩٠ له (الرد على النحاة) • أما منسأهر النحاة في العصر الرسولى فهم أربعة رجال سنفردهم بالترجمة فيسأيلي:
ابن يعيتس :

كنت أظن أن ابن يعيتس هذا هو ذلك العالم النحوي الشامي المولد والوفاة ومصدر هذا الاشتباه أن كليهما شرح كتاب المفصل للزمخشري ، ثم اتضح لي أن ابن يعيتس الحلبي هو غير ابن يعيتس الصنعاني فالأخير هو محمد بن علي ابن يعيتس ترجم له صاحب الطبقات وذكر أنه من أهل صنعاء وأنه برع في علم النحو واللغة ومن مؤلفاته النحوية كتاب (التهذيب في النحو) وشرح المفصل للزمخشري و (الياقوتة في النحو) و (الدرر المنظومة بالبيان وتقويم اللسان) وغيره • توفي سنة ٦٨٠ •

ابن بصيبص :

هو أبو العباس أحمد بن عثمان بن بصيبص عالم النحو والعروض ولد بمدينة زبيد وانهت إليه رئاسة هذا الفن بمدينة ورحل إليه الطلبة من أماكن بعيدة وكان جيد الفهم شرع في شرح مقدمة ابن بابشاذ فاختصرته المنية قبل اتمامه توفي سنة ٧٦٨ •

الشرجي :

تكرر ذكره في هذا الكتاب فهو سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي ولد بقرية الشرجة بين حيس وزبيد سنة ٧٤٠ ورحل إلى زبيد لتلقي العلم على ابن بصيبص حتى برع في فنه ، فعين مدرسا بالمدرسة الصلاحية وانتشر ذكره في اليمن فقصده الطلبة من كل صوب وتنقل في عدة مدارس يدرس

فيها علم النحو ثم استدعاه الملك الاشرف سنة ٧٨٢ ليقراً عليه في كسب النحو والعربية وأكرمه غاية الاكرام توفي سنة ٨٠٢ ومن مصنفاته النحوية كتاب شرح (ملحة الاعراب) ونظم (مختصر ابن عباد) ومختصر المحرر في النحو وكتاب (الاعلام لمواضع اللام في الكلام) ونظم (مقدمة ابن بابنناذ) ومقدمة في علم النحو .

ابن هطيل :

علي بن محمد بن هطيل شيخ النحاة في عصره وعليه أخذ الامام علي بن صلاح الدين وكان حرياً بأن يسيى بسبويه اليمن كما يقول ابن أبي الرجال توفي سنة ٨١٢ بمدينة صنعاء وأصله من حوث ومن مؤلفاته النحوية الكثيرة كتاب (التاج المكمل في شرح المفصل) وكتاب (عمدة ذوي الهسم) شرح المقدمة المحسنية في النحو ومعوثة الطلاب وشرح الجمل الى غير ذلك .

فهؤلاء أشهر مشاهير النحو في العصر الرسولي ولهذا العصر مساهمات أخرى في علوم العربية سنذكرها عند حديثنا عن الادب .

(علم التاريخ) :

ظل اليمن بعد خمود جذوة الفتوح الاسلامية منطويا على نفسه لايلوي على شيء إلا فيما كان متعلقا بقضاياها الخاصة ، وقد أمض كثير من المؤرخين المحليين تجاهل كتاب الموسوعات الاسلامية لتاريخ اليمن وعابوا عليهم عدم الاطناب في تاريخهم المحلي . ولهم بعض العذر في ذلك ، حيث ساعدت هوة المسافة بين اليمن والحواضر الاسلامية الزاهرة في بغداد والشام ومصر والاندلس على جهل الناس باليمن في حين كان أهل اليمن متحيزين في أنفسهم الى أحزاب فشكل هذا عاملا في ركود الكتابة التاريخية وكل الكتب التي ظهرت في تلك الفترات الغابرة هي مؤلفات الحسن بن أحمد الهمداني المتخصصة غالبا في تاريخ ما قبل الاسلام وتبعه في هذا الكلاعي ونشوان الحميري وغيرهما . . واذا ظهرت كتب تاريخية فانما هي أجزاء مبتورة تعنى بتاريخ طوائف معينة من أصحاب المذاهب

ففسلم اللحجي المتوفى سنة ٥٤٥ هـ مثلاً لا يؤرخ إلا لاتباع فرقته من الزيدية في حين كان ابن سررة المتوفى سنة ٥٨٦ هـ يعنى في تاريخه بالدرجة الاولى بتاريخ الفقهاء من السافعية ومنهم من اعتنى بأشخاص الحكام وحدهم دون غيرهم فظهرت مؤلفات مستقلة عرفت بكتب السير تؤرخ لرجال من الأئمة كالهادي يحيى ابن الحسين المتوفى سنة ٢٨٢ هـ في كتاب (سيرة الامام الهادي) لعلي بن محمد العلوى (القرن الثالث) وهذه السيرة أقدم ما وضع في هذا الباب ، ثم سيرة الناصر لعبد الله بن عمر الهمداني (في أوائل القرن الرابع) وسيرة القاسم بن علي العبادي المتوفى سنة ٣٩٣ للحسين بن يعقوب وسيرة الإمام عبد الله بن حنيفة وغيره كثير " جدا ومنهم حسم تراجم الأئمة في كتاب واحد كالعلامة حميد بن أحمد المحلي المتوفى سنة ٦٥٢ •

وظهرت في الكتابة التاريخية أيضا نزعة اقليمية تعنى بتاريخ مدن يمنية معينة وقد بدأ هذا الاتجاه المؤرخ اليمني اسحاق بن يحيى الزهري في القرن الرابع فوضع كتابا مستقلا في تاريخ (مدينة صنعاء) وقف عليه الجندي فقال في وصفه (لطيف الحجم صغير فيه فوائد جمة) ثم تلاه المؤرخ الكبير أبو العباس أحمد بن عبد الله الرازي المتوفى سنة ٥٤٥ تقريبا فوضع مصنفا حافلا في تاريخ صنعاء وكأنه أراد بهذا التأليف سد النقص في تاريخ أمهات المدن الاسلامية كبغداد ودمشق ومكة وأصفهان وجرجان وغيرها وقد بدأت بوادر هذه الظاهرة في مؤلفات الاسلاميين أمثال الازرقى المتوفى سنة ٢٥٠ في تاريخ (مكة) وأحمد ابن طبعور المتوفى سنة ٢٨٠ في تاريخ (بغداد) وأبو نعيم الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ في تاريخ (أصفهان) وغيره كثير جدا على أن مادة هذه الكتب الحديثة أكثر من مادتها التاريخية وهذا ما يجده المطالع في تاريخ صنعاء للرازي ••

ولم تظهر هناك نزعة شاملة لتاريخ البلاد إلا عند المؤرخ أبو العباس أحمد ابن علي العرشاني المتوفى سنة ٦٠٧ في مؤلفاته الضائعة فهذا الرجل نخل التاريخ اليمني واستطرد على كتاب الموسوعات الاسلامية كالطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ

والقضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ في تجاهلهم لتاريخ اليمن ووضع كتبها حافلة أقل ما يقال عنها أنها أرّخت لليمن عامة ، وكان من الممكن اعتبار الاديب عمارة اليمني رائد الكتابة التاريخية لليمن لولا أن حسه الادبي غلب على اتجاهه التاريخي فأتت في كتاباته فجوات كبيرة ..

على أنه يجب أن لا ننظم تلك الكتب الناقصة فإن فُيها من التخصيص والاحاطة بالموضوع ما فيه الكفاية . وكان العصر الرسولي رائد التخصص التاريخي ، ففيه ظهرت جوانب من ذلك التخصص كالاهتمام - مثلاً - بتاريخ مجاميع في التراجم تعنى بتراجم تلك الأسر العلمية وهي مزيج " من كتب الانساب وكتب التراجم . وكان المؤرخ أبو بكر بن أحمد بن دعيسن المتوفى سنة ٧٥٢ هـ هو أول من فتح الباب من الكتابة التاريخية، وأرّخ في كتابه « لأسرته من بني مجموعة محمد بن العفيف في تراجم مشاهير أسرته ، وبعد دعيسن » . ثم ظهرت ذلك كتب العلامة محمد بن عبد الله الناشري المتوفى سنة ٨٢١ كتابه غرر الدرر في تاريخ أسرته وأكملته من بعده جماعة من علماء آل ناشر ..

ومن كتب التراجم المتخصصة تلك التي تعنى بتراجم رجال (فن) واحد من فنون العلم كعلم النحو الذي أرّخ لرجالته في اليمن المؤرخ أبو العباس أحمد ابن علي العرشاني المتوفى سنة ٦٠٧ وتلاه ابن عبد المجيد اليماني في كتاب (اشارة التعيين في طبقات النحاة واللغويين) ومنهم من أرّخ لعلماء مدينة معينة فكتب العلامة عبد الله بن زيد العنسي كتاباً عن علماء سنحان بعنوان « مناهج البيان » وكتب عن علماء تعز المؤرخ أبو عفان عثمان بن محمد الشرعبي المتوفى سنة ٨١٧ ومن الكتب التاريخية ما تخصص في تاريخ البلدان وقد مر بنا كتاب الرازي في تاريخ صنعاء ثم تاريخ زبيد لمحمد بن أسير وابن الديبع ..

أما كتب التاريخ ، وأعني بها تلك الكتب المجردة من التراجم فهي نفسها قد عرفت تسيئاً من التخصص حيث وضع المؤرخ محمد بن حاتم المتوفى سنة ٧٠٢ أول كتاب منحصص يعنى بتاريخ دولة واحدة في اليمن ، وهي دولة

الغزّ وأتباعهم من ملوك بني رسول ، ثم تطوّر هذا الاتجاه على يد المؤرخ الحسن بن علي الخزرجي في كتابه « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » . ووضع في هذا العصر المؤرخ علي بن أبي بكر الناصري كتابا خاصا في أخبار دولة الملك الناصر بعنوان (روضة الناصر) .

وقد ساهمت كتب (السبر) في تدوين سير الأئمة في ذلك الوقت فكذب فيها المؤرخ يحيى بن أبي القاسم سيرة (الامام المهدي أحمد بن الحسن) المقتول سنة ٦٥٦ . وكتب العلامة الهادي بن ابراهيم بن الوزير كتابين في سيرة الامام الناصر صلاح الدين وللإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضي (سيرة) كتبها ولده الحسن .

وهكذا نجد عصر بني رسول قد أسس القواعد المنهجية لكتابة التاريخ في اليمن فحذا حذوها كل من أمي بعد هذا العصر من المؤرخين . والمتأمل لما كتبناه في كتابنا (مدرسة التاريخ اليمني) يجد الكثير من هذه الانجاهات وتأثير هذا العصر عليها . . والآآن مع قسمي التاريخ الرئيسيين ، وهما الحوليات والتراجم . . وهنا نجد صعوبة كبيرة في التفريق بين هذين النمطين لأن كثيرا من الكتب التاريخية قد جمعت بين كتابة الحدث التاريخي وفن الترجمة . كما هو الحال عند المؤرخ الجندي والاهل ، وقليل ما تجد من يفرق بينهما كالمؤرخ الخزرجي الذي خصص لكل منهما كتابا مستقلة ، ومع ذلك فإن مؤسس كتابة الحوليات في العصر الرسولي هو المؤرخ البسني بدر الدين محمد بن حاتم البامي صاحب كتاب السط الغالي الشس ، وقد سائر أحداث الدولتين الايوبيه والرسولية بكل عناية ودقة . ثم تلاه المؤرخ عباد الدين بن علي الحمزي المتوفى سنة ٧١٤ في كتابه الضخم (كنز الاخبار في السبر والاخبار) وهو من موسوعات العصر الرسولي ونادرا ما يوجد كاملا ، وقد أراد أن يؤرخ فيه للعالم الاسلامي قاطبة ، فبدأ أجزاءه الاولى بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم سيرة الخلفاء الراشدين من بعده ، وتاريخ الدولة الاموية والعباسية وغيرهم من ملوك الشام والمغرب ومصر والعراق

وفي آخر الكتاب وضع نبذة في تاريخ اليمن الى زمن المؤلف . ويقول المؤرخ « زباره » في وصف هذا الكتاب إنه (مأخوذ من فاريح المسعودي وابن الاثير والطبري وغيرهم) وألّف في التاريخ العام بعد الحزبي الاديب تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة ٧٤٤ كتابه (بهجة الزمن) الذي وضعه بإشارة من النويري وفيه نجد سعة اطلاع المؤلف ودقته في وصف الاحداث مع منهجية علمية لا تنكر وتميز بحسن النبوي و إيجاز العبارة ، ولانسعرب هذا الاسلوب على المؤلف فهو صاحب ثقافة واسعة واطلاع عام . وعلى أسلوب ابن عبد المجيد في نبويه لأحداث التاريخ اليمني حسب الدول وضع الملك الأسرف الرسولي المتوفى سنة ٨٠٣ كتابيه (العسجد المسبوك) و (فاكهة الزمن في تاريخ اليمن) وفيه من الدقة وحسن التنسيق ما يقف عنده علم الملك الرسولي ووقته ، ومن الباحثين المعاصرين من ينسك في نسبة الكتاب الاول للملك الاشرف^(١) . ويرجح أنه من تأليف الخزرجي الآتي ذكره . وأخيرا بلغ علم التاريخ قمة النضج بالمؤرخ علي بن حسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ ، وهو أستاذ هذا الفن في اليمن وصاحب الزعامة فيه وبوجوده يذكر تاريخ دولة بني رسول وأمجادها العظيمة فهو صنيع هذه الدولة ومعرفها .

ثم ظهرت الشمولية في تأريخ اليمن عامة والمحلي في آن واحد حيث وضع المؤرخ عبد الرحمن بن محمد الحبشي المتوفى سنة ٧٨٢ تأريخ اليمن عامة وتاريخ بلده وصاب في كتابه (الاعتبار في التواريخ والآثار) وكتب أخرى في هذا الباب استقصيناها في بحث آخر .

وكل هذه الكتب أضافت مادة رئيسية للتأريخ إذ هي المدخل العام لفهم تاريخ البلاد حيث شكلت في عمومها ترابط الاحداث وتناسق الفترات حتى لا تكاد تفقد عند زمن يفصل بينه زمن آخر .

(١) أنظر بحثا حول هذا الموضوع للاسناد مصطفى جواد في مجلة المورد .

أما فن التراجم فهو التقى الآخر لعلم التاريخ ، وقد ولع به أهل اليس الولوع النام وارتبط بنزعة دبنة خاصة حب حفظت فيه عبادات الصوم ومجاهداتهم وسلوكهم النسخي واعتبر ندوبنها للعظة والاعتبار وتنسب الهسم ، ولهذا السبب تقف دائما في هذه التراجم على أخبار العباد والصالحين ومنهم من كتب هذه التراجم بقصد التعريف بعلماء اليمن وسد النقص العام الذي أصيبت به الموسوعات الإسلامية فبما يتعلق بعلماء اليمن وصلحائه ، وأنت تلس هذا التسعور منذ زمن ابن سمره في القرن السادس حتى آخر العصر الرسولي في زمن العلامة أحمد بن أحمد الشرجي المتوفى سنة ٨٩٢ هـ الذي يقول في مقدمة كتابه (طبقات الخواص) أنه (لم يرَ أحدا من المؤرخين قد تعرض لذكر أحد من أهل اليمن وانما يذكرون أهل الشام والعراق والمغرب ونحو ذلك) وبهذا الدافع القوي كتب المؤرخون في اليمن تراجم مشاهيرهم من العلماء والزهاد . .

وقد بدأت كتابة التراجم المرتبة حسب الطبقات بالمؤرخ اليمني مسلم الحجبي المتوفى سنة ٥٤٥ هـ تقريبا في كتابه « أخبار الزيدبة » الذي خصصه في تراجم علماء هذا المذهب ورتبه على خمس طبقات الطبقة الاولى في المعاصرين للإمام الهادي يحيى بن الحسين وأبنائه والثانية في المعاصرين للمختار من بني الضحاك وغيرهم والثالثة في ذكر الآخذين عن الطبري القادم الى اليمن والرابعة في الآخذين عن مطرف بن شهاب شيخ المطرفية والخامسة في المعاصرين للمؤلف . . وهكذا نجد هذا الكتاب أول مؤلف يوضع في طبقات علماء اليمن وأبنائه ، وليس كتاب ابن سمره الآتي ذكره كما يزعم الاستاذ فؤاد سيّد بأنه أول مؤلف في طبقات علماء اليمن .

ثم تلاه ابن سمره ووضع كتابا حافلا في طبقات فقهاء اليمن من أهل السنة ورتبه على سبع طبقات من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى زمنه في القرن السادس ثم ألحق بآخر الكتاب فصلا في تراجم الفقهاء حسب البلدان وهي طريقة عجيبة توسع فيها من بعده المؤرخ الجندي والاهدل حتى أنهما سلكا في

ترتب كتابيها ترتيباً على حسب البلدان وقد أغنانا في التعرف بالبلدان والقري
البمنية عن مراجعة معاجم البلدان النبي نادرا ما تشير إليها كتب البلدانيات •

وهذا الجندي هو حجة علم التاريخ في العصر الرسولي ، وقد تميّز كتابه
بالانقصاء وحسن الترتيب ، وقد جعل من كتاب « طبقات فقهاء اليمن » لابن
سرة المادة الرئيسية له ثم توسع في تراجم العلماء الذين ظهروا من بعده مع
استطراد في تراجم العلماء الوارد ذكرهم في الكتاب من غير أهل اليمن وألحق
أيضا بكتابه ملاحق في ذكر الدول التي حكمت اليمن من أول الاسلام الى زمنه •

أما الخزرجي فانه خرج عن قاعدة شيخه ابن سمره والجندي وبى كتابه
في التراجم المسمى (طراز أعلام الرمن) على حروف المعجم على الرغم من تسمية
هذا الكتاب بالطبقات • وميزة كتاب الخزرجي أنه جسع مادة كتاب ابن سمره
والجندي وأضاف اليهما العلماء المتأخرين عنهما ورتبهم حسب الحروف فسهل
تناوله والرجوع اليه فأنت متلا لا تستطيع أن ترجع الى ترجمة من تراجم الجندي
إلا بعد منقه كبيرة لعدم اتباع الطريقة المعجمية النبي سار عليها الخزرجي ••

وعلى كل ، فان قاعدة ابن سمره التي تعتمد على الطبقات والتسلسل
الزمني لعصور العلماء وقاعدة الجندي التي تلزم ذكر العلماء حسب البلدان
وقاعدة الخزرجي المعجمية ، هي الطرق الثلاث التي سار عليها المؤرخون اليمنيون
بعد القرن السابع • وظهرت كتب لا تخرج عن الانساق الثلاثة • فعلى القاعدة
الاولى كتب المؤرخ الصوفي عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ كتابه
في تراجم علماء الاسلام المسمى « مرآة الجنان » جمعه من ملخصات الذهبي
وابن الجوزي وغيرها • وعلى القاعدة النائية كتب المؤرخ الحسين بن عبد
الرحمن الاهل المتوفى سنة ٨٥٥ كتابه « تحفة الزمن » وتبعه في أسلوبه المؤرخ
البريهي في كتابه « تراجم علماء اليمن » وبدأه بذكر أهل صنعاء وسار فيه حتى
وصل الى عدن وبها ختم كتابه وهو من أهل القرن التاسع وامتد عمره الى نحو
سنة ٨٩٠ هـ ولم أقف على ترجمته ولا على اسمه الكامل • وتأثر بالقاعدة الثالثة

وهي قاعدة الخزرجي المؤرخ أحمد بن أحمد الترجي من علماء آخر العصر الرسولي وبنى كتابه على حروف المعجم ثم خسه بأهل الكنى كما فعل الخزرجي . وفي العصر الرسولي وضعت ثلاثة كتب في التاريخ لم تحظ بالعناية والاهتمام فضاع بعضها وجعل شأنه ، والكتاب الاول من تأليف الفقيه محمد بن يوسف المزجد وهو بعنوان (تحفة الزمن) وقف على مخطوطته الوحيدة المؤرخ الحسين بن عبد الرحمن الاهدل ونقل اكثر مادته في كتابه المسمى بنفس الاسم أما الكتابان الآخران فأغلب الظن أنهما وضعا بإشارة من السخاوي صاحب الضوء اللامع وهما من تأليف موسى بن أحمد الذؤالي وحمزة بن علي الناشري وللسلك الافضل الرسولي كتاب في التراجم بعنوان (العطاء السنية في المناقب البمنية) وذيله (نزهة العيون) ولمحمد بن أبي بكر الخطاط كتاب في التراجم نقل عنه البريهي في تاريخه .

وبعد فان الحديث عن التأريخ في العصر الرسولي منشعب الاطراف ويكفي أن نشير هنا الى أربعة من حملة فن الكتابة التاريخية في هذا العصر حتى ندرك مدى تطور هذا الفن ورقية . .

محمد بن حاتم :

هو بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني . أقدم من دونه التاريخ في العصر الرسولي وهو أحد فرسان القلم والسيف ، ساهم في خوض المعارك الكبيرة مع الدولة الرسولية وأعطى المناصب الحكومية الكبيرة وله نظم جيد أورد بعضه في تأريخه ، ويقول ناشر كتابه إنه لم يجد معلومات كافية عن حياة محمد بن حاتم برغم التحريات الواسعة .

أما تاريخه فقد وضعه في أخبار دولة الايوبيين في اليمن وتاريخ دولة الرسوليين الى زمن الملك المظفر . وهو تاريخ حافل عجيب فيه من الاستقصاء والتحري في الرواية ما يبهز العقل ، وأهم مايلفت النظر في كتابته رصانة الاسلوب وتماسك العبارة حتى كأنك تقرأ قطعة أدبية ، وربما أفلتت في عباراته بعض

الكلمات العامية المستعملة في التخاطب العادي ، إلا أنك اذا رجعت الى أصلها وحدثتها فصيحة ، وشرح المؤلف باعته الى تأليف كتابه فيقول : إنه لم يجد أحدا من المؤرخين من صرف هسته في تدوين أخبار الغز في اليمن فأحب أن يكون السابق الى ذلك • ثم يسضي في سياق تأريخ الغز باليمن وينوسع في ذكر التفاصيل الدقيقة في تأريخهم بأمانة ودقة • وقد أحسن محففه بنشر هذا الكتاب القيّم •

الجندي :

هو شيخ المؤرخين وإمامهم في العصر الرسولي • أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي عُرِفَ بالبا ، وقد أمضى حياته متفرغا لدراسة العلوم وشغل المناصب القضائية الكبيرة ، وكان والده أحد أعيان العصر الرسولي وله مشاركة في علم الفقه والادب • وعنه نقل الابن كثيرا من معلوماته المتعلقة ببعض من يترجم لهم • • وكان والده من أكبر شيوخه في الفقه والتاريخ ، ثم تلقى بعض علومه على أكابر شيوخ عصره ، ففي الفقه درس على العلامة الكبير أبي الحسن علي بن أحمد الاصبحي وعلى الفقيه صالح بن عمر البرهوي وغيرهما • ويحدثنا الجندي عن طفولته فيقول إنه كان برحل مع والده من أقصى الجند الى (الكدري) في تهامة على حمار له • وقد استفاد من هذه الرحلات المبكرة افادة كبيرة ساعدته في معرفة كثير ممن يترجم لهم • ثم انغمس في الوظائف الحكومية القضائية فتولى أولا إمامة المدرسة المنصورية بعدن ، ثم رتب مدرسا بالمدرسة المظفرية سنة ٧٢٣ بتعز ، وبعد ذلك كلف بحسبة مدينة عدن وهي من المناصب الحكومية الهامة التي لا يتولاها إلا من كان على درجة كبيرة من الاستقامة الخلقية والعفة حيث بشرف فيها على قضايا الناس السلوكية • ومكت في هذا المنصب أكبر مدة أمضاها في الخدمة الحكومية حيث مكث فيها من سنة ٦٨٦ الى سنة ٧٢٦ وتزوج خلالها في مدينة عدن إحدى بنات الفقيه طاهر بن علي أحد تجار عدن • وقد أصيب بعد زواجه بكثرة الاولاد من البنات ولم ينجب إلا ولدا واحدا

من الذكور أسماء باسم والده ، ويعترف بفقره وكثرة عياله في كتابه مما جعله يضطر الى قبول القضاء بسوزع على كراهيه منه لهذا المنصب .

وفي سنة ٧٢٥ هـ تنتهي من خدمته في حاسبة عدن فبرحل الى زبيد ويتولى حسبتها ويعتبر هذا المنصب محنة من المحن التي نزلت عليه ، يقول : (في سنة ٧٢٥ مُحِنْتُ بحسبة زبيد لعدم قدرة وكثرة عيال) . وهذا بدل على وتوق الدولة الرسولية بهذا الرجل في نولي منصب الحسبة مرتين . وقد كاد الجندي أن يشرف على الموت قبل الفراغ من تأليف كتابه . فقد أصابه مرض شديدا بمدينة حيس سنة ٧١٧ ، يقول : (بُسْتُ من الحياة فضلا عن تمام الكتاب) . أما عن تدوين تاريخه فقد حدثنا في مقدمته أنه وضعه بدافع حب الوطن والحرص على تأريخ بلاده . فقام بهذه المهمة خير قيام . وظلت مسودات كتابه ترافقه في حله وترحاله حتى آخر لحظة من حياته . وقد حدثنا عن رحلاته الساقية في سبيل جمع المعلومات من أفواه المسنين ولم يصدده عن عزمه أن يرحل الى الأماكن المخوفة الجانب من قطاع الطرق فيحزم أمنعنه المكونة في الغالب من كنبه الفقهاء ويذهب بهمة قعساء . وقد حدثنا عن بعض هذه الرحلات فقال : (في شعبان سنة ٧٢٠ شمرت للرحلة وخرجت من الجند ومعني كتبي وصاحب بسوق الدابة وذبحت الى وصاب بقصد الاجتماع بالفقيه محمد بن يوسف الغيثي وأخذ المعلومات التاريخية عنه وعن أهل بلده حتى أتيت بموضع يسمى (العنين) وكان أخافني جماعة من الناس وقالوا الطريق اليه شاقة لكثرة المفاوز والمخاوف والبعد ، وذكروا لي أن جماعة نهبوا وقتلوا فلم ألتفت على شيء من ذلك حتى أثبت الفقيه المذكور بعدما قاسيت الشدائد خوفا على نفسي وكتبي) . انظر الى هذه المتسقة الكبيرة التي لقيها مؤرخنا في سبيل جمعه لكتابه وأين هو من هم المعاصرين لنا .

ومع كثرة رحلات الجندي القاسية في شتى أنحاء البلاد اليمنية فانه يحز في نفسه أنه لم يتمكن من الوصول الى بعض البلدان لبعد المسافة وخطورتها فهو لم يستطع مثلا دخول (مدينة الدملوه) ونواحيها فكتب الى أحد العلماء

بها يسأله أن يمدّه بمعلومات عن علماء مدينته .. وكذلك لم يدخل حضرموت ونواحيها وإنما كان ينفق الأخبار عنها من أفراد الركبان ..

وهكذا كان تأريخ الجندي نتيجة عمل مضمّن وشاقّ تقفّ عنده الهمم الكبيرة ، ولولا جلد الجندي وصبره ما استطاع أن ينجز موسوعته التاريخية ، وقد أبان في مقدمة كتابه عن شيء من فلسفته حول التأريخ وكتابته وأوضح منهجه في ذلك فقال : (أما بعد لما كان علم التأريخ من العلوم المفيدة والقلّيد الفريدة موصلًا لعلم السلف الى من خلف مميزًا لذوي الهداية عن أهل الصلف يعيد الأعصار بعد ذهابها وينبّه على خطئها وصوابها وتجديد أخبارها وآثارها ويميز أخبارها عن أشرارها وفيه يستفيد الآخر عقل الاول) الخ ..

ويذكر سبب تأليف الكتاب فيشير الى أن حبه للوطن هو الدافع الاول لوضعه لمصنفه : (فأحببت حينئذ وضع كتاب أجمع فيه غالب علماء اليمن وأذكر مع كل ما ثبت من حاله مولدا ونعتا ووفاة بعد أن أضمت الى ذلك إشادة من أعتقد أن اشادته حكم وطاعته غنم) ويقول أنه صدره أولا بتراجم العلماء لفضلهم ثم ألحق به تراجم الرؤساء والملوك وغيرهم من المتعلقين بالدولة ..

ولابنسي المؤرخ الجندي وهو يعرض أسلوبه في كتابه أن يرد على بعض منتقدي التأريخ فيقول : أليس (القرآن الكريم) قد قصّ علينا من أخبار الانبياء والصالحين والقرون الماضية والاحرى أن المناخر متى وقف على خبر من تقدمه من الفضلاء اذا سمع كيف تشميرهم واقبالهم على العلم وطلبه تاقت نفسه الى الاقتداء بهم في مسلكهم الخ .. ويحدثنا عن مصادره في الكتب فنجدها قليلة جدا لعدم وجود تلك الكتب في زمنه وهي في عمومها لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة فقد رجع الى كتاب « طبقات فقهاء اليمن » لابن سمرّة واعتبره مادته الرئيسية والى كتاب « تاريخ صنعاء » للرازي والزهرى و « المفيد » لعمارة اليمني و « تاريخ ابن خلكان » استعان به في تراجم العلماء من غير أهل اليمن وربما رجع الى غير ذلك من الكتب التي صرح بالاخذ عنها في مواضع مختلفة

من كتابه فهو يشير مثلاً أنه نقل أكثر تراجم علماء تعز من كتاب المقبه عثمان بن محمد الشرعبي المتوفى سنة ٧١٨ وأخذ أيضاً عن كتاب « السسط الغالي الثمن » لمحمد بن حاتم وعن كتاب « بهجة الزمن » لابن عبد المجيد البماني وذكر في موضع آخر أنه استفاد من تذييل المؤرخ حسن بن علي الحميري المتوفى سنة ٦٦٧ على كتاب « طبقات فقهاء اليمن » لابن سمرة * وهذه الكتب مادتها ضئيلة جداً بجانب ما استفاده من رحلاته المتعددة * *

ومن الغرائب الملفتة للنظر في حياة المؤرخين في اليمن أن الواحد منهم يظل طول عمره يرصد أخبار العلماء ووفياتهم ثم يموت فلا نجد من يكتب وفاته وهكذا مات الجندي فلم نجد من يؤرخ موته مع أنه عاش في فترة زاهره بالعلم والعلماء * إلا أن المؤرخ الخزرجي الذي عايت مؤلفات الجندي معاشة تامة يخمن أنها وقعت سنة ٧٣٠ وله في ذلك حجته القوية فهو يقول : « الذي يظهر لي أن وفاته كانت في سنة ٧٣٠ فانه ساير أخبار الدولة المجاهدية عاماً عاماً وشهراً شهراً الى اثنين شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ثم انقطع هنالك كلامه من غير إشعارنا بالفراغ مما قصد والغالب أنه بغته أجله وحضرت حينئذ وفاته رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة » *

الخزرجي :

مؤرخ الدولة الرسولية وعالمها أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر ابن الحسن بن وهاس * عرف بموفق الدين الخزرجي * ولد بعد سنة ٧٣٠ حسب قول البريهي ويؤيده في ذلك قول الخزرجي عن وفاة المجاهد سنة ٧٣٧ وادراكه قول الناس عنه في ذلك الوقت * وهذا الرجل من الرجال العصاميين حيث إنه لم يشتغل في بادئ أمره بطلب العلم وإنما كان يعمل صيباً عند أحد المعمارين في تبييض جدران البيوت وزخرفتها بالنقوش والكتابات * وشب على ذلك حتى أصبح (مقدم أصحاب هذه الصناعة) حسب قول الخزرجي نفسه * وقد أوكل إليه القيام بزخرفة المدارس والدور الملكية واسمه مثبت في بعض المدارس

كالمدرسة الافضلية وربما أمره السلطان نفسه ببشارة العماره مع جيله
المزخرفين في دار الدياج . وقد استدعاه من مدينة زييد الى تعز الوزير عسر بن
أبي القاسم بن معيبد سنة ٧٧٩ لعمارة مدرسة في ناحية المحاريب .

واكتسب من صناعته ذوق فني رفيع بجانب حسن الخط الذي يحتاجه
فن الزخرفة ككتابه الآيات القرآنية والايات الشعرية . ويبدو أن هذه المهنة
كانت مهنة راقية في العصر الرسولي حيث نولها في ذلك الوقت فاضي زييد
محمد بن مسعود بن أبي شكيل بعد نكبته في القضاء وابلائه بالديون مما
اضطره أن يسغل نفسه أجيرا بالعمارة . وكانت مهنة الخزرجي بزخرفة البيوت
من عوامل معرفة ملوك الدولة الرسولية له واكتشاف ميوله الناربخية فقربه اليه
الملك الافضل ووضع باسمه كتابه « العطايا السنية » وذيله في أغلب الظن وهو
الذي أمره بزخرفة مدرسته بزييد وزخرفة (دار الدياج) كما أسلفنا تم اشتغل
بالتعليم ودراسة الادب والتاريخ ، وبرع في علم الفراءات على وجه الخصوص ،
حتى إنه عين من ضمن القراء في الجامع المبارك بقرية الملاح ، واستأثر به الملك
الاشرف بعد وفاة الافضل وكلفه بالحج عن والدته « الأدر الكريمة » وأعطاه
أربعة آلاف درهم للحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد رجوعه الى
اليمن سامحه الاشرف في ضرائب أراضيه الزراعية « مسامحة مستمرة مؤبدة »
ووضع الخزرجي للاشرف عدة كتب في التاريخ باسمه لعل أهمها كتاب « العسجد
المسبول » الذي ينسب أحيانا للخزرجي وأحيانا للاشراف ، ويبدو أن الخزرجي
قد كتب الكتاب مرتين مرة في حياة الاشرف ونسبه اليه ومرة بعد وفاته سنة
٨٠٣ ونسبه الى نفسه حيث أبت نفسه أن يستأثر بهذا العمل الكبير من لم يتعب
نفسه في البحث والتنقيب . وهذا ليس أول كتاب ينسبه الخزرجي الى الملك
الاشرف ثم يعود في نسبته اليه فقد سبق أن نسب كتاب (العقود اللؤلؤية في
تأريخ الدولة الرسولية) اليه ثم عاد في ذلك وكان السخاوي في القرن الثامن
يعتقد أن هذا الكتاب من مؤلفات الملك الاشرف .

وعلى العموم فإن تعرب الخزرجي الى ملوك الدولة الرسولية كان سببا في ظهور مؤلفاته التاريخية وقد نرك في هذا الصدد مجموعة من الكتب القيمة لعل أهمها كتابه « العسجد المسبوك » في التاريخ وكتاب « طراز أعلام الزمن » في التراجم ويسمى أحيانا « العقد الفاخر الحسن » وعنه ينقل السخاوي وابن حجر العسقلاني * ومن كتبه التاريخية الاخرى كتاب « الكفاية والاعلام فيمن ولي ملك اليمن وسكنها من ملوك الاسلام » في تاريخ اليمن رتبه حسب الدول التي حكمت اليمن وكتابه « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » أرخ فيه للدولة الرسولية الى سنة ٨٠٣ بوفاه الاشرف وكتاب « مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن » وهو من كتبه المفقودة وكتاب « المحصول في انتساب بني رسول » وهو يعترف في هذه الكتب بفضل المؤرخ الجندي عليه ويقول : « لولا جمعه وبحثه واستقصاؤه ما تصديت لتصنيفي ولا اهتديت الى شيء من ذلك ولكني هذبت ما جمعه ورتبت ما وضعته وذيلته بمن تبعه فهو الذي شجعني على ذلك الطريق الى ما هنالك فهو في السلم شيخي وامامي وفي الحرب ترسي وحسامي برد الله مضجعه وآنس مصرعه » وهذا بعض من اعترافه بالجمل لسلفه الجندي * * توفي الخزرجي رحمه الله بمدينة زبيد سنة ٨١٢ هـ *

الاهل :

ومن أكابر العلماء والمؤرخين في العصر الرسولي العلامة حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي الاهل * من أسرة آل الاهل الشهيرة بعلمائها الاجلاء وهو من أفضل علماء العصر المحققين حيث تعددت معارفه العلمية وأصبح من كبار المنتجين في الفكر اليمني على مختلف اتجاهاته * ولد سنة ٧٧٩ تقريبا بقرية القحرية غربي « الجثة » من زبيد ونشأ بها حتى حفظ القرآن الكريم وفد نبأ أهله منذ صغره بعلو شأنه فلما حفظ القرآن الكريم رغب في الفقه وانتقل الى المراوعة قبل البلوغ فقرأ كتاب التنبيه في الفقه وحفظه ومختصر الحسن في النحو (وبداية الهداية) و (التبيان في آداب القرآن)

للنووي وكانت أكثر قراءاته على نسخه العلامة علي بن آدم الزيلعي ثم رحل الى بيت الفقيه حسين في رجب سنة ٧٩٨ فأقام بحافة السُرجة عند آل العرضي وقرأ عليهم في (التنبيه) وشرحه ثم قرأ عليهم أيضا (المذهب) و (المهاج) والاذكار للنووي وأعاد قراءة (المنهاج) على علي بن أبي بكر الأزرق السابق ذكره وطالع كتابه (مختصر مهمات الاسنوي) * ويقول: إنه استفاد عنه معرفة تاريخ علماء المذهب الشافعي وأسمائهم ونسخ تحت إشرافه كتابه (النفاث) في الفقه وقرأ عليه أمهات كتب الحديث والفقه وكان ابن الأزرق قد اكتشف في ليلته بواد النبوغ فكان ينسب عليه ويقول : إن عاش هذا باليمن لا يكون مصيها إلا هو وكان يوصي بأن يخلفه في الافتاء بعد موته ويأمره بالافتاء في بعض المسائل الفقهية أمامه وهكذا اشتدت عنايته بنلميذته فكان الاهدل يشي عليه كثيرا في تأريخه وغيره * ثم قرأ في سائر العلوم وكان يقول : « لم أر أحسن ولا أوثق من كتب الشرع والتفسير والفقه والحديث ولا يعول على ذلك إلا كل موفق » * ومن أكابر شيوخه العلامة محمد بن علي بن نور الدين الموزعي السابق ذكره وقد نزل عنده في بيته حسين فقرأ عليه في أمهات كتب الحديث * *

وتكثر مطالعات الاهدل وشيوخه وقد أفادنا عن نفسه الكثير من المعلومات الهامة فهو من العلماء اليمنيين القلائل الذين ترجموا لأنفسهم ، ويقول منحدنا بنعمة الله عليه (بارك الله لي في العلوم فعرفت ماهية كل علم لمشاركتي في علوم شتى وعرفت عقائد الأئمة من الاشعرية وغيرهم من الحنفية والحنابلة والسنية والحشوية وعرفت مذاهب المبتدعة من كل فريق وعرفت مصطلحات العلماء من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والاصوليين وحققت علوم الصوفية وميزت بين محققهم وشطاحهم وميزت العلوم المحمودة والمذمومة وعرفت مذهب الفلاسفة » وهكذا تعددت مدارك الاهدل العلمية ونادرا ما يحظى بهذه السعة في العلم شخص كالاهدل ويقول إنه يسر له سبع حجات الى مكة المكرمة وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم والمجاورة مدة بالمدينة المنورة وأجازه فيها جماعة من أكابر علمائها * *

ومن مؤلفاته العلبة كتاب الكفاية في تحصن الرواية فرغ من تبييضه سنة ٨١٨ وألف في نفس السنة كتابه (عده الباسخ والمنسوخ) من الحديث وكلاهما في الحديث . وقبل هذه السنة ألف كتابه الهام في الرد على الصوفية الشطاح المسمى « كشف الغطا في حقائق التوحيد وعقائد الموحدين » فرغ منه سنة ٨٢٦ وهو من مراجعنا الرئيسية في كتاب « الصوفية والفقهاء » وقد طبع في تونس ثم ألف (المسائل المرضية في نصرة مذهب الاسعرية) و (بيان فساد مذهب الاحتوية) ألفه بعد سنة ٨٣٠ بم صنف كتاب (النبهات على التحرز في الروايات) ووضع كتابا في شرح أسماء الله الحسنى بعنوان (الاشارة الوجيزة الى المعاني العزيزة) وكتاب (اللعة في معرفة الفرق المبتدعة) وفصيحة في الحث على طلب العلم وآدابه وشرحها وشرح دعاء أبي حربة في مجلد ضخيم بعنوان (مطالب القربة) واختصر شرح البخاري للكرمانى ومختصر كتاب خصائص النبي صلى الله عليه وسلم للنحوي وزاد فيه مواضيع ومختصر فتاوى ابن تيمية في مسائل الخلع والطلاق والحنث والكفارة وكتب في نقد البافعي وغيره من الصوفية كتابا بعنوان (تغريب السؤال) وله مجموعة فتاوى فقهية وكتاب في الرؤية وأقسامها وكتاب في طبقات الاشاعرة وكتاب (القول النضر في الدعاوى الفارغة بحياة الخضر) .

أما كتبه في التاريخ فهي قيمة في بابها وقد أعجب بها العلامة أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني واعتبرها من خير الاضافات على تاريخ الجندي . وكان قد هم « أولا أن يختصر تاريخ الياضي ويذيل عليه ثم عدل عن ذلك لعدم ذكره علماء اليمن وشرع في اختصار (تاريخ الجندي) وذيّل عليه تراجم العلماء الذين ظهروا بعده فجاء كتابا حافلا . وفيه يقول في مقدمته : « أما بعد لما وقفت على تاريخ العلامة أبي عبد الله محمد بن يوسف الجندي الذي قصد به بيان تواريخ علماء اليمن وفضلائها أردت انتخابه تسهيلا على طلابه مع ما أضمه اليه ان شاء الله من زيادات مستحسنة وسميته « تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن » وربما

نساهلت في التحقق تقلبدا للجندى على عادة المؤرخين في بعض الامور والغرض به وبأصله بيان بعض فضل السن وأهله « وهذا الكتاب من أهم ما وضع في فن التأريخ خلال العصر الرسولي • توفي الاهدل بأبيات حسن في تاسع المحرم سنة ٨٥٥ قبل انقضاء الدولة الرسولية بثلاث سنوات فقط.. »

الادب :

بعد بزوغ الاسلام في الجزيرة العربية تعددت اللهجات واللغات ولم يعد مجتمع مكة والحجاز مصدرا من مصادر البلاغة يرحل اليه طلاب اللغة والفصاحة، واذا كان هناك من مناطق قليلة احتفظت بأصالتها اللغوية في الجزيرة ، فان اليمن في مقدمة هذه المناطق اذ احتفظ اليمن بعزلته ولم يكن فيها ما يغري القادمين اليه لا من الناحية الدينية كمكة والمدينة ولا من الناحية السياسية كبغداد والشام، وهكذا فقد كان لعزلة اليمن أثر في احتفاظ البلاد بأصالتها عاداتها وتقاليدها العربية الخالصة •

وهذا لايعني أن اليمن لم يعرف العناصر الاجنبية عموما فقد دخله الفرس قبل الاسلام ومن بعدهم وقبلهم كان الاحباش • وفي عصر الاسلام دخلت جبوتس بني أمية ومن جاء من بعدهم الا • أن هذه الوفادات كانت ضئيلة جدا ولم تترك أثرها الى حد تغير الالسن والانساب •

ومع ذلك فان خوض اليمنيين غمرة الفنون الاسلامية ودخولهم فيها ينفوسهم ونفيسهم لم يترك فرصة للادب اليمني أن يبرز مكنونه ، فقد انشغل الناس بحديث السبف عن انشغالهم بحديث القلم والقرطاس • ثم استعادت الارومة اليمنية أدبها وشاعريتها بعد استقرارها في مهاجرها بعد الفراغ من الفتوحات الاسلامية ومنهم من ذكر وطنه الاول ومنهم من انشغل بوصف مباهج الحياة في البلاد المحيطة به في الشام والاندلس والمغرب • ومن الفريق الاول الشاعر يزيد بن مقسم الصدي الذي يقول في وصف قومه من الحضارم وحكومتهم في مصر :

با حضرموت هيئاً ما خصصت به من الحكومة بين العجم والعرب
في الجاهلية والاسلام يعرفه أهل الروابة والتنقيب والطلب

ولن نشير الى أدب عسرو بن معد يكرب الزبيدي فالحديث عنه يطول ،
ويكفي أن نقول في هذا الصدد إنه رائد شعر الفسوح الاسلامية قاطبة
وتسعره يعتبر الشعلة القوية في تنشيط الهمم وإلهاب النفوس *

وكانت السن في أوائل تاريخها الاسلامي محط الرحال لكثير من شعراء
العربية كعمر بن أبي ربيعة الذي نزل لحجا وتزوج بها ومروان بن أبي حفصة
وابن الشنقق وغيرهما *

ويحدثنا الهمداني عن الحركة الادبية في القرون الاولى فيشير الى أن صنعاء
وحدها قد ضمت جماعة من الادباء والبلغاء وبعض العلماء فبقول :

(ولم يزل بصنعاء عالم وفقه وحكيم وزاهد ، ومع ذلك فهم أهل تفسير
لعارض الامور وخدمه السلطان بأهبة وتملك وتنعم في المنازل وصناعة الاطعمة
ولهم الخط الصنعاني المكسر والتحسين الذي لا يلحق به) * ومن بلغائهم وأدبائهم
مطرف بن مازن ووهب منه وابن الشروذ وعلقمة بن دي جذن ووضاح اليمن وأبو
السمط الفيروزي وغيره *

ومن كتب النثر الادبي في عصر هارون الرشيد باليمن الاديب بشير بن أبي
كبار صاحب الرسائل الادبية العثر وهو خير من ضمن الآيات القرآنية في ثره *

ويكثر الادباء بعد عصر الهمداني فيتطور الشعر في اليمن حتى تصبح له
مكانة عالية ولا يضره في ذلك اهمال الادباء له في خارج اليمن ، فالقوم قد اعتادوا
تناسي اليمن في كل شيء * وقد مر بنا مثل هذا كثيرا ، ولهم بعض العذر في ذلك
لبعد البلاد عنهم وهذا عام في أدباء مصر والشام في عصر نهضتها الاسلامية في زمن
الفاطميين .. ونجد هذا حتى عند أكبر مؤرخيهم * فالصنفي لا يذكر أحدا من
أدباء اليمن في موسوعته الا من أتى الى مصر من أدباء اليمن وقابله * وقد قيض

الله لليمن في القرن السادس رحلة الادب عماره الى مصر فكان خير سفير لليمن وللادب اليمني، ولولاه ما استطاع العباد الاصفهاني أن يكتب فصل شعراء اليمن في موسوعته الادبية (خريدة القصر وجريدة العصر) ولا استطاع القاضي الفاضل أن يكون معلومات هامة عن تاريخ اليمن عامة .

والاديب عماره هو أول من أرسخ للادب اليمني بصفة جادة فقد أتحنفا في آخر كتابه المفيد بفصل قيم عن أدباء اليمن في العصور القريبة لعصره وعنه نستطيع التعرف على جماعة من أفاضل الادباء في ذلك الوقت ، وقد كتب ما كتب بدافع الحنين الى الوطن والشعور بالرابطة الادبية تجاه أدباء بلده ، فكان أن دون لنا عيوناً من الشعر الفني البديع لم نستطع الحصول عليها لولا عماره وحافظه القوية .

وقبل الدخول في ذكر الشعراء الذين ذكرهم عماره نحب أن نقول إن كتاب النثر الادبي كانوا قلة قليل العصر الرسولي والذين كتبوا في هذا الصدد لا تعدى كتابانهم جانب الجمع والتنسيق ، فإن أول كتاب وضعه أديب يمني هو للاديب أبو محمد الحسن بن محمد بن عقامة المتوفى سنة ٤٨٠ هـ وهو عبارة عن كناش أدبي يضم الحكاية والنادرة والقصيدة وأسى مجموعته كتاب (جواهر الاخبار ونوادر الاشعار) ومن حسن الحظ أن هذا الكتاب لا يزال موجوداً بين أيدينا ويؤثر عن الاديب الشاعر الحسين بن علي بن القيم المتوفى سنة ٤٨٢ هـ مجموعة رسائل انشائية كتبها على لسان ملوك الدولة الصليحية وتوجد غالباً بجانب مجموعة أشعاره .

وفي عصر عماره كتب ثلاثة من أدبائنا اليمنيين بضعة كتب أدبية وهم أحمد ابن محمد الاشعري من علماء القرن السادس وهو من قدماء المصنفين في اليمن وله مجموعة كتب في الانساب والحساب وغيره . أما كتابه الادبي فهو على أسلوب المقامات الادبية وهو عبارة عن مقالات في الكرم والعلم والخلاعة والفصاحة واللفظ والحكايات المتعلقة بالشعراء والحكايات المتعلقة بالعشاق وأخبار النساء والاخبار المتنوعة وحكايات الصالحين ، وهذه هي كل فصول كتابه المشار اليه وهو بعنوان (الباب ونزهة الاحباب) منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

وثاني أولئك الادباء عمارة اليميني نفسه وقد كتب كتابات أدبية غير شعره
ككتاب (النكت العصرية) و (المفيد) ، ويتميز أسلوبه بالبساطة وجزالة التعبير
.. وأخيرا نشوان الحميري ترك في النثر الادبي رسالته الحور العين وكتابا آخر
تأثر فيه بطريفه الاشعري السابق الذكر وأسماء (الغرائد والقلائد) ويتميز بحسن
التعبير وإيجازه •

فهذه كل حصيلتنا النثرية من أدباء ما قبل العصر الرسولي وأعني بها تلك
التي أفردت في كسب مستقلة •

أما الشعراء فهم كثيرون ، ومنهم من جمعت له دواوين كبيرة كالاديب ابن
أبي القهم والخطاب الحجوري وأبي بكر بن عبد الله اليافعي اليميني وعلي بن محمد
الوليد المنوفى سنة ٦١٢ من شعراء المذهب الاسماعيلي ، وهذا يدل على سعة
الانتاج في الادب اليميني في ذلك الوقت •

وقد حدثنا عساره عن كثير من هؤلاء الشعراء فهذا الاديب ابن عقامة السابق
من شعراء الفقهاء يصله شعر أبي العلاء المعري فينقم عليه قوله في الانكار على
الشارع :

إذا ما ذكرنا آدمأ وفعاله وتزويجه ابنيه بينتيه في الدنا
علمنا بأن الخلق من أصل زنية وأن جميع الناس في عصرنا زنا
وبجبيه بقوله :

لعمرك أما فك فالمول صادق وتكذب في الباقي من شط أو دنا
كذلك اقرار الفنى لازم له وفي غيره لغو بذأ جاء شرعنا
ولابن عقامة حفيد من ابنه محمد لا يذكر عمارة اسمه يعد من الشعراء الكبار
وقد مدح الوزير رزيق الفاتكي بقصيدة اولها :
نفسى الك كثيره الانفاس لولا مقاساة الزمان القاسي

وعاصر عسارة من بني عقامة الادب أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحمالي،
وكان شاعرا مترسلا واليه انتهت رئاسة الفقه النافعي في زييد ومن شعره
من قصيدة :

تستاقكم كل أرض تنزلون بها كأنتكم لبقاع الارض أمطار
وعلى العموم فإن بني عقامة من أعرق الاسر العلمية في زييد وشأنهم في
التاريخ اليمني يعني عن الاعاده هنا وما قدمنا الحديث عنهم إلا لأنهم من أقدم
الادباء والمصنفين في اليمن .

وأدرك عمارة من شعراء اليمن ابن المكرمان من أهل برع وكان قد أسنَّ
وجاوز المائة وهو الذي مدح الامير غانم يحيى السليمانى بقصيدة أجازة عنها.
بألف دينار وهي التي يقول فيها :

ما عسى أن يريد مني العذول وفؤ متبسم متبول
همه الهجر للغواني وقلبي سلبته خريدة عطبول

وتأثر بطريقة أبي النواس المجونية من الشعراء في ذلك الوقت الاديب أبو
العباس أحمد بن بحاره يقول عمارة كان يحذو طريقة أبي نواس في الاشتهار
بالخلاعة والمجون ، وربما مر بمنزل القاضي ابن عقامة وهو ينظم شعرا يقول فيه :

سكرات تعتادني وخمار واتشاء أعتاده ونعار
فملوم من قال اني ملوم وحمار من قال اني حمار

ومن الامراء الشعراء السلطان حاتم بن أحمد بن عمران أحد ملوك صنعاء.
وله ديوان شعر ضخيم من بين ما فقد من الكتب اليمنية واحتفظ لنا الخزرجي في
تاريخه بشيء من شعره الجزل من ذلك قوله :

أرقت وطال الليل والعقل نائمه وقد أفلت أشرابه ونعائمه
وأورى زناد الهم في القلب جذوة إذا جاش من تياره متلاطمه

وما ذاك من شوق ولا نأى معهد ولا فقد رسم دارسات معالمة
ولكن اذا خان الصديق صديقه وصارم بالاوهم من لا يصارمه
ونكب عنا من نريد وداده وسالنا من لا نريد نساله

وللسلطان حاتم شعر كثير توفي سنة ٥٥٦ هـ . فهذه ثلاثة أنساط من الشعراء
أما مشاهيرهم فهم جماعة سنسير الى بعض منهم فيما يلي :

أولهم الشاعر أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي الفهم . وقد ترجم له
ابن خلكان نقلا عن عبارة وكان شاعرا ناثرا كتب في دست الملكة الحرة أروى
الصليحية مدة طويلة ومن شعره قصيدته التي وصلت الى العراق وهي قوله فيها :

الليل يعلم اني لست أرقده فلا يغرنك من قلبي تجلده
فان دمعي كصوب الماء أيسره وان وجدي كحر النار أبرده
لي في هوادجكم قلب أضر به فيمموه وإلا قمت أنتسده
وبان للناس ما قد كنت أكنمه من الهوى وبدا ما كنت أججده

وكان يمدح الداعي سبأ بن أحمد الصليحي والمكرم زوج الملكة الحرة
ومدح الملكة الحرة أيضا ووفاته سنة ٤٨٢ هـ .

وقبل ظهور الدولة الرسولية ظهر ثلاثة من فحول الشعراء باليمن هم اليافعي
وعماره والعيدي .

فأما الاول فهو أبو العتيق أبو بكر بن عبد الله بن محمد البافعي من أهل
الجند ولد سنة ٤٩٠ هـ وكان من أدركه عماره وأثنى عليه في كتابه وتولى القضاء
في الدولة الزيرية ، ولما وصل الى اليمن الرشيد الاسواني اتصل به وأخذ عنه
علوم الادب وسائر العلوم وكان يقول : منذ بلغت عشرين سنة لم أقلد أحدا
في مسألة فقهية واتصل بالفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني صاحب كتاب
(البيان) . ويقول عماره : أدركته مقربا للامير المنصور بن المفضل والامير الداعي
محمد بن سبأ وغالب ديوانه في مدحهما وديوانه مجلدان معتدلان وشعره حسن

رائق يحتوي على الجد والهزل والرقيق وبفول في مقدمة ديوانه (لا يظن ظان
أن ذلك جهدي وكل ما عندي بل هنالك همم تسمو الى أرفع من الشعر رتبة
ومذاكرة للعلم هي أقدم منه محبة وأمور نيطة في عراها لا ترام قواها وهذه
صناعة لها من أفكار الفضلات فألي منها بحال السغب من زوال الطعام وحظها
مني كحظ الموافق من طيف المنام) الى آخر قوله الذي ينم منه عدم اكترائه
بالشعر * ومن شعره قوله :

استودع الله الذي ودعا	ونحن للفرقة نبكي معا
أسبل من أجفانه أدمعا	لما رأي مسبلا أدمعا
وقال لي عند فراقي له	ما أعظم البين وما أوجعا
ما أنت بعدي بالنوى صانع	فقلت لا أقدر أن أصنعا
ما يصنع الصبب المعنى اذا	فارق إلفاً غير أن يجزعا

توفي الياضي سنة ٥٥٢ *

وعماره هو نجم الدين عماره بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي من
أشهر شعراء العربية في عصره ولد باليمن في قرية الزرائب ونشأ في أسرة عربية
لا تنكلم إلا بالفصحى وخرج من بلده الى مدينة زبيد لطلب العلم سنة ٥٣١
فأخذ العلم على عبد الله بن الأبار وكان في أثناء ذلك يعاطى التجارة واجتمع
بالاديب ابن العيدي فأكرمه وأمره بمدح الداعي محمد بن سبا لأجل الجائزة ولم
يكن في ذلك الوقت يستطيع نظم الشعر فساعدته على إنسام القصيدة وقدمها
للداعي فأثابه عليها بجائزة وهو الذي شجعه على دراسة الادب ونظم الشعر *
بقول : ولما أزمعت السفر من عند الاديب ابن العيدي قال لي يا هذا قد تسميت
عند القوم بسمة الشاعر فطالع كتب الادب ولا تجمد على دراسة الفقه ، فكان
هذا سبب تعليمي له واشتغالي به * ولما برع عماره في علم الادب والشعر صار
من أعبان زمانه طلب وده ملوك آل زريع فكان يمدحهم بالفصائد العديدة ، ثم
رحل الى مكة واستعمل في الكتابة بين ملكها ابن فليته وملوك الدولة الفاطمية

في مصر، حتى اشتهر شأنه، فرحل الى مصر واجتمع بأدبائها، وبلغ مكانة كبيرة عند ملوكها من الفاطميين . وبعد سقوط دولتهم ظل على وفائه لهم ولم يستفزه تغير الاوضاع من حال الى حال ، حتى إن صلاح الدين وجد عليه لهذا السبب فأمر بشنقه في سجن خزانة البنود وهو ثاني أديب يماني يلقي مصرعه في هذا السجن الرهيب بعد الادب علي بن محمد التهامي المتوفى سنة ٤١٦ . وشعر عمارة كله جيد وهو مستفيض في كنب الادب التي أرخت للحياة الادبية في مصر وغيرها ووضع أحد المعاصرين كتابا مستقلا في أدبه .

وثالث الثلاثة الاديب أبو بكر بن أحمد العيدي كان من شيوخ عمارة وعلى يديه برع في علم الادب ووفد الى ملوك الدولة الزيرية فولوه كتابة الانشاء في دواوينهم وكانت قبله ضعيفة الاسلوب فأخذها وطورها وكان عندما يصل أديب الى اليمن يكون أول من يأخذ بيده وربما أعان الادباء على نظم قصائدهم ومنهم من ينتحل قصيدة لأحد الشعراء ويقدمها أمام أحد ملوك الدولة فيعلم بها العيدي فلا يعترض عليه ويعتذر له في بعض الاحيان . ومن شعره الجزل قوله:

حياك يا عدن الحيا حياك وجرى رضاب لماه فوق لماك
افتترّ ثغرّ الروض فيك مضاحكا بالبشر روتق ثغرّك الضحّاك
ووشّت حدائقه عليك مطارفاً يختال في حبراتها عطفاك

وقد امتد عمر العيدي الى أن أدرك مقتل تلميذه عمارة . وقد أسنّ وانقطع عن نظم الشعر . توفي سنة ٥٨٠ . وفي زمن عمارة والعيدي قدم الرشيد الاسواني واتصل بأدباء اليمن فكان لقدمه أثر كبير بين الادباء واتصل به جماعة منهم ويقال إنه وضع باسم زبيد مقامته (الحصية) . توفي سنة ٥٦٢ . وقدم الى اليمن في ذلك الوقت الاديب نصر بن عبد الله اللخمي الشهير بابن قلاقس المتوفى سنة ٥٦٧ ودخل عدن سنة ٥٦٥ واتصل بالاديب العيدي وجرت بينهما مكاتبات ومراسلات أدبية طريفة أوردها في كتابه (مواطر الخواطر) .

تلك اطلالة سربعة على الادب اليمني حتى بزوغ الدولة الايوبية واطاحتها بكل الدويلات الصغرة التي قامت في اليمن * وكانت هذه الدويلات بكثرتها خير معين للادباء اليمنيين ففقدوا بسقوطها موارد مادية عديدة كانوا يستعينون بها في حياتهم المعيشية * في حين فقد الشعراء في ممدوحيههم ذلك الدوق العربي الخالص الذي كانوا يجدونه عند رؤساء القبائل والدول *** ومع ذلك فان الدولة الايوبية قد أدخلت الى اليمن أدبا اسلاميا حضاريا يعتمد في أسلوبه على تلك المستحدثات التي تفنن في ابتكارها أدباء مصر والانسام وكادت تختفى من الادب اليمني صبغته المحلية التي يغلب عليها الطابع العربي الخالص ** ومع ذلك لم يكن لهذه الدولة أثر كبير في وجود نهضة أدبية كبرى واذا كان هناك من شيء يذكر في هذا الصدد فهو تلك الوفادات الادبية التي استقبلوا فيها جماعة من أدباء العالم الاسلامي كالاديب ابن عنين المتوفى سنة ٦٣٠ الذي دخل اليمن ومدح سيف الاسلام طغتكين ** والادب ابن الدلال المصري وكان قد صلب الملك المعز اسماعيل بن طغتكين وقد اشتهر بين الناس بهجائه المقذع وهجا في اليمن القاضي الاسعد فقال :

حمل الاسعد رمحا قرنه أطول منه
وتمادى يبتغي ما قدره يقصر عنه

وأدرك الاديب العيدي شطرا من أول الدولة الايوبية ومدح ملكهم الاول توران شاه بقصيدة أولها :

أعساكر سيرتها وجنودا أم أنجما أطلعتهن سعودا

وهذا كل ما يقال عن الادب اليمني في عصر بني أيوب ، إلا أنهم أرشدوا الادباء في اليمن الى أساليب غريبة عليهم من الحياة والحضارة لم يكن لهم بها عهد فكان لهم من هذا زاد ثقافي استفادوا منه في شعرهم وأدبهم *

وبعد استقرار الوضع للدولة الرسولية كان أول ما قام به ملوكها هو

تفقد الوضع العلمي للبلاد • وقد رأينا ذلك فيما سبق في الزيارات المتكررة للعلماء والمساعدات المالية للادباء وقد جذبوا اليهم الشعراء باحسانهم المتواصل وربما قدموا اليهم فأكرمهم بالعديد من الجوائز التي لم يحصل عليها أحد من فئة العلماء سواهم حتى أصبح الشعر في ذلك الوقت مصدر تكسب و ثراء كبير ثم فتحوا لهم صدورهم وقصورهم وحضروا معهم مجالسهم السرية التي كانوا يتكتمون عليها أمام الناس بما يدار فيها من متع حسبة ينكرها عليهم رجال الدين • وكثيرا ما كان الملك المظفر يستشهد أمام الأدباء بأبيات من الشعر حتى إنه استشهد ذات يوم بيت نسي مابعدده واحار في ذلك فدله أحدهم على الفقيه محمد بن أبي بكر الزوقري وكان حافظة للشعر فأنوا به الى مجلسه وقد أسن وضعفه ذهنه فسأله المظفر عن آخر البيت المطلوب وهو قول الشاعر :

« راحة الانسان حياً : بين حصني والديه »

فأجاب الفقيه على الفور ببقية البيت وهي :

« فإذا ماتا أحالا : الشفاء عله »

فقال المظفر هما والله البتان وسر بهما سرورا عظيما • فهذا نموذج مما كان يدور في تلك المجالس من مناقشات أدبية وربما اقترح بعض ملوكهم على الادباء أن يصفوا له شيئا مما كان في المجلس فيتبارى الادباء في وصف ذلك الشيء وقد اقترح الملك الناصر على الحاضرين في مجلسه أن يصفوا له (العنبا) فقال ابن المقري :

أشارت من العنبا نحوي محبة موردة ذات اصفرار وحمرة
تروق بلون بين لونين مثلما يروقك فجر بين يوم وليلة

ومن الشعر البديهي في تلك المجالس أن الامير شمس الدين علي بن يحيى العنسي أقام مأدبة كبيرة للادباء والعلماء فبعد الصمحة على الاديب عثمان بن يحيى ابن فضل فقال الامير مخاطبا الاديب :

بعد اللجوح عن الفقيه الاوحد عثمان بل خبر البرية عن يد

فأجابه الاديب مرتجلا :

ترد المراسم ان أردت بنقله ويطول منك الباع ان قصرت يدي
فقام الامير مسرعا من مكانه واحتمل الصحيفة بما فيها ووضعها بين يدي
الاديب بن فضل * * أما الادباء أنفسهم فكانت تدار بينهم مناقشات أدبيه حادة
ولا تغيب هذه المناقشات في بعض الاحبان عن أنظار ملوك الدولة الرسولية وربما
شجعوهم على ذلك * فقد حدث أن اجتمع الادباء عند الملك الاشرف الثاني فثار
الجدل بين أدباء الجبال وأدباء تهامة في تفضيل كل من العنب والتمر
فتحزب للاول أهل تعز ونواحيها وتحزب للتمر أهل نهامة * * وكان أدباء تهامة
ينعصبون دائما للسواد وبفضلونه على البياض فيرد عليهم في ذلك أهل تعمر
ونواحيها وقد تزعم أدباء تهامة في ذلك الاديب يحيى بن ابراهيم بن العمك المتوفى
سنة ٦٧٠ تقريبا الذي يقول في تفضيل السواد :

أعيدي حديثك يوم الكتيب	وسلّي به عن فؤادي الكتيب
عشية سوداء قد أقبلت	تسارقتني لحظها من قريب
وقد أمّنت رقبة الكاشحين	وسمع الوشاة وعين الرقيب
بدت تنشي من خلال البيوت	تجرر فضل الرداء القشيب
فخاطبتها فرصة العاشقين	بلفظ البريء ولحظ المريب
أرتنا القنا والنقا مائلا	قوام القضيبي وردف الكتيب
موكدة من بنات الموالي	كشّل الغزال الغريب الريب
فان لامني الناس في حبّها	فما لائي أبداً بالمثيب
يقولون سودا وما أنصفوا	وما ذاك لو نصفوا بالمعيب
فلو لا السّواد وما خصّه	به الله من حسن سر عجب
لما كان يسكن وسط العيون	ولا كان يسكن وسط القلوب
ولا زين الخال خد الفتى	ولا حسن النقش طرز الاديب

أما حجر الركن خير الحجار أما المسك أطيب من كل طب
أما شغف الناس في دهرهم بحمد التباب ودم المشب
ولا يحسن العين مرهى الجفون ولا الكف ان لم يكن بالخضب
ولا كل عين كعين المحب ولا كل قلب كقلب الحبيب

ويكثر بين الادباء مدح البلدان أو ذمها ومنهم من يتعصب لبلاده ويذم
سواها ، وقد تطور هذا الفن بعد ذلك فعرف بأدب (المفاخرات) وخير شاهد
عليه مقامة (أقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب) وقد دخل الاديب
عبد الباقي عبد المجيد اليماني مدينة عدن فلم تعجبه الاقامة بها لحرها فقال يذمها:

عدن اذا رمتُ المقام بربعها فلقد أقمتُ على لهيب الهاوية
بلد خلا عن فاضل فصدوره أعجازُ نخلٍ خاويه

ويفاضل الاديب عثمان بن عمر الناشري المتوفى سنة ٨٤٤ هـ بين الجبال
والتهائم فيفضل الاخيرة يقول :

تذكرت في نفسي فلم أرَ زكّة كزلة من باع التهائم بالجبل
وأصبح عن ربع الأجنة نازحا يسائل عن هذا وعن ذاك ما فعل

ومن هذا الفريق الذي يفضل التهائم على الجبال الشاعر ابن المقرئ يقول
في ذم الجبال :

متى تدع الجبال على أناسٍ جلودهم وأعظمُهم حديد
ففيهما يؤكل الانسان حيّاً وان هو ضمه برج مشيد
يبيت وجسمه للبق مرعى وللحشرات من دمه ورود
اذا ما جئن فيها الليل أمست تمزق في نواحيها الجلود
وبرد يرقص الانسان منه بلا طرب ويرتعد الجليد

ويقول في ذم جبلة وبردها :

يا ليل جبلة هل لفجرك مطلعٌ هيهات قد ناديت من لا يسمع

يمتلي الهويا نحو جيلة صبحها كرها وحين يسير عنها بسر
ويفبم فيها ساعة متلفنا ويغيب نافي دهره لا برجع
لا نكرن عليه قطع وصالها فوصال أرض مثل جيله تُقطع
واذا تهامي شكّي ضبعة سحر فهو بأرض جيلة أضع

أما الاديب عبد الله بن جعفر فانه ينكر على كل من يذم الجبال ويقول :

قالوا الجبال بها صبق فقلب لهم «سم الخطاط مع الاحباب مدان»

وكانت هذه المجادلات الادبية تدار بين الادباء فنشط هسهم وبصل
قرائحهم فهم يسعون بها في اثارذ مواضع محله بخنة لا يقلدون فيها أحدا من
أدباء العالم الاسلامي . وقد انتشر بينهم الثقافة الادبية على أكمل وجوهاها
وولع الادباء باسنجلاب الدواوين الشهيرة على مختلف عصورها وكان اهتمامهم
بشعر الجاهلبن الا في النادر وقد أحب الناس في ذلك الوقت شعراء العصر
العباسي أمثال بنسار بن برد وأبي تمام والبحري وأبي نواس وغيرهم ومنهم من
عنى عناية خاصة بشعر المتنبي واستظهره عن ظهر قلب حتى أن الجندي يصف
حساعة من أدباء عصره فيقول إنهم سلكوا طريقة المتنبي في الشعر . أما أبو
نواس فقد انتشرت أشعاره في صنعاء منذ زمن الهذاني وناقلها الادباء على
مختلف طبقاتهم ومهم من اتبع طريقته في الغزل والخريات كما سيبينه فيما بعد .

وتناقل الادباء كتاب (الحساسة) وحفظوا أكثر ما فيه وهو كتاب في الشعر
يحتوي على أجود ما في الشعر الجاهلي والاسلامي من مقطعات والمتبع للمكتبات
الخطبة في اليمن يجد نسخا كثيرة من هذا الكتاب منها ما يعود الى ما قبل زمن
بني رسول بسنوات عديدة . ولا بزاحمه في هذه الشهرة سوى كتاب (مقامات
الحريري) والذي ولع به الادباء وتناقلوه فيما بينهم منذ زمن الامام الصغاني
وقدومه الى اليمن في القرن السابع وعنه ينقل الادباء روايته لهذا الكتاب ومن
الادباء في اليمن من أدرك الحريري وأخذ عنه مقاماته كالاديب عبد الله بن العباس

الشاكري • والمقامات هو الكتاب الادبي الوحيد الذي قام الادباء بسرجه وحل ألفاظه في العصر الرسولي نلانه من الادباء هم الادب محمد بن أبي القاسم الجبائي المعروف بابن المعلم وقد عرف سرجه بشرح الجبائي ونوفي دون اكماله ثم سرجه في عصره في القرن السابع الاديبي علي بن عجيل المتوفى سنة ٦٤٠ الذي أكمل فيه (شرح الجبائي) وكان هذا الكتاب من الكتب المحببة عند جميع الناس بما فيهم الفقهاء الذين كانوا غالبا ما يستروحون الى مطالعته وينهلون من فوائده وكان الفقيه أحمد بن عمر المزجد السيفي المتوفى سنة ٩٣٠ اذا سئم من القراءة والمطالعة استدعى بمقامات الحريري فيطالع فيها ويسميها (طبق الحلوى) •

ولا عراة في ذلك فكتاب مقامات الحريري جذب اليه كل فئات المنقنين بنوع علومه ، وقد صاغه في أسلوب قصصي محبب الى النفوس، وبقي أمام الادباء تحدي الحريري في مقاماته على أن بأتوا بيت تال لبيته التجنيسيين الآتين:

سم سمه تحمد آثارها واتسكر لمن أعطى ولو سمسه
والمكر مهما اسطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

فتصدى لتحديه جماعة من الادباء في مصر والشام كالاديب عثمان البلطي الذي يقول :

محلمة العاقل عن ذي الخنا توقظه ان كان في محلمه
مكلمة الخائض في جهله تصيب من يردعه مكلمة

وغير هذه الابات •• أما في اليمن فنجد ابن المقري قد تحدى الحريري في أبياته وأضاف عليها خمسين بيتا جعلها في مدح الملك الناصر يقول فيها بعد بيتي الحريري:

والمس لمهوى أحمد طاعة يرضى بها المسلم والمسلمه
والمحك مهواة فدعه لمن يرى القضا للسيف والمحكمه
من لج مهوجا تراءى له من ابن اسماعيل من لجمه •• الخ

وهكذا كان تأثير الحريري على الادباء مستمرا وقد استفادوا منه طريفة
البديعة العجيبة وحاولوا تقليده في نظمهم وثرهم *

ومع ذلك فان مدرسة البديع قد تأخر ظهورها في اليمن على الرغم من
انتشار مقامات الحريري عندهم ولم تظهر الا في زمن ابن المقري وأمناله وليس
هذا فصورا عند الادباء وانما في أغلب الظن عدم اسنساغة لما أتى به البديعون
من تكلف تمجده الاذواق السليمة وقد أنكر عليهم بديعهم في القرن الثالث عشر
العلامة محمد بن علي الشوكاني. وكان ابن عبد المجيد يعيب على القاضي الفاضل
بديعه ويفضل عليه نصر الدين بن الاثير في كتابه : المثل السائر *

واخترع الادباء في اليمن وغيره أساليب أدبية أخرى ولدتها لهم طريفة
الحريري من ذلك التلاعب بالحروف والاعراب والجناس الى غير ذلك مثلا تقرأ
رسالة للحريري التزم في كل كلمة منها حرف السين فقال :

باسم القدوس استفتح وباسعاده أسننحج سجية سيدنا سيف السلطان
سدة سيدنا الاسفسهلال السيد النفيس سيد الرؤساء حرسه نفسه واستنارت
شمسه وبسق غرسه * الخ *

وعندما قرأ الادباء هذه الرسالة أعجبوا بها في مصر والشام ووصفها
الاصفهانى بشيء من التقدير والدهشة حتى ما انتهى الوضع الادبي في اليمن
الى الازدهار حاكى أسلوب الحريري جماعة من الادباء منهم الاديبي علي بن
محمد الناشري المتوفى سنة ٨١٢ الذي كتب رسالة الى الملك الاشرف التزم فيها
الحروف المهمة فقال :

(أعلا الله سماء سمو علاك ورعاك صدورا وورودا وجماك وأسمى أسماك
على السماء وكلأك مدى الدهور وعمرك لكل معمر وأكمل لك عددك وسدد
أودك وملكك على هام الملوك وسهل لك وعمر السلوك كم عدو سالك وكم سؤال
أملك دام مدى السعود لك ما ملك الله ملك ومحررها أحال الدهر حاله فحرر

سؤاله وأعلم رحاله مؤملا الآمال ولا عمل الا المدح وهو أعلى الاعمال ومراده
العود مسرورا وطوال أعداه حولا وعود^(١) .

وكان الناشري أول من اسعمل هذه الطريقة الحرفية في نشره وجاراه في
أسلوبه جماعة من الادباء حتى كادت هذه الطريقة أن نشل انتاج كثير من الادباء
وتحواله الى كنلة من الالفاظ العقيمة وقد بلي بهذا المسلك العقيم الاديب ابن
المقري على عظم قدره ومكاته الادبية . ومن يتأمل كتابه (عنوان الترف الوافي)
يجد الحد النهائي الذي وصلته سيطره الحروف الهجائية على النشر بل تعدت
هذه السطرة مجالها الطبيعي وهو النشر الى الشعر وظهر جماعه من الشعراء
ولعوا بنجميع تلك الاحرف ووضعها في شعرهم فهذا الاديب أبو الحسن علي
ابن موسى الهاملي المتوفى سنة ٧٢٠ هـ بذكر عنه المؤرخ الخزرجي أنه استطاع
أن ينظم قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أورد في كل بيت منها
منها حروف المعجم كلها وفيها يقول :

المصطفى الهاشمي غوت الخلايق لذ	يسعدك تربع نقض نظفر بحسن تغن
تنب وتجز بمدح الهاشمي على	فصنع قريضك خذ سبط النظام هني
ثواك طيبة عز الارض حبلها	قد خص بالحظ مشغوفاً بذى الحسن
خلاصة المجد ثبت العز سطوته	كشافة الظلم أضحى غير ذي قنن
دعا يحج هلا بلغت كي يشفى ضنى	ظل مزري السخط ودق وضمن
ذو الحوض يقصده العطشى بغيثهم	يروى فيجزى ضما حاشا كلا البدن
رسول ذي العرش دمث الخلق لا ضجر	كن بعض حظ هذا الطول بالمديني
زد في الثنا تحظ واستصف القريض تعش بالابلج الثغر مغبوطا هناك غنى	تخلط تزغ عن حفاظ والتذى الحسن
صف المدثر بالتقريض جهدك لا	
الى آخر هذه القصيدة العجيبة .	

(١) الخزرجي طراز أعلام الزمن ونقلها عنه السخاوي في الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٩١

أما ابن المقري فانتاجه الادبي بدع أخرى من ذلك التلاعب بالالفاظ وهو لم يكتف بأن جمع حروفا معينة وانما استطاع بجانب ذلك أن يكتب قصائد تقرأ طولاً وعرضاً وأولاً وآخراً • انظر الى قصيدته هذه التي تقرأ طولاً وعرضاً:

الملك الناصر سلطاننا	سامي الذرى المدره مروي الصدا
الناصر ابن الملك الاشرف المرتجى	أحمد المحمود بحر الندا
سلطاننا المرتجى ذو العلى	لب السرى رب العطا والجدا الخ

وهذه قصيدته للمقري يقول الخزرجي أنها تقرأ من مواضع مختلفة :

ملك سما ذو كمال زانه كرم	أغنى الورى من كريم الطبع والشيم
به الغنا ورده تصفو مشاربه	بنا العلا في يديه وابل النعم
له نما طال من في فرعه شمم	كماترى فاق كل العرب والعجم الخ

وقصائد أخرى من هذا القبيل •• بل لم يكتف بالتلاعب بالاحرف فأنت تجده قد استعمل الكلمات لهذه التسلية فقد كتب قصيدة تقرأ في المدح واذا عكستها أصبحت ذماً يقول :

طلبوا الذي نالوا فما منعوا	رفعت فما حطت لهم رتب
وهبوا وما منّت لهم خلق	سلموا فلا أودى بهم عطبوا
جلبوا الذي يرضى فما كسدوا	حمدت لهم شيم وما كسبوا الخ

فاذا عكست كلمات البيت الاول مثلاً يكون هكذا :

رتب لهم حطت فما رفعت	منعوا فما نالوا الذي طلبوا الخ
----------------------	--------------------------------

ودخلت لعبة أيضاً جانب الإعراب فكتب قصيدة تقرأ بالرفع والنصب والخفض وهي هذه :

من يعط كنز رضاك يجن ويغنم	ويجل قدرا في العيون ويعظم
عتبات بابك للاماني كعبة	من لايطوف بها رجاء يندم

فضح السبول نوال كمك اذ هما والريح والانبواء حنى الحصرم
واذا المواسم أغلقت أبوابها فنداك أحسب عند ذاك موسم
سدت الملوك وصلتهم جودا فما منملك بأبر منك وأرحم
وحملت أهل الارض حتى مافتى في الناس مهضوما ولا متظلم

الى آخر القصيدة :

والحديث عن هذه الطرق العجيبة في النظم والنثر يطول • ولولا أننا بنينا كتابنا على الاختصار لتوسعنا في نقل الكثير من ذلك • وأظن أنها ختمت بالاديب ابن المفري اذ لا نعرف أحداً بعده من برز في تلك التسالي الغريبة وهو لم يكن بدعا في هذا فقد أراد أن يقلد أدباء اخترعوا تلك الطرق في مصر والشام والعراق حنى قيل إن البديع الهمداني اسنطاع أن يكتب رسالة تقرأ جوابها من خلالها • ويقول الدكتور شوقي ضيف وهو يذكر هذه الطرق العجيبة . (يظهر أن ذلك كان عند كتاب العصر وشعرائه الافق الاعلى في البلاغة والفصاحة فانطلق الشعراء ينظمون فصائد كل ألفاظها من الحروف المعجمة أو من الحروف المهملة أو الحروف المهموزة او مما لاتنطبق معه الشفتان وكاد الشعر يسنجيل الى عمل لغوي فاذا الشعراء يصنعون صنيع عمال المطابع إذ يرصون الاحرف بعضها الى بعض فتكون صناديق من الحروف ولكن لا تكون أبياتا من الشعر إلا اذا أردنا بهذا الشعر الافصاح عن صعوبات في التعبير وطرق الاداء) •

ومن أنماط التلاعب بالالفاظ قول شاعرهم في مصر :

إني امرؤ لم يصبني الشادن الحسن القوام

فرفع القوام بالحسن صفة مشبهة باسم الفاعل والتقدير الحسن القوام ونصبه الحسن القواما على التشبيه بالمفعول به وخفضه بالاضافة •• ويقول الدكتور محمد زغلول سلام : (وكل هذه ألوان يغلب عليها المغالاة والتكلف وهي أقصى ما وصل اليه الفن من تطرف واغراق) • ويتصل بهم النوع الغريب

من حيث الاعجاز الذهني جانب (الالغاز) وكان المجدد لها في اليمن بعد ركود
الاديب المصري محمد بن أبي بكر الدماميني الذي دخل اليمن سنة ٨١٨ هـ
واتصل بأدبائها • وكان ابن المقرئ أشهر من كاتب الدماميني وبعث اليه برسالة
طويلة يمدح فيها ابن المقرئ وأدبه الى أن وصل الى ذكر رحلته فقال واصفا نفسه
(الى أن أتاح له القدر حمل عصا التسيار والدخول من أبواب السر الى هذه
الدار فقالت الآمال لناظر عينيه قد نلت أبها الانسان ما تتمنى وحصلت من يمن
اليمن على معنى كنت به مُعَتَّى ونادته الايام ها قد أتحفتك من هذه البلاد
بأحسن الطرق وأحللتك بدار ابن المقرئ وماذا يريد البدر (يعني نفسه) بعد
حلولة منازل الشرف (يعنى ابن المقرئ) مولى خص بالفضائل التي عم بها الارتفاع
وارتفع عن درجة النظر بحسن السمى •• هنالك تمنى المملوك أن يقف بباب
المطارحة الادبية فأقعه العلم بقدره وعزم على مفاكحة الحضرة الكريمة فدفعت
يد العجز الذي حصر فكرته فتجاهل وقال عم وطمعت القريحة في إنارة معنى
بيديه وكلفت باقتناص وجه حسن يقدمه ويهديه •• فتحامل المملوك على ضلعه
وصبر على هول هذا الموقف ومطلعه واعتمد على كرم الاخلاق التي لاتزال تلتطف
وترق وطهارة التسيم التي يدور على مثلها النيل وتحترق وتهجم بهذين اللغزين
وأوماً لانسطار سحب الجواب ببيان هذين الرمزتين • وأخيرا بعد
المريد من التواضع والاستحقار لنفسه يصرح بأن القصد من مكاتبتة هو سؤاله
عن معنى لغزين يذكرهما نظماً وثراً •• ومن هذه الالغاز التي سأل عنها الدماميني
ابن المقرئ لغز في (مدبنة) :

يا أيُّها الفاضلُ ما	مدينةٌ لا تنكر
أو روضة أو مـدة	يحمد فيها المطر
أولا فقل قبلة	عندك منها خبر
كذلك لي بها شعور	فانظروا واعتبروا
أربعة تشابهت	في الخط منها الصور

تمثيل عكس لفظها
لا أكتسب انفاقه
فأجابه ابن المقري بقوله :

مصححا لا يعسر
فهو خلاف يظهر

يا بحر علم يزخر
حاجيت في أربعة
تصحيح عكس لفظها
وتلك عندي تسعة
بل ربما ركبتها
مدينة قديمة
وروضة أريضة
ومدة لمثلها
ومغن شيخ أشيب

يفرق فيه الابحر
منها اشتبهن الصور
مثل خلاف يظهر
أعدها وأكثر
فكان ما لا يحصر
فبها الشمول تعصر
بسنانها مسور
الروم تعزى أنسهر
وجده من يذكر

وطارح أدباء اليمن في الالغاز قادم اسلامي كبير هو العلامة تمس الدين
الجزري المنوفى سنة ٨٣٢ واشتهر لغزه شهرة كبيرة بين الادباء في ذلك الوقت
وقلما ينبغ أديب في اليمن دون أن يساهم بحله . وكان هذا الاديب قد دخل زبد
سنة ٨٢٨ كما مر فيما مضى واتصل بابن المقري فراسله بهذا اللغز في القرآن بقوله :

با واحدا قد شاع فبنا ذكره
وقد علا في العالمين قدره
ما اسم رباعي يكون خمسه
في قلبه نار وطود شامخ
ورفعه حتم وجاز نصبه
واللوح فيه مع يراع ظاهر
وفيه للباري مديح وتنا

وشرف الدين وشيخ وقته
من فاق نظمه الورى وتسه
ونصمه بغبر شك عتسه
وقد برى مصححا مقره
في فحة ولا بجوز جره
وقد أبيض طيه ونشره
وفيه حمده وفيه شكره

يجوز عند الشافعي نقله ولا يجوز نقله في موضع وعند كل مده وفصره
بلا خلاف قلة وكثره الخ

فيجيبه ابن المقرئ بقصيده شعرية طويلة يقول فيها :

أهلا به من بحر علم صدره	كقلبه رحب الفناء برشه
أعيا على الغائص نيل قعره	ففاض بالدر النظيم بحره
وسهل العلم على طلابه	فلم يكد الغائصين دره
إمام أهل الارض علما وثقى	وسيرة يعجب منها دهره
خاطب كلا بالذي يفهمه	صونا له عن خجلة تضره
بيدي لكل قدر ما في وسعه	لينثني عنه بما يسره
ألقى لحسن ظنه في عيده	أحجية فحار فبها فكره
دلت على علم عظيم وذكيا	والصبح قد ينبيك عنه فجره
في اسم رباعي يكون خمسة	فيما اقتضاه وزنه لا زبره
أنبأتموني عنه ان نصفه	في العد ان جزأئوه عشره
فبان أن ربعه كعشر خمس	سبع ما يبقيه منه قدره
وقلبه نار ولكن ربعه	طود تولى كل وجه شطره
مكرر في نفسه تكراره	مصحف مصحفا مقره
وكل شيء رفعه كرامة	فرض علينا فحرام جره
اللوح فيه ظاهر لأنه	منه وفيه وعليه ذكره
فيه على الله الثنا من نفسه	وحلقه وحمده وشكره .. الخ

وممن أجاب على لغز ابن الجزري السابق العلامة أحمد بن محمد البريهي المتوفى سنة ٨٢٣ والاديب أحمد بن محمد الربيعي السلفي المتوفى سنة ٨٣٢ ويبدو أن الجزري كتب أكثر من لغز حينما كان في زبيد فقد ذكر البريهي أن الجزري كتب الى طلبته في زبيد لغزا شعريا في حب وهو قوله :

أخي ان رمت تدري من جيبني وتعرف ما اسمه وتحيط علما

خذ اسما من أسامي الموت واقلب وصغر ذلك المقلوب حتا
وصحّف ذلك التصغير واحعل لمن أحبته من صده اسما
فأجابه تلميذه القاضي تقى الدين عمر بن محمد اليريمي فقال :

أت أحجية من بحر علم لتعريف الحبيب وما بسمي
باسم الموت واقلب ثم صغر وصغر ذلك التصغير حتما
ففتح قلب حتف ثم صغر وصحّفه ففتح حزن علما
وما هذا القبيح سوى مليح وذاك القصد للحب المسمى

وتكثر الالغاز بين الادباء في ذلك الوقت وغالب استعانتهم فيها بالشعر وكان
ابن المقري أشهر من برز في كتابتها ولعله من المفيد أن نعود الى بعض ألغازه
الشعرية لتتضح لنا الصورة الكاملة لهذا الاتجاه في أدبه . فمن ذلك ألغازه في
(السكين) يقول :

أحاجبك في نسيء اذا ما سرقتـه وفيه نصاب ليس يلزمني القطع
على أن فيه القطع والحد ثابت ولا حد فيه هكذا حكم الشرع

وتعاطى الالغاز كل فئات المثقفين وربما شارك فيها الفقهاء على وجه
الخصوص وضمنوا مسائلهم الفقهية على شكل ألغاز تلقى على الطلبة ، وكان
ابن المقري واحداً من أولئك الذين شاركوا في موضوع اللغز الفقهي فقد كتب
اليه أحدهم لغزا في مسألة فقهية تتعلق بالعنق يقول :

يا سيذا أكرم به من سيد علومه كثيرة كشمته
ومن علا في وقته بعلمه وحكمه وفضله وسيرته
قد اعترانا قاصدا من مصره . محولقا محسبلا من عجلته
تم امتحنا بسؤال يشتهي له جوابا شافيا لبغيته
قال امرؤ أعتق مملوكا له لعفو ربي وابتغاء جنته
كان يحق شكره من عنده اذ فكاه من رقه وخدمته

بل ادعى العنيق عند حاكم
على الذي أعتقه تفضيلاً
من غير بيع لا ولا جناية
فحكم القاضي على سيده
نم ادعى عنيق شخص آخر
فلم ير القاضي له في حكمه
بل قال للسيد سلم نصفها
وقال ذا الحكم الجلي ابتغى
فترك السائل كل مننا
فألهم الله الكريم رفعه

محله في العلم أعلى ربه
بسبب العتق جميع قيمه
بل أوجب الاحسان شغل دمه
نسليمها موروثة بحضرتة
قصته شبيهة بقصته
أن بلزم السيد كل قيمته
من غير مطل طاعاً في سلته
به من الله حصول رحته
حيران في تصويره وفكرته
للعالم البارع وابن نجدته

فيأتي جواب ابن المقرئ على هذا اللغز المعقد فيقول :

أهلاً بطرس من إمام مدنه من بحر علم فائض بحكمته
من لم يزل مشراً عن سافه لله في طاعنه وخدمه

ثم يمضي جواب ابن المقرئ شارحاً تلك المسألة الغامضة فلا يسدع خياله
فيها أكثر من الفائدة الفقهية ومن هنا يتلأسى الابداع الادبي في كثير من هذه
الالغاز حتى عدها بعض العلماء من جملة المسائل المتعلقة بالفقه ، وربما ألف فيها
بعض العلماء كتباً مستقلة تعد من بين كتب الفقه .

وقد كان الادب في اليمن خلال هذه الفترة يسار ركب التطور في مصر
فلا بضيف اله شيئاً يذكر إلا ما كان تقليداً ومحاكاة وما عسى أن يأتي به الاديب
في الس و هذه مصر والتسام قد غصت بمئات الادباء والعلماء من الذين لا يتق
لهم غبار . وقد اعترف العلماء في اليس بتبعينهم لأولئك الفطاحل ، وقد رأينا
ذلك في السروح العديدة التي وضعوها لمؤلفاتهم الفقهية والنحوية . أما الادباء
والسعاء فان ظاهره التقليد عندهم انحصرت في جوانب التأثير بالمدارس الشعرية
الصويه كطريفه أبي نواس وطريقة أبي تمام أو طريقة المتنبي الحكيمة .

وهاهي المدرسة الشعرية تبدو جلبة واصحة في عصر بني رسول منذ ظهور الشاعر ابن حمير المتوفى سنة ٦٥١ وأخذ به الشعر جانبا من الرقي والتطور عبر مألوف قبله وقد ظهر أثر أبي تمام واضحا عليه وربما تجمعت المدارس الشعرية التقليدية في كثير من شعراء اليمن الكبار خلال ذلك الوقت كالشاعر ابن هتيمل الذي تأثر بالمتنبي والشاعر ابن فلبنه الذي سلك طريقة أبي نواس المجونية وهاتان مدرستان لا يخرج عنهما أحد من شعراء اليمن الا ما كان اضافة عليهما كتلك المدرسة البديعية التي ظهرت في العصر الايوبي والملوكي في مصر ونهج أساليبهم التصنع جماعة من أدباء اليمن سنذكرهم فيما بعد *

أدب الفقهاء

على أنه من المتيد أن تقدم الحديث هنا على أدب وافعي أقرب الى الصدق منه الى الصنعة وذلك ما عرف عند النقاد بأدب (الفقهاء) إنقاصا لربنه عن أدب الادباء ، وهذا لا يضر في شيء ، حيث أن الفقهاء بعرفون بأنفسهم بعدم مجاراتهم للادباء في شعرهم وإن جاءت مقطعات منه على ألسنتهم تتعلق بخصصهم الاول وهو الفقه وقد خففوا بها من خفاف هذا العلم وربما جاءت مقطعاتهم عن معاناه شديدة وتكلف كبير فاستحقوا بهما خلود الذكر ، وأهم صفة يمكن أن يوصف بها هذا الادب هو الاستفهام والمحافظة على قوانين الاخلاق والآداب . فلا نجد ما يخرج عن هذه القوانين إلا نادرا . ومن الادباء الفقهاء في اليمن من بلغ الاجادة حتى اعترف له أدباء عصره بالشعر . * كما هو الحال عند ابن المقرئ الذي لم يكن سوى فقيه مارس الشعر وتعاطاه بصورة مسمرة فما كان من أهل عصره إلا أن اعترفوا له به ومع ذلك فإن الصفاء لم يكونوا جميعهم أصحاب شعر . وربما مقتته كثير منهم *

وقد ذكر لنا الاديب أبو بكر البافعي أن كثيرا من الفقهاء كانوا يلومونه على قول الشعر حتى رد عليهم بقوله :

وكم حاسد لي في الانام وغابط
يعيرني بالشعر قوم وبعضهم
أرادوا به عيبي وهل هو ناقص
وأصبحت في علم العروض مجودا
وما كنت مداحا لنفسي وانما
لأجعل أكباد العدا بالغضا تكوى
على منطقي اذ كان منطقته رخوى
يوبخني والكل بخبط في عشوى
اذا ما جمعت الشعر والفقه والنحوا
وقدم قولي في الحكومة والفتوى
لأجعل أكباد العدا بالغضا تكوى

وكان والد ابن المقري لما علم بميل ولده الى الشعر تأثر كثيرا وكتب يحثه
على الاخذ بالفقه والتبحر فيه قبل دخوله جانب الشعر^(١) *

وكثير من الفقهاء من أحجم عن قول الشعر لا عن عجز وعدم مقدرة ، وانما
حفظا لأوقاته (والاشغال بما هو أولى وأهم من أمر دينه وخويصة نفسه)^(٢) *
وحتى هذه الاتعار التي قالوها لاتكاد تخرج عن دائرة الفقه فهي إما مدح
لأساتذة أو تحريض على طلب العلم وحفظ الاوقات أو ثناء على منون الفقه ومنهم
من مال الى جانب الوعظ والتفكير فمال بشعره الى جانب التصوف *

ومن الفريق الاول الفقيه الشاعر ابن المقري الذي مدح شيخه جمال الدين
محمد بن عبد الله الريمي بقصيدة طويلة يقول فيها :

خذنا بي نحو الصون لاتتبعنا الصدى
ولا تدعواني للفكاهة بعدها
نئيت عناني قارعا سن نادم
ومن جد في تحصيل هاد يدلّه
ألا ان بي للعلم علة حائهم
سأهدي من التسهيد ميلا لمقلتي
ومن كان كسب العلم أكبر همه
فما كل نار عندها توجب الهدى
فقد ذهبت أبام عمري بها سدى
لأقرع ما فرطت اذ فاتني الأدا
الى الرشد لم يعدم دليلا ومرتدا
يسوت وبرد الماء في فمه صدا
ومن صنعة الظلماء ما عشت أنسا
طوى بردة الليل التمام مسهدا

(١) ناربخ البرهوى ص ٢٢٣

(٢) طبقات الخواص ص ٣٢

إذا كنت في دعواك أصدق طالب
وأعرض عن المظنون من فضل غيره
فما يسقط المكى فرض صلاته
وعند وجود الماء التيمم باطل
لقد نشر (الريمي) بالدرس دارسا
وأنقد باقيه وقد عكفت به
فكم من عويص حل معناه فهمه
وجلّى ظلام المشكلات بواضح
يباهي (ابن ادريس) به كل قدوة
وصار عليهم حجة حين خالفوا
نصرت مقال الشافعي ولو نشأ
وكم حجة أبرزتها لمخالف
إليك زجرت العزم والشوق مزعج
أتيتك عطشانا وبحرك زآخر
فدونك من قد جاء يعرض نفسه

لعلم فلا تستمل الا محمدا
ولا تعد عيناك اليقين وقد بدا
بظن ولا بعد التحري قلدا
ولا سيما ان طاب قربا وموردا
من العلم قد أودى وطال به المدى
صروف الليالي شاحذات له المدى
وقد كان في أسر الرموز مقبدا
من العول خلى ناظر الشمس أرمدا
فيأسف اد لم يفتديه كما اقتدا
ووافقه في القول أطولهم يدا
سلكت طريقا كنت فيها مقلدا
منعت بها أنفاسه أن تصعدا
وفي القلب منه ما أقام وأقعدا
يفيض بموج قد تلاطم مزبدا
فإن ترض بى عبدا رضيتك سيدا

الى آخرها ♦♦ وفيها نجد نمودجا متكاملا مما كان يمدح به التلاميذ
نسيوهم ♦ فالشاعر هنا يضع مقدمة قصيرة لقصيدته لا يتغزل فيها بليلى أو لبنى
كما هي عادة الشعراء في مقدماتهم الشعرية وانما تجده يأمر أصحابه أن يأخذوه
نحو ذلك الصوت لا الصدى وأن لا يسلكوا به طريق الغواية والمجون فقد مرت
عليه سنوات أضعاف فيها أيامه سدى ثم يذكر تشوقه للعلم ومقدار ما يعاينه الطالب
من التعب والسهر في تحصيله العلم ، وأخيرا يصل الى غرض القصيد وهو المدح
فيذكر شمائل شيخه وعلمه وفيها يستعمل أسلوب الفقهاء ويشير الى العبارة
الفقهية الشهيرة (اذا حضر الماء بطل التيمم) وأن شيخه مورد صاف وأنه يباهي
بعلمه علم (الشافعي) ويعيب على أهل عصره أنهم لم يقلدوه كما قلدوا (الشافعي)

وأخيرا يذكر شيخه بهمته لطلب العلم وشوقه الى ما عنده وهي فصيحة توحى لنا أن ابن المقرئ قالها أثناء دراسته على شيخه الممدوح •

ومن شعر الفقهاء في هذا الجانب كثير من القصائد التي قيلت في مدح الشيوخ لعل أقدمها قصيدة الفقيه هارون السرددي الذي يعدد فيها مناقب شيخه علي بن أحمد الاصبغى المتوفى سنة ٧٠٣ وهي طويلة أورد نماذج منها المؤرخ الجندي في تاريخه •

وكما مدح الفقهاء شيوخهم نجدهم قد مدحوا كتبهم العلمية وأثنوا عليها ثناء لا يقل عن مدحهم لشيوخهم وهي ظاهرة ينفرد بها أدب الفقهاء وحده فنادرا ما تجد أديبا يمدح كتابا إلا اذا جاء هذا الكتاب عرضا • وقد كانت الكتب من أهم ما يحرص عليه الفقهاء وقد عايشوها معايشة تامة حتى أصبحت جزءا من حياتهم لذا لانستغرب اذا رأيناهم يمدحونها بالعديد من القصائد ، فهذا الفقيه داود بن أحمد الهمداني المتوفى سنة ٨٢٩ يمدح (البيان) بأبيات يقول فيها^(١) :

إن (البيان) بيان للعلوم وقد	خص المذاهب ما قالوا وما سطوروا
جمع الامام العدل صنفه	لله يحيى فأحيا كل ما ذكروا
وقلد (الشافعي) واختار مذهبه	لما رأى قوله يعلو اذ افتخروا الخ

ويجمع الشيخ يعلى بن أبي بكر الكدراوي كتبه الفقهية ويمدحها بهذه الأبيات :

نقرا (المذهب) للتهذب دائما	ونراجع (التنبيه) للتنبيه
وكذا (الوسيط) نروم فيه توسطا	علما صحيحا ليس بالتمويه
واذا قرأنا في (الوجيز) فموجز	لجوابنا قطعا لكل نبيه
وكذا (البيان) الشرع فيه مبين	يدري بما قد قلت كل فقيه

وحض الفقهاء على طلب العلم والتمسك به فقال الفقيه عباس المساميري المتوفى سنة ٦٩٩ :

لا يطلب العلم إلا الحر ذو الكرم
أو لودعي أبي سيد فطن
أما ذوو الصد ممن قد ذكرتهم
أفٍّ لهم ولدنياهم وما جمعوا
كل امرئ راسخ في العلم عنصره
أو من له حسب الآباء والشيم
مقبل يقظ مستقبل الفهم
فالفلس عندهم من أشرف الهمم
وحبذا الجهد النقاد للكلم
فانه في اقتباس العلم دو قدم

أما الفقيه يحيى بن عمران بن ثواب فيحدثنا عن شغفه بطلب العلم فيقول:

شيئان أحلى من عنان الخرد
وأجل من رتب الملوك عليهم
سود الدفاتر أن أكون نديمها
فاذا هما اجتماعا لشخص فارغ
وعلا المفاخر كلها وحوى المحا
وألد من شهد القراح الاسود
وشي الحرير مطرزا بالعسجد
طول النهار وبرد ظل المسجد
عن كل هم نال أبعد مقصد
مد والمحاسن في الجاة وفي الغد

وهي على منوال قصيدة (الزمخشري) الشهيرة في الحث على طلب العلوم
•• وكان الفقيه أحمد بن أبي بكر الناشري دائما ما يردد الايات الآتية التي قالها
في عراض بيتي السبكي في مدح دار الحديث وهي قول السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى
لعلي أن أمس بحرٌ وجهي
أصلي في جوانبه وآوي
مكانا مسه قدم (النواوي)

فحولها الناشري الى مدح مسجد (الاشاعر) فقال :

وفي هذا (الاشاعر) لطف معنى
لعلي أن أمس بحر وجهي
به بين الانام أطل ساجد
مكانا مسه قدم لعابد

وتردد على ألسنة الفقهاء شعر الحكمة والتأمل وسنعرض له عند حديثنا عن
أدب الصوفية والمتكلمين •• ومن الفقهاء من عني بنظم العلوم تسهلا لحفظها
فكتبوا فيه الشعر المزدوج والاراجيز العديدة حتى وصل بهم الامر الى أن ينظموا
كتبنا فقهية كبيرة فنظم الفقيه محمد بن عبد القدوس الازدي المتوفى سنة ٦٩٣

كتاب (التبيه في الفقه) بأكمله ، ونظم الفقيه محمد بن أحمد المبارك الموفى سنة ٧٢٧ كتاب (أبي شجاع في الفقه) المسمى (غاية الاختصار) وغبرها كثير ومن هذا النظم الذي يقرب المسائل العلمية لأذهان الطلبة قول الفقيه يحيى بن ابراهيم العمك المنوفى سنة ٦٧٠ في حصر مسائل الزحاف الواقع في آخر العروض:

يا طالبا لزحاف الشعر معرفة	أنا الذي عنده مه جوامعه
حد السواكن في الاسباب أربعة	من كل جزء وما تخفى مواقعه
الخبث ثانيه ثم الطبي رابعه	والقبض خامسه والكف سابعه
وكل ما سكنوه للزحاف به	ثلاثة كلها نمي مواضعه
فثاني الجزء اضرار وخامسه	عصب وسابعه الانعاف مائعه الخ

وكان من أشهر من نظم العلوم في اليمن الفقه الشاعر اساعبل أبي بكر المقرئ الذي سهل نظمه كثيرا من مسائل العلم المعقدة ، وقد ذكر السخاوي أنه وضع أرجوزه طويلة في مسألة الماء المشمس بلغت مسائلها نحو ثلاثمائة ألف مسألة وسبعة وخمسون ألف ومائة وعشرون مسألة وله قصيدته في نظم دماء الحاج شرحها كثير من العلماء ومن نماذج نظمه في هذا الفن قوله في معرفة الوقفة من كل سنة :

ما بين كل وقفة ووقفة	ثلاثة تكمل بين خمسة
فبعد الاثنين وقوف الجمعة	ثم الثلاثا ثم سبت المسبت
فأربعاً فأحد ثم أنبت	خميسها للسنة المقبله
وعد الى الاثنين بعد السبعة	وغير هذا نادر في العدة

ولابن المقرئ وغيره قصائد كثيرة في نظم العلوم لا مجال لذكرها هنا وقد عرفت هذه الطريقة منذ عصر النهضة الادبية في زمن بني العباس وبرع فيها من الشعراء المجيدين أبان بن عبد الحميد اللاهتي الذي وضع للبرامكة (نظم كيلة ودمنة) ثم تلاه بشر بن المعتمر وأبو الغناحية بأبياته الخفيفة السهلة (وغالبا

ما ينظمون شعرهم هذا على قفلين قفلين (وقد عرف عند النقاد بالشعر التعليمي إلا أنه لم يدخل ضمن دراساتهم لبعده عن الخيال الادبي والصور الفنية ومن ثم أهملوه الاهمال التام • ولولا أن هذا الشعر عرف في التراث الاسلامي في اليمن بصورة واسعة لما عرضنا له هنا •

ابن روبك :

واذا كان لابد أن نقف عند شاعر من شعراء الفقهاء في العصر الرسولي فلا بد أن نقف عند الفقيه يحيى بن روبك شيخ النخاعة في زبيد وكان قد استوطن مدينة نعر وحدثت بينه وبين ابن المقري خصومة كبيرة بسبب الصوفية ذكرناها في كتابنا (الصوفية والفقهاء في اليمن) وهو من الفقهاء القلائل الذين مدحوا ملوك الدولة (الرسولية) حتى كاد أن يزاحم بمدائحه الشاعر (ابن المقري) نفسه إلا أن شعره لم يجمع ولم أظفر بشيء من قصائده غير قصيدة واحدة قالها في مدح الملك الناصر يقول :

سود العيون هي السيوف البيض	تومي الى نفسي بها فتبيض
مقل تضاعف سقمها فنفضه	فسرى بجسمي سقمها المنفوض
مرض الجفون يصح بين جوانحي	وجوى فؤادي من جواه مريض
من لم يعض الطرف عن الحاظها	أرضاه طرف من (سعاد) غضيض
تفتقر عن برد تزف غروبه	أو عن أقاح روضهن أريض
وتهز غصنا حمله في خدها	ورد وبين شفاهها اغريض
قد زين الخدين تذهب بلا	ذهب وزين ثغرها تفضبض
ان خفت في ظلم الغدائر ظله	يهديك للثغر الضحوك وميض
يا عاذل الولهان دعه فلومه	من لائمه على الهوى تحريض
حَبَبْتُ قَاتَلْتَنِي إِلَيَّ بَعِيهَا	عندي وكان مرادك التبغيض
وحسبت لي عقل وعقلي غائب.	معها وروحي عندها مقبوض
ان كان مسنونا فناء متيم	ففناني في شرع الهوى مفروض

تلك التي هي جنتى وبخدها نار عليها ناظري معروض
وهناك تفاح يزيد غضاضة ان زاد فيه اللثم والتعريض

الى آخر القصيدة ، وهي محكمة البناء متماسكة الاجزاء وقد أشار الى
أدبه المؤرخ (السخاوي) فقال : (مدح الملوك وقامت له رئاسة معهم وكان على
طريقة العرب في ارتجال الشعر ، توفي بنخل (زيد) سنة ٨٣٥) •

البديعون

وبقدر ما حول الفقهاء أغراض الشعر لخدمة الفقه وسائر العلوم الاخرى
نجد شعراء البديع قد حولوا كل العلوم لأغراض الشعر حتى إنهم جعلوا (الفن
للفن) كما يقال ، ومن هنا جاء إفراطهم وتكلفهم •

ولم ترج مدرستهم في الادب اليمني إلا في فترات متأخرة حتى عدت هذه
الطرق (البديعية) من آخر ما وصل الادب اليمني من أساليب مستحدثة لم يتأثر
بها إلا فئة قليلة من الادباء لعل أقدمهم حسب علمي الاديب وجبه الدين العلوي
المتوفى سنة ٨٠٣ وكان أحد وزراء الدولة الرسولية ومحن بنكبات عديدة جعلته
يميل الى (التصوف) وقد نظم قصيدة (بديعية) في مدح الرسول صلى الله عليه
وسلم أسماها (الجوهر الرفيع ودوحة المعاني في معرفة أنواع البديع ومدح النبي
العدناني) يقول الخزرجي في وصفها (أودع فيها سائر فنون البديع من التجنيس
والترصيع والترشيح وغير ذلك) • وقد اشتهرت بديعته شهرة واسعة وتناقلها
الادباء وممن مدحها الاديب المحدث ابن حجر العسقلاني فقال :

لله درش فاضل مبرز جاء أخيرا فتجلى سابقا
والبغاء عن مداه قصروا فما رأينا للوجيه لاحقا

ومدحها مجد الدين الفيروز ابادي بقوله :

هذا القصيد حوى البدائع كلها فسمى على نظم الرفاق وفاقا

حتى أقرّ الحاسدون بحسنه فأبان من أهل الخلاف وفاقا
واذا نظرت رأيت فيه جوهرًا من بحر فضل أودعت أوراقا
ورقي بناظمه ذرى لم يرقها من رق لفظا في الورى أو راقا

وقد تناقلها الناس عنه فتصدى المؤلف لشرحها بعد ذلك في مجلد مستقل
ويوجد هذا الشرح بين مخطوطات مكتبة الجامع بصنعاء •

وسار على نهج الوجيه العلوي في نظم البديع الشاعر اسماعيل ابن أبي بكر
ابن المقرئ ووضع قصيدته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وضمنها سائر
أنواع البديع وهي بعنوان (الجمادات البديعية) وشرحها في جزء مختصر •

وكان ابن المقرئ أشهر من استعمل نظم البديع • ولا غرابة في ذلك فالرجل
قد كلف بكل غريب وأراد أن يبهر أهل عصره وعلى الاخص مدحويه من ملوك
الدولة الرسولية بتلك الاعاجيب التي يوردها في شعره • ويكثر استعمال أنواع
البديع كالجناس والطباق والتورية والاستعارة في مدائحه خاصة فكان هذا مصدر
اعجاب ملوك الدولة الرسولية بشاعريته •

ومن نماذج البديع في شعر ابن المقرئ قوله في (الجناس المركب) وهو
أن يأتي الشاعر بكلمات تتشابه حروفها مع الكلمات التي تليها مع اختلاف المعنى
وهو من عيوب الشعر ان كان عن تكلف • يقول ابن المقرئ في مدح الملك الاشرف:

سيعصيني في الحب من ولهي به بالقرب عن وجدي به ولهي به
وتعود أيام الوصال وتنقضي من مدمعي وصبيه وصبي به
لا تأسن وان أضر بك الهوى وطففت من تثري به تثريه • الخ

والتورية وهي من ألطف ما في شعر البديع من أساليب فنية وهي أن يأتي
الشاعر بلفظ يحتمل معنيين إما حقيقة أو مجازا • وفي هذا النوع يقول ابن المقرئ
في تهنة الملك الناصر بعيد النحر:

يوم سرور وصفاء صدر أنجزت في الأعداء وعيد نحر

عيد به سعد علاك قد بدا جهرا وبان أنه عن سر
ودولة السن بيض هندها قد أصبحت تروي حديث بشر
ومنزل يسافر اللحظة به في قطعه مسافة للقصر الخ

ففي البيت الاول يعني بعيد النحر العيد المعروف ووعد به نحر أعدائه * وفي
البيت الثاني (السر) بمعناه المعروف والسر بمعنى الصلاح وفي البيت الثالث
حديث (بشر) يعني خبر المسرة وبشر صاحب هند من عشاق العرب له ذكر في
كتاب (مصارع العشاق) (ج ٢ ص ١٤٨) وفي البيت الرابع مسافة القصر يعني
مسافة قصر الصلاة المقررة عند الفقهاء للمسافر ومسافة القصر مدة سيره الى قصر
ممدوحه ، والقصيدة طويلة وشرحها يحتاج الى بحث واسع من هذا ، وكان ابن
المقري من الشعراء القلائل الذين تفردوا بعلم (البديع) واستعملوه في شعرهم
وربما لا نعدم من يستعمل البديع من شعراء العصر الرسولي غير ابن المقري إلا
أن هذا قليل جدا في شعرهم وذكر (البريهي) في تاريخه أدبيا واحدا هو الاديبي
محمد بن محمد بن ادريس العلوي المتوفى سنة ٨٢٧ كان قد نظم قصيدة عارض
بها (بديعية) الصفي الحلبي * ولم تظهر موجة البديع الحقيقية إلا عند ادباء
القرنين الحادي عشر والثاني عشر وبرز فيه من أدباء اليمن أحمد بن حسن حميد
الدين المتوفى سنة ١٠٨٠ في كتاب (ترويح المشوق) ويوسف بن علي بن علي
الهادي المتوفى سنة ١١١٦ في كتاب (طوق الصادح) والحسن بن أحمد الحيمي
المتوفى سنة ١١٥٢ في مؤلفاته الكثيرة وغيرهم كثير جدا *

اتجاهات الشعر

موضوعات الشعر في الادب البمني خلال عصر بني رسول موضوعات عادية لا تخرج عن الحدود التي سنها لها فحول الشعراء في العربية وهم أن ذكروا بشيء جديد فهو ذلك الالتزام الذي لا يخرج عن حدود الادب بمفهومه الخلقي فقد حافظ الشعراء في اليمن على قوانين الاخلاق ولم نجد ذلك الاسفاف الذي عهدناه في شعراء العصر العباسي والعصر المملوكي في مصر من الغزل بالمذكر والاباحية التي تخرجهم عن القواعد الاساسية للاداب فالادب هنا أدب خلق ومروءة وكثير منهم من سن لنفسه منهجا دينيا صارما لا يكاد يحيد عنه ومنهم من ولع بمدح (الصوفية) والاولياء كما هو الحال عند الشاعر ابن حمير والبرعي *

ومع ذلك فلا بد من مسايير الانجاهات الادبية السائدة في عصورهم فرأياناهم يولعون بمحاكاة الجيل الاول من شعراء المولدين في العصر العباسي ورأيانا شيئا من نعر الخمريات يمشو بينهم وكان شاعر الخمرة في اليمن الاديب أحمد بن محمد بن فليته المتوفى سنة ٧٣٤ يجاهر بتربها في شعره ويقول :

أدرها باليمين وباليسار وداو القلب من داء الخمار
يطوف بها على الندمان ظبي يتسابه خده في الاحمرار

وربما حلت الخمرة مكان الغزل العادي في مفتتح قصائد ابن حمير وابن هنيمل وكان الاخير من الشعراء القلائل الذين جمعوا بين الغزل والخمر في آن واحد فقال في بعض قصائده :

أعصرتها من مقلتيك رحيقا ومزجنها من مقلتيك رحيقا

وأدرت ابريقين ابريقا لها	من جوهر ومن اللما ابريقا
وهي مزاج كان ثغرك دنها	سكرا وكان شفاهك الراووقا ^(١)
صفقت احدى خمرتيك فلم نجد	بالرشف في احداهما تصفيقا
وجلست وجهك والمدامة فانجلت	الشمس والمريخ والعيوقا
وكان كفك تحمل القدح الذي	طليت طهارته طلا وخلوقا
حسبي بظلمك والسلافة نشوة	بهما صبوحا دائما وغبوقا

وكان ملوك الدولة الرسولية قد شجعوا هذا النوع من الشعر حتى قال شاعرهم وهو الملك المؤيد داود بن يوسف :

خنما تراه ودع عنك الذي غابا	واقطع زمانك أفرحا واطرابا
قالوا أذاك نذير بالمشيب فتب	أما قضيت من العصيان آدابا
فقلت كيف يبالي بالمشيب فتى	لم يدر من طول سكرٍ أنه شابا

وربما ورد ذكر الخمر في مفتتح قصائد شعراء العصر (الصليحي) كالاديب أحمد بن محمد العثماني الذي تفنن في وصف الخمر • فقال في مفتتح بعض قصائده :

ما العيش الا كاعب وعقار	وأكارم نادمتهم أخبار
قم فاسقني بالكاس من تلك التي	أهل النهى في وصفها قد حاروا
واشرب ولا يلحقك خوف عقوبة	فيها ، فرب حسابها غفار
خذها فان حلت أصبت وان تكن	حرمت فمحو ذنوبها استغفار
لاتصرفوا عني الكبير فانما	في شرب كاس كبيرها اكبار

لكن وصف الخمر اختفى من شعر كثير من أدباء العصر الرسولي فلا تجد له ذكر في شعر (ابن المقري) على كثرته ولا في شعر عبد الله بن جعفر أو ابن عبد المجيد اليماني وغيرهم • وهذا يعود أساسا الى التزام أدباء اليمن بقواعد الدين

(١) الراووق : الكاس •

والمحافظة على الاخلاق حتى إن هذا الالتزام يكاد يخرج بأدبهم الى حظيرة أدب الفقهاء والعلماء لولا جزالة التعبير وتماسك الاسلوب •

وكانت أكثر الانجاهات الواردة في شعرهم غالبا ما تأتي في مدائحهم للملوك الدولة الرسولية لغلبة هذا النوع على شعرهم حتى لا تكاد تجد شاعرا واحدا ينظم قصيدة لذات الشعر نفسه وانما ينظمها في مدح الملوك ليحظى عندهم بجائزة ومن ثم أنت المواضيع المرددة في شعرهم فاترة الاسلوب مكررة المعاني حتى لا تكاد تظهر بجديد عن ما أتى به شعراء العربية الأول •

فشعر الغزل والخمر ووصف الطبيعة والوصف كل ذلك لم يأت لذات المعاني نفسها وانما قدم وسيله الى مدح من يمدحونهم ، وهذا عام في الشعراء المحترفين لتكسبهم بالشعر وجعله تجارة يعرضونها أمام الملوك ، وهذا الشاعر (ابن هتيميل) لم يكتف بأن يلصق لمدحوجه بمطالبه المادية فصرح لهم بذلك صراحة ويقول في احدي قصائده للملك المظفر :

لا رزق ما لم أغن منك برحمة قد أغنت المحروم والمرزوقا
من أين ترمى بالكساد بضائع أضحت لهن عكاظ جودك سوقا
ويقول في أخرى :

وانظر اليّ بعينٍ منك راحمة لا تقصدن غير وجه الله في النظر
وقد بلغ الامر بالتساعر محمد بن حمير أن يضايق بمدحوجه بمطالبه الشرهة وكان يقصد الامراء والمشائخ ويرغمهم على إكرامه وقد قصد الشيخ عمران القطبي المقصري فطلب منه الشيخ أن يمهل شهره حتى يجمع له ما يطلبه ثم لم يستطع ذلك وأرسل اليه رجلا شاعرا يعتذر اليه فكتب ابن حمير الى ممدوحه يقول:

حاشاك يا عمران نقض صحبتي ونصيع حق مودتي ووفائي
ووعدتني بالحير شهرا كاملا وقطعت بعد النهر جبل رجائي
وبعث نحوي شاعرا بعباذر في رحم أخت الشعر والشعراء

والله ما يشنون عنك بمثل ما أتني ولا يهجون مثل هجائي
فما كان من (القطيعي) إلا أن أخذ حصانه وقدمه اليه هدية وهكذا فان
مفهوم الصحبة عند ابن حمير يقدر بالعطاء المستمر وربما أدى حرص ابن حمير
على أخذ عطايا ممدوحيه الى توتر سياسي تحدثت عنه كتب التاريخ فقد حدث أن
قصد الشيخ عمار الشيباني فأقام عند بابنه مدة ولم يأذن له بالدخول فكتب اليه
رقعة يقول فيها :

بالباب أصلحك الله امرؤ لسنٍ أمضته السير والإدلاج والسهير
وافى الى أرض خولان فصادفها مثل القنادة لا ظل ولا ثمر
فلما وقف عمار على كتابه كتب على ظهره (بل الغمامة فيها الظل والثمر)
وأدخل ابن حمير وأنى به وبينما هو عائد في الطريق تعرض له بعض غلمان الشيخ
عمار ونهبوا مامعه فاتهم ابن حمير عماراً وقصد الملك المظفر يحرضه على غزو عمار
الشيباني في قصيدة يقول فيها :

ما شاق قلبي احراج واكوار	ولا شجنتني أعلام وآثار
مررت باليمن الخضراء حين صفت	لابن الرسول فما في تلك أكرار
وكان فيها غطاريف زعانقة	فما بقي من بني البزراء ديار
لكن بقي فرد ثولول نعاب به	والنار أسهل مركوباً ولا العار
ان قلت لم يبق سلطان سوى عمر	قالوا بلى بل بقي السلطان عمار
أو قلت لا قصر الا قصر (دملوة)	قالوا (براش) يمين القصر والدار
أو قلت ما أحسن المعشار من جوه	قالوا وليس الى (ذبحان) معشار
فخذ يمينك ولا تقبل معاذرة	فالكلب حيث خلا بالعظم جبار
لم يتفق قط سلطانان في بلد	هل يدخل الغمد بتار وبتار
ما غبت إلا رمى بالعين (دملوة)	وظل ينشد والاقداح دوائر
مولاي لا تحتقره فابن ملجم قد	عدى بجيدر والغدار غدار
بئس الخبيثة تحت الفرش قملة	والسد تر كمين تحته الفار

وكان ابن المقرئ على الرغم من عطايا ملوك الدولة الرسولية الكثيرة له حتى إنه كف عن أخذ بعضها اسكتاراً نجده يتسول الى الملك الظاهر بأن يجدد بناء بيته المتهدم يقول بعد سماعه ببناء الظاهر (قصر السدير) :

اجعل زكاة (سديرك) المعمور	اصلاح بيتي فهو أي فقير
تجب (الزكاة) على بيتك كلها	غير البيوت لفضلك المشهور
وأحق من أدت اليه زكاتها	يني مالك من هوى لظسيري
بيت بناء لي المهد منعماً	وأطال فيه بشرتي وسروري
ونزلت من أعلى لأسفل روعة	يا وحشتاه لمنزلي المعمور
بحبي يحيى ما شكوت خرابه	ويعود أحسن منزل معمور

ويكثر شعر (الكدية) في أدب ابن المقرئ فهو يقول على لسان أحد الفقراء في قصيدة بعثها الى الملك الناصر :

ولقد وردت على مناهل جودكم	واذا الزحام بها كما وصفوه
ذا صادر راو وهذا وارد	ولو ارتوى النقلان ما نزفوه
فأقمت والاولاد ينتظرونني	من مَرٍّ بين بيتوتهم سألوه
عشرون من ولدي ومن أولادهم	خلفي فيا لله ما لقيوه
قد ساء حالهم وضاعوا عيلة	يا رحمتا للطفل غاب أبوه
يشجي كبيرهم بكاء صغيرهم	فاذا بكى هذا بكى وأخوه
وتكاد أحشائي تفتت حسرة	مهما أعاد حديثهم راووه
ما في يدي نفع ولا لي حيلة	إلا صنيعكم الذي أرجوه
يا واضع المعروف في أربابه	أنت الملبى دفع ما أشكوه
فأمنن عليّ بأن تقر عيونهم	واعطف عليهم بالذي فقدوه
حتى أراهم أجمعين بموقف	يدعون ربهم وقد حمدوه
يدعونه لك بالبقا وأكفهم	مبسوطة والدمع قد ذرفوه

وشعر من هذا القليل كثير *

وما عسى أن تكون عطايا الدولة الرسولية حتى تحول الشعر من أغراض أدبية بحتة الى مدح خالص يعدد أمجاد الملوك ومآثرهم * هنا سنجد أن الدولة الرسولية لم تنفرد وحدها في إثابة الشعراء وانما سبقتها دول كثيرة وكان القوم يعتزون الى الشعر والشعراء ويقربونهم اليهم وكيف لا يكون ذلك وفيهم بقية من فصاحة وفخر عربي ، وكانت دولة بني حاتم العربية الخالصة تُكرم الشعراء وتجزئهم بالآلاف الدنانير فقد كرم ملكهم المفضل بن أبي بركات الحميري الشاعر محمد بن زياد المأربي بألف دينار فقال الشاعر :

ووهبت لي الالف التي لو أنها وزنت بصم الصخر كانت أبهرا
وكذلك فعل هذا الملك مع الشاعر موهوب بن جديد المغربي *

وكان الشاعر ابن القم يقول في مدح الداعي سبا بن أحمد الصليحي صاحب أشيخ :

ان ضامك الدهر فاستعصم بأشيخ أو أزرى بك القفر فاستمطر بنان(سبا)

أما في الدولة الرسولية فان عطاياهم للشعراء قد تعددت وكثرت ولهذا السبب مال الشعراء الى مدحهم وانها لوا عليهم بالعديد من القصائد حتى أطمعوا فيهم من ليس له دراية ينظم الشعر * وكان ملوكهم يقدرون الشعر ويساهمون في فحص جيده من رديئه بالعديد من العبارات الانتقادية * فهذا الملك المظفر يفضل شعر (ابن دعاس) على شعر (ابن حمير) ويقول : (انما ابن حمير صاحب خلاعة^(١)) وربما تدخل الملوك في صيغ ممدوح الشعراء لهم واقترحوا عليهم اضافات أخرى فهذا الشاعر ابن المقري يطلب منه الملك المنصور أن بطول قصائده في المديح الى نحو خسين بيتا^(٢) وطلب منه الملك الظاهر أن يكتب له مديحه على منوال قصيده ابن حمير في مدح الملك المنصور عمر بن علي الرسولي التي أولها :

(هل عندكم من أناس باللوى خبر) *

(١) العهود اللؤلؤة ج ١ ص ٣٨٢ *

(٢) ديوان ابن المعري ص ٣١١ *

فدل هذا وذلك على اقبال ملوك الدولة الرسولية على مدائح الشعراء
وتفنيد قصائدهم بالنقد والاقتراح وربما وقموا عند القصائد الجيدة وأثابوا
الشعراء عليها بآلاف الدنانير حتى بلغ الامر بالملك الظاهر أن يكافئ الشاعر ابن
المقري على قصيدة قالها في مدحه لكل بيت منها ألف دينار وهو شيء كبير في ذلك
الوقت . ولهذا السبب كان تحول الشعر في اليمن الى المديح واغراقه فيه وهو
جانب يقل فيه التجديد والتطور كما بقول الاستاد شوقي ضيف : (وما عسى
أن يقول الشاعر في رجل كالرجال لا يتميز بصفات خلقية أو جسمية فالامر سيان
وكل ما في الامر أنه يرمي من مديحه الجائزة والعطاء ولولا اهتمام الادباء بهذا
الجانب من الشعر لضربنا عنه جانباً . وكان أقدم من استعمل المديح في العصر
الرسولي الشاعر محمد بن حمير وهو رجل طبع خلقه على التكسب بشعره وعدم
الاحتراف بغيره فطبع الشعر بطابعه . فنادرأ ما يظهر شاعر ولم يمدح الملوك ومن
حسن الحظ أن الشعراء هنا لا يهيجون على مدائحهم هجوما وانما يمهدون لها
بمقدمات تدور حول مواضيع انسانية أو غزلية ومن هنا كانت لنا حصيلة شعرية
في هذا الجانب نستطيع أن نستخلصها من مدائحهم . وقد مر بنا كيف أنهم
استطاعوا وصف الخمر والتغزل بها من خلال مدائحهم للملوك الدولة الرسولية .

وربما وجدنا لهم مقطعات شعرية في أغراض مختلفة غير المديح إلا أن هذه
المقطعات قليلة ومما زاد في ندرتها عدم التصدي لجمع أشعار الادباء في ذلك الوقت
وما جمع منه فقد أكثره وضاعت دواوين كبار شعراء العصر الرسولي كالشاعر
محمد بن حنبل والشاعر عبد الله بن جعفر والشاعر ابن عبد المجيد اليماني وغيرهم
والذي بقي منه نجده مفرقاً في كتب التراجم وغيرها من الكتب غير المتخصصة في
فن الادب وربما أتت قصائدهم في مناسبات تاريخية يجد الباحث بعضها في كتب
الخزرجي مؤرخ الدولة الرسولية .

ومن هنا فالحكم على اتجاهات الشعر في العصر الرسولي بقول صارم يصعب
على الباحث المدقق اذ لا يتأتى هذا الحكم الا باستيعاب كل نصوص الشعر في

عصر بني رسول وهذا ما يستحيل في عصرنا الحاضر * ولا بد من إلقاء نظرة على الشعر في ذلك العصر بما يكتنفه من صعوبة وسنجد فنونه قد انحصرت في الفنون الشعرية المعتادة وظهرت له اتجاهات غير الفنون التقليدية نستطيع أن نستخلص منها سمات محلية وربما وجدنا فيها من الابتكار والتجديد ما لانجده في الشعر الرفيع المعتاد لكبار شعراء العصر ، كما سنفصله فيما بعد *

وكان المديح بوتقة الشعر وكيانه العام * وقد شجع الادباء في خوض بحره بريق الجائزة واغداق الملوك وقد تعددت مصادر المدح في اليمن لا من حيث المعاني المطروقة وانما من حيث كثرة الممدوحين من الملوك ورؤساء القبائل وصغار الامراء * والمتصفح لديوان الشاعر ابن هتيمل مثلا يجده قد مدح جماعة من الاعيان على مختلف اتجاهاتهم ووجهاتهم ، حتى بلغ به الامر أن يمدح الملك المظفر الرسولي ، في حين يمدح أعداءه من أمراء المخلاف السليماني ، والإمام أحمد بن الحسين ، ونادرا ما يكون الشاعر صادقا في مدحه، حتى تكاد تلمس برودة العبارات وتكلفها في كثير من مديحهم ولم يخرجوا فيه عن القاعدة المتبعة عند شعراء الجاهلية والاسلام الا في مواد خاصة يغلب عليها طابع المحلية وسنشير اليها فيما بعد كما لم يخرجوا في مديحهم عن قاعدة الدين فلا تجد في شعرائهم من يصف ممدوحه بذلك الوصف الذي قاله ابن هاني في الحاكم بأمر الله :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وانما تجد شعراء يضعون نصب أعينهم مخافة الله وتقدير رجال الدين وان كنا نجد فلتات قليلة ليست بذات أهمية توحى لنا بالغلو في المديح كقول ابن هتيمل في وصف ممدوحه :

ملك اذا رويت منه رأيته ملكا يرى في صورة السلطان
وتراه انسانا وفيه فضائل تعليه عن بشرية الانسان

فهو هنا جعله فوق درجة الانسانية لكن مثل هذا قليل في شعر العصر

الرسولي وهذا غاية ما وصل اليه الشعر في هذا المجال • • وهم وصفوا الممدوح بخصال
معروفة في الخلق الانساني كالشجاعة والحكم والبصر الى غير ذلك وركزوا على
وصفهم بالكرم لحاجة في نفس يعقوب • فقال الشاعر ابن حمير يصف الملك
المنصور عمر بن علي :

وبحصن (دملوة) المنبع دماره ملك تسمى أكرم الكرماء
ميلوا الى المنصور لا تحدثوا عن برمك وأبي عدي الطائي
ويصف ابن فليته ممدوحه الملك المجاهد فشبه أصابع يده الخمسة بخمس
سحائب يقول :

وفي كفه للجود خمس سحائب تجود بلا برق يروع ولا رعد
ويقول ابن المقرئ في مدح الظاهر يحيى بن اسماعيل :

فلو أدركت أيام جودك (حانما) طمست اسمه طمس الدجى بالظهرة

ويفاخر الشاعر ابن هتيمل ملوك الدولة الاموية والعباسية بالملك المظفر يقول :

نسخت ملوك الدولتين بدولة طريفهم مستهلك في تليدها
فأف على مروانها وهشامها وأف على مهديها ورشيدها
كما أشاد الشعراء بنسب ملوك الدولة الرسولية وعراقتهم في الملك من زمن
الغساسنة فقال الشاعر ابن هتيمل في مدح المظفر :

ملك اذا انتسب الملوك فانه يكفيه شهرة فضله أن ينسبا
وقال ابن المقرئ :

لهم في الجاهلية كل ملك وجد دوح الدنيا حروبا
وقال في موضع آخر :

أفيكم فتى في الملك قد عد مثله ثمانين جدا في القبور هم أحياء

وهذا يكثر في شعر العصر الرسولي ولا غرابة في تركيز الشعراء على نسب ملوك الدولة الرسولية إرضاء لهم فان خصومهم يلزمونهم في نسبهم الى الغساسنة ولا يعتبرونهم إلا من أحفاد التركمان وهذا واضح في كتابات مؤرخي مصر وغيرهم وكان النويري يؤكد على نسبتهم الى التركمان . أما خصومهم من الأئمة فلا يطلقون على الدولة الرسولية إلا دولة التركمان ويقول المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي في شرح البسامة أنهم من بقايا الاتراك ولعل هذه الشائعات وغيرها دفعت المؤرخ الخزرجي الى أن يضع كتابا مستقلا في هذا الصدد بعنوان (المحصول في انتساب بني رسول) . ولانحب الخوض في مثل هذا البحث العقيم . إذ أمر الانساب من الامور التي لاتأتي الا بالواتر والنقل عن الناس ، وربما فرضت بعض الدول نسبا معينة كما رأينا في نسب الخلفاء الفاطميين .

وأشاد الشعراء بفتوح الدولة الرسولية حتى وصلت في زمن المنصور والمظفر الى أطراف مكة المكرمة والهند فقال الشاعر ابن حمير :

نادوا أبا الفتح الذي فتحت له (عدن) الدعاة ومكة البطحاء
والهند والسند البعيد ثناؤه فيهم وأيم الله خير ثناء

ويقول ابن هتيمل للمظفر :

بنيت على قرى اليمنين دربا بحمد المشرفة لا دروبا

ويصور أبهة الدولة في عهد المظفر فيقول :

وكسوت بيت الله أشرف كسوة نشرت عليه وكان كالعريان
وبثت في الحرمين من صدقاتك ال حسنات ما يغني عن الحرمان
وعميد (مصر) منك يطلب نصرة وأخوة في السر والاعلان
والبر والبحر استتب خواجه بضمان والٍ أو بغير ضمان

ومواضيع أخرى تطرقها الشعراء في مدحهم لملوك الدولة الرسولية سيجدها القارئ أثناء عرضنا لشعرهم فيما بعد . وكأن الشعراء استكثروا ما قالوه في

مدح الرسولين فكان ابن هتيمل يشني صراحة على غرر قصائده أمام ممدوحه
الملك المظفر فمن ذلك قوله في آخر قصيدة له :

فدونك حرة الاعراف تحلو بقلب حليها بكرا عروبا
تبرج ان تحجبت القوافي ولم تخف (الوليد) ولا (حبيبا)
ويشبه نفسه بأبي نواس وممدوحه بالخصيب والي (مصر) الذي قصده
أبو نواس :

إذا زرت المظفر في زبيد فقلت أبا نواس والخصيبا
ويصف الشاعر رحلته الى ممدوحه فيقول أنه سئم البقاء في بلده و هذا
المنصور يملأ مدينة الجند باحسانه فيقول ابن حمير في هذا المعنى :

ولقد سئمت على الزمان تغيبي ومللت في أرض الهوان ثوائي
وأدرت طرقي في البلاد فلم أجد حراً اذا أدعو يجيب دعائي
يا ركب بالجند الخصيبة بارق تهمني سحائبه صباح مساء

ولم يقتصر الشعراء على مدح الملوك والامراء وحدهم فقد حظي عمال
الدولة الرسولية ووزراؤها بنصيب وافر من غرر القصائد في مدحهم بل نجد من
الشعراء الكبار من مدح العلماء والفقهاء من الصوفية والمتعبدين ولم يحصر
شعره على مدح أرباب الرياسات وهذا الشاعر ابن حمير على حرصه في الكسب
من شعره يمدح الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي بكر الحكمي وصاحبه محمد بن
الحسين البجلي صاحب عواجة وله فيهما غرر القصائد وكذلك الشاعر عبدالرحيم
البرعي مدح جماعة من أكابر العلماء والفقهاء في عصره كالفقيه علي الاهدل والعرايبي
وغيرهما وأغلب الظن أن مدح الشعراء للعلماء أتى بدافع الاخلاص والحب ولم
يكن لغرض مادي * وربما اختلفت المضامين المطروقة في مدحهم عن مدح ملوك
الدولة الرسولية فرأينا صوراً تختلف تماماً عن تلك الصور السابقة وربما اقترن
بعض من مديحهم للعلماء بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم * وهذا ما ستعرض
له بالبحث عند حديثنا عن هذا الجانب من الشعر *

أما مدح الوزراء فقد انفرد به الشاعر ابن هتيمل وكانت له قرابة أسرية
ببعضهم فكان يتقرب إليهم لهذا السبب ولغيره • وممن مدحهم الكاتب (خطاب)
أحد وزراء الدولة الرسولية في عهد المظفر وفد وصفه بسلامة الضمير وطهارة
نوبه من الدنس فقال :

وإذا الخطوب طغت فلم تر مؤثلاً أوفى وامنع من يدي (خطاب)
رجل إذا دنس الرجال فعرضه عف الضمائر طاهر الانواب

ثم عرج الى مهنة الممدوح وهي الكتابة والامارة فوصف قلمه بأنه يدير
مراسم الدولة من (مصر) الى (عدن) الى (عيذاب) وأنه في مهنته تميز برئاسة
السيف والقلم :

وفتى اذا غاض السماح وجدته بحر السماح ومعدن الآداب
قلما يدبر سائر الاقليم من (مصر) الى (عدن) الى (عيذاب)
ورئاستان اذا انتضى سيفيهما مضيا على الامراء والكتاب

ويمدحه بقصيدة أخرى فيصفه بأنه قلب الامير وعين السلطان وزند الدولة •
وفتى للامير قلب وللسلطان عين وللخلافة زند

وكان الشاعر ابن المقري قد اتصل ببني معيبد وزراء الدولة الرسولية
وشاركهم في شؤونهم الحكومية حتى امتزج بهم وزوجوه منهم فكان يمدحهم
بالعديد من القصائد كقوله في احداها يمدح الوزير نور الدين علي بن عمر بن
معيبد يصف شجاعته وتواضعه وكرمه :

فتى يستقل البحر ورداً لشارب ويستصغر الدنيا مناخاً لقادم
مكارمه نغشى محط عفاته وآراؤه تغشى مقيل الضراغم
اذا اقتسمته ثشوة الباس والندى تموج موج اللجة المتلاطم
فأعداؤه من كرهه في ماتم وأضيافه من جوده في مواسم
فتى لا تراه ساحبا ذيل عزة ولا راكبا إلا ظهور العزائم
ولا اختال إلا في مجال القنا ولا تبخر الا في وجوه العظامم

أما ابن حمير فيتجه بمدائحه الى رؤساء القبائل فيحظى عندهم بالعديد من الجوائز وكان المشائخ رؤساء القبائل يكونون طبقة عسكرية قوية لا تخضع في قوتها لسلطان الدولة ولهذا اعتبر مدحهم والتقرب اليهم نوعا من التمرد على الدولة • وقد حرمت الدولة على كثير منهم دخول المدن الكبيرة فكان الشيخ منهم اذا أراد حاجة خاصة له وقف عند سور المدينة وبعث من يأتي اليه بطلبه • وقد تميزت قبيلة الاشاعر والمعاذبة بكثرة مشائخها وتمرداتهم على الدولة حتى كادوا أن يسقطوا الدولة الرسولية في أحد الايام لولا اعتمادها على العنصر الاجنبي من المماليك ، فكانوا يصارعونهم من حين لآخر • وكان تقرب ابن حمير الى المشائخ في إبان تكون الدولة الرسولية وعدم التفاتها لأمراء المشائخ وقد مدح منهم جماعة كالشيخ معيب بن عبد الله الاشعري الذي يقول في مدحه يصفه ويصف قومه ومدينته :

الخصب لي والخصيب في (رمع)	ومصر بل نيلها لمن يرد
ومذ كساني (الحسام) نعمته	لم أبك للبرمكين ان فقدوا
ومذ كفائي أبو العفيف فلا	يملا عيني من الوري أحد
ذي (رمع) والحما وذاك معي	بد وهذا العبد والعبد
ان سار ساروا وراء رايته	أو هو أومي بكفه سجدوا

وقد وجد ابن حمير في مدح مشائخ العرب منفسا لنزعتة العربية التي ماكاد يظهرها الا من خلال المدح لهؤلاء •

وامتزج شعرهم بنوع آخر من الفن هو ما عرف بفن الغزل ، وقلما تخلو قصيدة واحدة منه • اذ كان هذا النوع ضرورة من ضرورات الشاعر في ذلك الوقت • وانساق وراءه جماعة الشعراء على مختلف اتجاهاتهم بما فبهم أولئك الصوفية وهم في غزلهم أصحاب صنعة وذوق ومع ذلك فلا تكاد تظهر بشيء جديد في هذا الباب وكل ما في الامر هذه الصور المعتادة في أدب الجاهلية والاسلام • ومنهم من أغرق في التقليد وتشبه بالقدماء الجاهليين ولم يخرج عن قاعدتهم حتى

في أسماء النساء ، فهنا نلتقي بسمية وليلى وزينب والرباب وغيرها • وكان ابن
هتيمل واحداً من أولئك الذين ولعوا بذكر النساء في شعرهم وقلده في ذلك
الشاعر عبد الرحيم البرعي وأنت تقرأ شعر ابن حمير فتجد فيه هذا النفس الجاهلي
كقوله :

ما لي حفظت العهد من أسمائي	وهوى ابنة البكري غير هوائي
ما رمت صاحبة سواها انما	أسماء حاولت البديل سوائي
أبداً أحوط لها الهوى وأصونه	وتخون فانظر غدرها ووفائي
ميلة الأعطاف بل منهالة الـ	أرداف بل مهضومة الاحشاء

الى آخرها ***

فنحن نقف في هذه المقطوعة على وفاء الشاعر لمحبوبته وصداعه ثم وصفه
لها بالصور الحسية المعتادة في شعر الجاهليين والاسلاميين ولا نظفر بشيء غير هذا •
وقد تفنن الشعراء في وصف ملامح الحبيب والعناية بحسن التشبيه فلا
تخال نفسك إلا أمام لوحات فنية أبدع في رسمها رسام ماهر • انظر الى محبوبة
الشاعر ابن هتيمل في هذا الوصف الرائع :

أغرّ في البدر شكل من محاسنه	وللقضيب نصيب من تشنيه
كأنما الصعدة السراء عاسلة	في برودة ومجاج النحل في فيه
إذا تحرك فارتجبت أسافله	تحت الغلالة واهتزّت أعاليه

فنحن أمام لوحة متحركة لمرأة كاملة الوصف •

وهذه صورة أخرى :

متجلبب بغلالة من شعره	كسبي الملاحه حاسرا ومنقبا
قمر توشح خصره بسواره	فيجول من هيف عليه لولبا

وفي شعر البرعي شيء من هذه الصور الحسية كقوله :
ذهبية القسّمات رائعة الصبا ترنو فيحسدها الغزال الأغيد

ففي هذه الصورة وغيرها بكثرت نسبة الشاعر محبوبته بأشياء حسنة أو معنوية . وكأن قرائحهم قد توقفت عن الاتيان بشيء غير هذا الاسلوب ، فلا يخرج الشاعر في وصف محبوبته من ذاتها وانما يشبهها بما هو أقل منها مكانة وقيمة من حيوان وجماد حتى كأنك تخاله وهو بصفها انما يصف حيوانا أو متاعا جميلا يعرضه للبيع . ولا أدري هل انحطت مكانة المرأة عند الشعراء الى هذا الحد أم مجرد خيالات يتوسل بها الشاعر الى ممدوحه ، اذ أغلب شعرهم في الغزل انما ورد في مدائحهم لأعيان عصرهم .

وكان ابن المقري فد ساءه كثرة استعمال الشعراء للجماد والحيوان في وصف الحبيب فشبهه محبوبته بشيء آخر غير مألوف عندهم كقوله :

ما كنت أول طامح في جامع فصل اللحاظ مؤنت الاجفان

فاستعمل الذكورة لقوة الابصار والانونة لفتور الاجفان . ومثل هذا قليل في شعر ابن المقري والا فهو واحد من كبار الشعراء المفرقين في تشبيه الحبيب بالجماد والحيوان . انظر الى هذه التشبيهات الكثيرة في هذه المقطوعة :

قوامك مثل معتدل القناة	ووجهك قد أضاء على الجهات
وريق لماك خمر سلسيل	سلسل من لآلي باهرات
ومن عجب جمونك فاترات	وتفعل مثل فعل المرفعات
وسيف اللحظ في الوجنات بحمي	جنى الورد عن الايدي الجناة
وشعر مثل ليل البحر داجر	على المتنات مسود الشان
وجيدك جيد ريم في التفات	الى القناس يعدو في الفلاة

وابن المقري على فقهه وتوليه أحكام الناس الشرعية فانه أكثر شعراء اليمن انغماسا في الغزل والهوى . وقد فلسف الحب في شعره ودعا الى الانخراط فيه بل ذهب الى أنه من الحمق مغالبة الهوى ومخالفته . يقول مخاطبا العشاق:

فيامعشر العشاق مهلا عن الإبا فليس لكم في قتل أنفسكم عذر

فأول قتلى هذه الوقعة الصبر
به عن مقالات ترددها وقر
قتلت أما هذا وفاء وذا عذر
وواصلت جاف حظ زائره الهجر
خضوعا شكته الخنزوانة والكبر
ويرضيك أن يعطيك مقودها القبر

ولا تطمعوا في الصبر من بعد هذه
أرحني أرحني يا عذول فسمعي
عن الحزن تنهائي وتأمر بالعزا
وهل أنا بدع أن سهرت لنائم
فقد خضعت قبلي الخلائق للهوى
وما الحمق الا أن تغالب عادة

ومن مبالغاته في هذا الصدد :

بأن عليه في بقياه عارا
فعشت ولم أمت فيه مرارا
تدور لكنك أول من بواري
رويدا فالسقام عليك جارا
غدا وجه يقابله جهارا
واكراها وآخره اختيارا
له ما خاف مما خاف جارا
يجود به علي ولو غرارا
لخطت عليه أجفاني القصارا
أيسبح أم يخوض بها بحارا

وقال يعيتس بعدي وهو يدري
فقلت وأي يوم غاب عني
فها أنا ميت لولا عيوني
وقالوا خذ بنفسك في هواها
ولولا فرط سقمي لم يكن لي
حملت السقم أوله اضطرارا
وقد يخشى الفتى شيئا فيضحى
سلوها هل بجفنيه منام
فاني لو ظفرت ببعض نوم
وآين طريق نومي من دموعي

وربما سلكت مبالغاته الغرامية طريقة نواسية كقوله في قصيدة :

وجسم محاه السقم لولا قميصه بدا شبعا كالظل كاد يزول

وكان ابن المقري مدرسة مستقلة في الغزل سلكت طريقا جديدا لم يسلكه
أحد قبله من شعراء اليمن وفيها من الاصاله ماتجعله يقارع أكابر شعراء العربية
من المتأخرين • وربما نعود الى شيء من هذا عند حديثنا عن ابن المقري •
أما ابن فليته فان مفهوم الحب عنده يرتبط ببقاء المحب على اخلاصه لحبيبه
في جميع الحالات :

وليس محبا من يدوم وداده على الوصل لكن من يدوم على الصدا
وابن هنيمل يربط الحب بالهوى والشهوة فيقول : لولا الشهوة لم يخدم
الرجال النساء :

للهوى عزة ولولاه والشهوة لم تخدم الرجال النساء
فتعجب من ذلة السيف للسيف ومن خيفة الاسود الظباء
وعند البرعي أن الحب ليس الا لوعة وصباة :
وما الحب الا لوعة وصباة ومهجور يحن لهاجر
ويشرح رأيه في هذا فيقول :

ولو كان الهوى العذري عدلا لحمل كل قلب ما أطاقا
ولشعراء الغزل آراء كثيرة حول الحب فكأنهم حولوا الشعر من دائره
التكرار والجمود الى دائرة الحركة والحيوية فهنا عواطف صادقة تحس فيها
معاناة الشاعر وصدقه •

وتبقى هذه الاساليب التقليدية في شعر الحب ، وهي كثيرة يزخر بها أدب
الشعراء في العصر الرسولي فلا يمكننا تجاوزه الا بالبحث في جوانبها • فمن هذه
الاساليب حديث الشعراء عن زورة الحبيب في خلصة الليل ، وكان أبرز من صور
هذا الجانب من شعراء العصر الاديب ابن هنيمل • يقول :

ومختلف في ظلام الليل نم به تنفس الريح والخلخال والعبق
وافى ليحدث بي عهدا وأحدثه وصاحبي في خلال الركب مرتفق
فقلت والخوف يدينيه ويبعده أضمه بين أحشائي واعتنق

فقد أبدع الشاعر في وصف تلك الزيارة المختلسة من الرقيب • وأنت
تحس بروعة التصوير في ذلك التردد من قبل الحبيب في قول الشاعر : (فقلت
والخوف يدينيه ويبعده) •

ثم تتحول تلك الزيارة المختلصة عند ابن هتيمل الى غرام مفرط :

طرقت (نوار) وللظلام بقية	نصف الظلام وللصباح شواهد
وتجلببت ورق الشباب فذائب	للمحسن في ورق الشباب وجامد
بتنا وطوق (المالكية) ساعدي	تلوي ذوائبها وطوقي ساعد
أفرشتها جسدي فبات مضاجعي	قمر عليه من النجوم قلائد
حتى اذا نصل الدجى وتعللت	جزعا وهب من الهجود الهاجد
قامت تغالطني الكلام فطائش	لا يستقيم من الكلام وقاصد

انها زيارة متأخرة جعلت الحبيب يفر مذعورا تحت ضوء الصباح فلا يلوي
على شيء الا الهروب • ويطلب ابن المقري في وصف تلك الزيارة ويقول :
(لم ينهها الا طلوع النهار) •

لله ليلة هب نحوي زائرا	يدعوه نحوي ما اليه دعائي
فرعا يجر إليّ أذيال الدجى	كالغصن مضطربا من الخفقان
(فاذا قنا) طعم الحياة لقاءه	فأدار خمرة ريقه وسقائي
فازددت من ظمئي اليه كأنما	بالري أعطسني الذي أرواني
وافى به نحو الدجى فاستله	مني ومنه الصبح رأي عيان

وتنتهي هذه الزيارة بالوداع والبكاء :

عهدي به عند الوداع كأنما	في خده انتشرت عقود جمان
خجلا يعاود لي فواتر طرفه	واليه ألسنٌ حالتي تنعاني
والصبح يطلع راسه بين الدجى	وكأنه نار خلال دخان
والورق فوق الايك تصدح والضيا	في الافق يمضي مشية السكران
والليل قد ركب النهار قفاؤه	والنجم يكسر طرفه وبداني
فمضى وألسني السقام وانما	من كلما أحبته أغراني

وتنتهي الزيارة بانتهاء الليل وطلوع النهار •

وفي شعر ابن المقري كثير من الاساليب الفنية المتبعة عند الشعراء في ذلك الوقت سنعود الى ذكرها في ترجمته .

وقد احتفظ الغزل بسماته التقليدية عند شعراء العربية ولم ينحدر الى هاوية الشذوذ والمجون كما عهدناه عند جيل المولدين من شعراء العصر العباسي والعصور المتأخرة والشام . ولكن الشاعر اليمني الوحيد الذي خرج عن حدود الادب والاخلاق في شعره هو الاديب أحمد بن محمد فلبته الذي نجد له قطعاً ماجنة في الغزل بالمذكر والاستهتار بالاخلاق بل أنه لايتحاشى في شعره عن ذكر الاتصال الجنسي الشاذ . وهذا الشاعر نسيج وحده في الادب اليمني وهو صاحب ثقافة تأثر فيها بالادباء المعاصرين له من أهل مصر والاثراك الذين قدموا مع الدولة الرسولية .

وفي شعر الرثاء امتزجت العواطف بالاحساس الشعري الرقيق ولم نعدم الصنعة الفنية فيه . وربما اختفى طابع النكسب من هذا الشعر ، ووجدنا جماعة من أدباء اليمن يرثون أقاربهم لا بدافع الكسب والتجارة وانما بدافع الاحساس بالالم والمعاناة . وفي الادب اليمني جماعة من أولئك الادباء الذين رثوا زوجاتهم ووجدنا في هذا العصر من رثا ابنته وأخاه . في حبن تمثل في شعر الرثاء الرسمي — وأعني به رثاء أعيان الدولة — وحدة الموضوع وتكامل الصنعة . وكان أشهر من بكى الاموات في اليمن الشاعر عبد الرحيم البرعي ، وقد أهّله لذلك طبيعة وجدانية رقيقة . وشعره في هذا مما تسيّر به الركبان . وقد بلغت به الصنعة في هذا الفن درجة يخلط فيها بين الرثاء والمديح فلا تكاد تفصل أحدهما عن الآخر . انظر اليه يصف ضريح أحد الأموات الذين رثاهم :

ألوذ بالمشهد المحروس منتصرا كأنني منه في ركن وملتزم
حبث الجلالة مضروب سراقها والنور مبتسم يجلو دجى الظلم
الله ذا الطود المنبف ذراً ذا العالم ابن العالم العلم
فهذا مديح خالص لا رثاء كما أردنا . ولو أنه يرثي أشخاصا ماتوا لقلنا إنه يمدحهم .

وهذا الشاعر ابن هتيمل يرتي زوجته بحرقة وألم ونسمعه يقول :

بنفسي عصر يوم السبت نعش تداوله المناكب والرقاب
تسل الى الحفيرة منه شمس تبلج في جوانبها شهاب

وتنتهي مراسيم الجنازة ويبقى قبرها ماثلا أمامه فيجدد في نفسه الحزن والالام :

يجدد قبرك المعهود حزني مطاولة ومنزلك الخراب
وعز علي أن أمسي ويني وبينك من سوى الدنيا حجاب
أحيي بالسلام فلا أحبا وأعلن بالكلام فلا أجاب

ثم يشتط الخيال بالشاعر فيتخيل زوجته وقد أكل البلى جمال وجهها وتخللها
التراب من كل صوب وهي التي كان يؤلمها مسيس الثوب :

وأسمح للبلى بجمال وجهه يؤثر في محاسنه النقاب
فما فعل الثرى ويد الليالي بجسم كان تولمه الثياب

ويعود الى هذه الخاطرة فيقول في مفتتح قصيدة أخرى في رثاء زوجته :

على مثل من ودعته ووسادة على المضجع الارضي كف ومعصم

ثم يصور أيام الوحدة ويخاطب زوجته الراحلة فيقول :

أبيت على جنب الفراش كأني ضجيعي من بعد المليحة أرقم
أتاركتي فردا بدون قرينة وما كل موجود القرينة تؤم

وفي بكائه لزوجته يكثر تمنبه الموت ويعتبر تأخر موته من سوء حظه :

فمن لي أني في مكانك أرمّل وأنك مني في مكاني أيّـم
ومن ضعف حظي أنني متأخر فيا بردها لو أنني متقدم

ويقول في قصيدة أخرى :

ولو أني قتلت عليك نفسي لكان خطاي في الفعل الصواب

وهذه النعمة تتردد في أكثر مراثيه فيقول في رثاء الفقيه علي بن حسين البجلي:

فما أنا في طيب الحياة براغب ولا أنا عن حب الممات بزاهد

وكان ابن المقرئ قد رثا ابنته زينب فقال:

تولت فما من مطمع في لقاءها أمني به الباكين يوم اتوائها

ويذكر من محاسنها محافظتها على الحجاب وعدم تبرجها وخروجها من البيت:

ولا برزت من خدرها لتنزه ولا راودت جارها من خباها

ولا امتدت الأيدي إليها مشيرة ولا قيل هذي زينب في نسائها

ولو لم أنوه باسمها بعد موتها لكان خفيا مثله في بقائها

لقد كنت أخفي في الحجاب من السها على مقلة والشمس حال استوائها

ويلقي نظرة على أولادها الذين تركتهم وراءها فيقول:

وخلفت أولادا كزغب من القطا تدافعهم بالكره أيدي إماءها

لقد ضاع طفل غاب عن عين أمه وان خلفها غيرها في اعتنائها

وكما رثى الشعراء أقاربهم وذويهم نجدهم قد رثوا الشيوخ والعلماء وهذا الشاعر ابن المقرئ يصور حسرة الطلبة على فقيدهم العلامة النحوي عبد اللطيف ابن أبي بكر الشرجي فيقول على لسانهم:

يا شيخنا في كل علم اننا مثل النلامذة اليتامى في وصب

الضائعون اليوم والباكون من أخذ لشخصك مغتصب

ويعدد مناقبه فيقول:

العالم الوضاح والبحر العباب الزاخر الامواج والغدق الصبيب

والفد في العلماء والفضلاء في تصوير مسألة بلفظ أو كتب

الناسك - الأواب والوهاب والر غاب في بذل الرغائب والقرب

ويرثي الشاعر محمد بن حمير الفقيه محمد بن حسين البجلي بفصائد كثيرة
منها هذه القصيدة الرائعة :

لله آية سؤدد وجلال	حملوه من فوق السرير العالي
ماذا تداولت الرقاب عشية	من بدر أندية وبحر نوال
كتب الجمال كل دهر عاقل	فاليوم عطل كل دهر حالي
من للعظام ان فقدت تزلبها	عن حالها ويفك كل عقال
من صاحب الوجه الجسيم وصاحب ال	جاء الجسيم وكعبة النزال
يا بن الحسين لكم أجبت قبيلها	صوتي وكم أصغيت عند مقالى
كانت بك الاوقات وهي منيرة	فاليوم أيام الغوير ليالي
فقدت (سهام) سهولها ونجودها	بك ذروتي جبل من الاجبال
كان اللهب الى ظلالك يلتجى	فاليوم قد أضحى بغير ظلال
قد كنت برا للجميع ووالدا	للشيب والشبان والاطفال
فاليوم ضاع السرب بعد وفاته	سلفت وبت الحبل بعد وصال
لا الاثل في شطي (سهام) بمعشب	والماء حتى الماء غير زلال
والارض غير الارض والدينيا سوى	ما كنت أعهد في الزمان الخالي
كنت الهلال لغورها ولنجدها	فاليوم مغربها بغير هلال
طود تصدع من (بجيلة) بعدما	قد شاد أي معالم ومعالي
ان يحملوك الى الضريح فطالما	قد كنت عنهم حامل الانتقال

الى آخر قصيدة ابن حمير في هذا الموضوع •

وامتزج رثاء الشعراء للملوك بنوع آخر من الابتكار والجودة في النظم
حيث تدخلت فيه عدة عوامل مادية ومعنوية لامجال لذكرها هنا • وكان ابن
هتبل واحداً من أولئك الشعراء الذين أجادوا في رثاء الملوك والامراء وهو أقدم
من صور الاغتيالات في شعره • كقوله في رثاء الامير محمد بن قاسم الذروي
الذي مات قتيلا وكان قد قتله شخص يسمى (ابن عاطف) :

إذا استعرضته من حالنيه أجلت الفكر في العجب العجائب
ترى البازي والاسد العفرني صريعا بابن آوى والغراب
وكم قد ب دا ظفر وناب بسائمة بلا ظفر وناب
تفرد بالقرود بني (قصي) وأفنى بالكلاب بني (كلاب)
(كوحش) أو (كنسر) أو كأشقى (مراد) وعاطف ابن أبي التباب
ويجبل نظره الى تلك النوادر فيراها مما تزيد في شجوه :

ومما زاد في غمي وشجوي وفي كمدي وحزني واكتئاب
نوادب من نوائح ذكررتني بزنب أو (سكينه) أو (رباب)
ومن رثاء الشعراء للملوك قول الشاعر ابن المقري في قصيدة يرثي فيها الملك
الناصر عبد الله بن أحمد بن اسماعيل الرسولي أولها :

ما لي أرى الغاب عن وجه الهزبر خلا وما لبدر الدجى عن برجه أفلا
ثم يصل الى بيت القصيد ويصور الفاجعة بموت القعيد:

ما كان أفجعه خطبا وأفظعه سلبا وأسرعه في أمه خلا
ثم أنه يتقمص شخصية المراثي ويقول على لسان معزیه:

أموت ببنكم وحدي وما أحد منكم يموت معي حزنا ولا وجلا
أين المفدون لي حيا أما رجل منهم اذا قال قولا بالفدا فعلا
لا هم فدوني ولا في الموت شاركني منهم صديق ولا في حفرتي دخلا
فيجيب الشاعر عن استفساره ذلك بأن موت النفوس حزنا عليه أمر هين
لولا خشية الشارع الحكيم •

ولو أجبنا لقلنا قتل أنفسنا عليك هين ولكننا نسي عملا

وفيلسوف ابن المقرئ في رثائه مسألة الموت والحياة فيقول إن الموت يروعنا
أول قدومه ثم ما نلبث أن نستسلم له :

يروعنا الموت عظما عند هجمته وننكر الامر حيناً ثم نعترف
كالشاء قد روعت سرباً فثاب لها رعباً وألهاء عنها الروضة الانف
والدهر ما زال يكيئنا ويضحكنا بصرفه وعلى هذا مضى السلف

وهاهم الناس قد أقاموا طيلة أوقاتهم في مأتم لهذا الموت :

راجع سلوكك تسلى الناس قاطبة فقد أقاموا على الاحزان واعتكفوا
فلا ترى غير ذي قلب به حرق وغير ذي مقلة انسانها يكف

واذا تجاوزنا هذا النوع من الشعر سنجد فن الوصف قد زاحم سائر
الفنون الشعرية ودخل في اتجاهاته واشتھر من شعراء الوصف في ذلك الوقت
الاديب عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني والاديب ابن هتيمل الذي كان كثيراً
ما يصف المعارك ويصف أبطالها فمن ذلك وصفه لبعض الأبطال يقول :

بكل سميّدع يضحي خضاباً بأنمله النجيع عن اليرنا^(١)
إذا عقد الحيا أبصرت أنسا وإن شهدوا الوغى أبصرت جنا

ويصف ابن المقرئ معركة فيقول :

إذا ما غزا في موكب سار قبله من النصر والفتح المبين مواكب
وحفت به تحت العجاج كتائب أسنتها فيه نجوم تواقب
قد اطردت أرسائها وتنافست كما اطردت في السمھري الاناب
تراها جبالا من حديد وراءه تدافع مما ضقن عنها السباب
تظل عواليها تظل كائنها إذا ذبن من حر الهجير الذوائب
وان حفظت في مشرع الطعن أرجيت عليهم من النقع المشار مضارب

(١) الرنا . الحنا

وضلت تعادي الخيل فيه كأنها كواسر عقبان لوكر طوالب
هنالك لا روح تصان عن الردى ولا دم الا في فم السيف ساكب
ولا نحر الا فيه بالرمح طاعن ولا رأس الا فيه بالسيف ضارب

وكما وصفوا المعركة والابطال نجدهم قد وصفوا الهزيمة .. فابن هتيمل
لا يصور المنهزمين الا في صور الفارين من الموت :

حفوا بسيدهم فلما أيقنوا بالموت طاروا عنه كل مطار
صبوا السياط على قوارح خيلهم هربا من المهرات والامهار
فكأنهم شهب البزاة تبلبلت بالغيت فانقضت الى الاوکار

ومن الشعراء من مال بشعره الى وصف الرياض والحدائق والقصور وكان
ابن فليته واحداً من أولئك الادباء الذين برعوا في هذا الجانب فقال في وصف
بركة ماء :

الزهر ييسم عن ثغر بتديد والطيير يطبع أصناف الاغاريد
وللنسيم على الاشجار نحنحة فكل غصن عليها مايس الجيد
وللجداول بين الروض رققة والماء ما بين تخدير وتصعيد
في بركة لعبت أيدي الرياح بها حتى غدت بين تسليس وتجعيد
دارت تماثيل طير في جوانبها تسج ماء ولم تنطق بتغريد
كالبحر أضحت عليه الطير واقعة تبدد الدر فيه أي تبديد
وجاذب القصب الاوتار اذ نطقت فأطربا بين ترجيع وترديد
وكان أعجب من هذا وذلك في صون الطبول مع الناقوس والعود
فكل نفس بحمد الله من طرب ترتاح ما بين مسموع ومشهود

ويصف ابن المقري احدى النزه فيدقق في وصف ما فيها من أثمار ومباهج:

ونحن في روضة يجري النسيم بها فيلبس الماء درعا ضيق الحلق
تحكي الغصون بها الاحباب ناحلة ما بين مغترف منها ومغتبك

والورد فيها خدود ضمرت خجلا
وللرياحين والازهار اذ ثشرت
راقت ورق جلايب النسيم بها
وغردت خطباء الطير ساجدة
فالطير تشدو لتصفق الغدير لها
والكاس تلثم ثغرا عن لآلئها

وصفوا القصور فقال ابن عبد المجيد يصف قصر (المعقلي) :

تلك الجنان أما ترى أنها راها
تحلى زواهرها ويشرق زهرها
مثل المجرة في انتظام قصورها
برزت بها الاغصان شبه عرائس
في كل عود من سواجع طيرها
قد أعربت بالطيب عن ثمراتها
فكأنها الاقمار في هالاتها
أين المجرة من سنا زهراتها
نظمت عقود الدر في لباتها
عود يريك اللحن من نعماتها

ويقول اشاعر عبد الله بن جعفر يصف نفس القصر السابق الذكر :

هل في الخلافة آيات تشاهدها
وابصر التبر مبذولا لطالبه
بين الحدائق والاعناب قد نشرت
كأنما عاد غمدان كمبدئه
كأن أربعة الجوزا رواشنه
بين الشبيهين (شاذرمان) قبلته
تظل منه صفوف الماء ساجدة
الى سواقي رخام فوق (فسقية)
وقوف سقف ولا شيء به دعما
فقال من دونه ذوباً به رقما
منها ثياب تلف الوهد والاكما
وأظهر الله من أسنانه إرما
و (الجركتان) كأن الفرقدين هما
هما الجناحان وهو القصر بينهما
مؤديات لسلطان الوري خدما
فاعجب لجامد ماء فيه ذائب ما

وأنت تجد في هذه القصيدة مدى تأثير الكلمات الحضارية على أدباء اليمن
في ذلك الوقت وقد جاءتهم مع دخول الدولة الايوبية • فنحن هنا نجد أسماء

أعجمية غريبة على الشعر اليميني كلفظة (رواشن) جمع روشن وهي كلمة فارسية معناها الكوة • ولفظة (جركتان) لم أقف لها على معنى • و (فسقية) ومعناها الحوض باللاتينية الى غير ذلك •

أما ابن المقري فانه يصف قصرا عجيبا بناه السلطان الناصر ويضمن في وصفه بعض الآيات القرآنية :

(مقعد صدق لملك مقتدر)	كأنه من جنة الخلد اختصر
متسع الأرجاء طاووشيهـ	يقيد اللحظ بمنظر نضر
سامي المباني بكواكب السماء	متوج وبالسحاب مؤتزر
كأن وشي الطرس في حيطانه	رقم يذوب التبر في طرس سطر
سقف نضاري يسر من رأى	على أووين بها العين تقرر
قد أبرز « الأبريز » من مرقومه	في طرزها محاسن لا تستر
وبركة تقابلت عقودها	عرائسا مجلوة للمبتكر
تظلمها قبة تبر زخرفت	متى تجل في وشيها الطرف أسر
مترعة ماء يظل ينطوي	فيها على حكم الهوى وينتشر
وكلما مر النسيم فوقها	فاضت على الطرق بماء منهمر
بين رياض يشكر الصاحي بها	ظل مدير وهواء مستمر
سخونة الجو وبرد ظلها	كسى النسيم لذة لا تنحصر
تنثر الروح اذا جرى الصبا	فيها عثيا فضل ذبله العطر
حدائق خضر الربا أنهارها	من تحتها تجري بماء منهمر
دانية قطوفها للمجتني	طائفة أغصانها للمهتصر
بديعة أوصافها رحيمة	أكفافها نعم مقر المستقر
قد صاحت الورق على أغصانها	يا معشر العشاق هل من مذكر
هذي غصون كالقدود تجتلى	و (جنار) كالخدود يستعر
ونرجس مفتوح جفونه	مصدق عيونه كالمنتظر

فنحن أمام وصف كامل جمع بين وصف الرياض والقصور ، قد صحننا الشاعر في أول القصيدة الى داخل القصر ووصف حيطانه وسقوفه ثم خرج بنا الى الحديقة ووقف وقفة متأبنة عند « بركة » القصر ووصف ماحولها من عجائب كتلك القبة التي وضعت فوقها وزخرفت بنفوش هندسية جميلة وهذا الماء الذي يتحرك بتحرك النسيم ، وأخيرا ألقى نظرة على الحديقة وما فيها من جو عليل وورود وأزهار متنوعة .

ومن الشعراء من مال في شعره الى وصف الخمر ويعتبر الاديب ابن فلبته شاعر الخمره في الادب اليمني خلال عصر بني رسول ومع ذلك فاننا نجد لابن هتيميل مقطوعات شعرية جيدة في وصف الخمر سنذكرها في ترجمته .

ودخل في الشعر اليمني في ذلك الوقت اتجاهات أدبية جديدة استحدثوها قبه من الشعر المعاصر لهم في مصر والتمام . وكان من أهمها شعر « الموشح » الذي دخل الى اليمن عن طريق مصر وليس عن الاندلس كما يظن البعض . فقد نشط في مصر خلال ذلك الوقت شعر الموشحات وبرع فيه من أدبائها جماعة نذكر منهم الاديب ابن سناء الملك صاحب « دار الطراز » وهو أول مصنف وضع في أصول هذا الفن . وفي هذا الصدد يقول الاديب محمد كامل حسين إن « المصريين هم أول من صنف في فن الموشحات بالرغم انه فن دخيل عليهم^(١) » . والاصل في الموشح الاندلسي انه كلام منظوم على وزن مخصوص يتألف في الاكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات تتردد في الموشح ويقال له الموشح التام وفي الاقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له « الاقرع » ، أما في الموشح المصري فانهم لم يتقيدوا بهذا العدد أو ذاك والتام يتبدى بأقفاله والاقرع يتبدى بأبياته أما الاقفال فهي أجزاء مؤلفة يجب أن يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزاءها والابيات أجزاء مفردة أو مركبة يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزاءها لا في قوافيها بل

(١) محمد كامل حسين . دراسات في الشعر في عصر الايوبيين ص ١١٤

يجس أن تكون قوافيها في كل بيت منها محالفة لقوافي البيت الآخر وأقل ما يتركب القفل من جزئين الى نمائة أجزاء والبيت ثلاثة أجزاء •

ومن أمثلة الموشح عند المصريين هذا الموشح النام لابن سناء الملك :

أهوى قمر أحوى أغر حلو الرضاب ألمى
وعاذلي لما نئى عن الثصابي أعمى
البس ضناك جهرا واكس هواك سرا
واذر الدموع نبرا وارم العذول برا ، الخ

وكانت صلة اليمنيين بالمصريين قوية في ذلك الوقت فلا غرابة اذا استحدثوا عنهم « فن الموشح » وكان مؤسس هذا الفن في الادب اليمني هو الاديب أحمد ابن محمد بن فليته وقد وصف المؤرخ الخزرجي ديوانه بأنه اشتمل على عدة أنماط من الشعر كالموشح والساحلي والدوييت والبالبال والحميني ، ومن حسن الحظ أن ديوانه الحميني قد وجد أخيرا عند أحد الادباء وهو غير ديوانه الفصيح المحفوظ بمكتبة الجامع بصنعاء •

ودخل الشعر الملحون المعروف في اليمن بالحميني سائر فنون الشعر وان كان تميز على وجه الخصوص بشعر الموشحات والمسمطات فان ذلك كان لاسعماله في الغناء والموسيقى وأقدم قصيدة ملحونة غناها المطربون في اليمن كانت للشاعر ابن فليته صاحب هذا النمط من الشعر وهي التي أولها :

لي في ربي حاجر غزيل أغيد ساجي الرنا^(١)

وحسب قول المؤرخ يحيى بن الحسين أن أول من قال الشعر الحميني في اليمن هو الاديب ابن فليته والمزاح^(٢) • وهذا أقرب الى الواقع لان هذا الفن من الشعر لم يعرف إلا في العصر الرسولي وهما من أدباء هذا العصر •

(١) من مقال للاستاذ عبد الله الرديني في محله الغد •

(٢) يحيى بن الحسين غايه الامانى ص ٥٧٢

ومع ذلك فإن شعر العامة لم يكن حكرا على فئة من المتأديين بل زاحمهم في ذلك شعراء الصوفية وكان الصوفي محمد بن عسر النهاري يقول شعرا ملحونا من ذلك قوله :

سمعت الناس في رنّه يفولوا باكر العيدي
وعيد الناس دنيظهم وعيدي أنت يا سيدي

وهذا الشعر وغيره يسمه الشرجي بالكلام المسجوع^(٣) . أما الشعر الهزلي فهو نوع آخر من الفنون العربية التي عرفها الادب اليمني في عصر بني رسول وشهر فيه خلال ذلك الوقت الاديب أحمد بن محمد بن سالم بن الامام الذي خصص حياته لاضحاك الناس بشعره وسلوكه حتى عرف اسمه بين الناس بالمجن ومن شعره الهزلي قصيدة في هجاء فأر كان قد أتى على كتبه :

مديح الفار خير من هجاء رجا شبتا فأدرك ما رجاء
وأعطي ما أراد وما تمنى وأحظى الخلق من بعطي مناه
بدار الشيخ أسعد حيث كانت اكيبتني وقد عظموا وتاهوا
وقالوا قط ليس لنا مغد من المحراب فهو لنا بناه
إذا ما الهر وافى فرد يوم أغاروا كلهم وجروا وراه
وأطبق وهو في وجل عظيم وولى ولم يلفت وأعطاهم قفاه
وجيش لو استقام لهم فأبلى لطاح وأطعموه اذا أذاه

وبلغ الامر بأدباء العصر الرسولي أن يسخروا حتى من أنفسهم فهذا الاديب محمد بن حمير ينظم قصيدة في هجاء نفسه ويعثها الى الملك المنصور بعد أن أصدر أمره بأخذ خيول العرب بما فيها خيل ابن حمير فقال :

مولاي نور الدين لا لاقت صرف النشوب
وعشت ألفي سنة في خفض عيش خصب

(١) الشرجي طبقات الحواصص ص

سمعت منكم خيرا
ان كان من قصدكم
فانتني من ساعني
أكون زنجبا ولا
وما اخلاطي بهم
والمرء معذور اذا
لان عندي فرسا
أبغني التحاذات به
ولا لحمل الدرع لا
أحسكته في (صفر)
ولم أزل أوعده
لجامه من سلب
ولو تراني فوقه
فتارة بعثر بي
وتارة أضربه
وليس عندي غيره
لا ابلبي لا بقري
ولا كرا عندي ولا
لست « ابن كلثوم » ولا
ان أنا إلا شاعر
كالطير يسترزق من
كالقار بمسي ليلة
لا تخطوني بهم
ان آدم جدهم

أطلت فه عجبني
أخذ خيول العرب
أخلع منهم نسبي
أدخل في ذا النسب
هذا أشد التعب
جانب أهل الريب
من خيل أهل الادب
لبس لطن السرب
بل للعصى والجرب
ومرة في (رجب)
بكل وعد كذب
وسرجه من خشب
كشل جعس الكنب
وتارة يربض بي
وتارة بضرب بي
والله من مرتكب
لا فضتي لا ذهب
رمحي طويل العذب
« عمرو بن معد بكرب »
أطلب فضل العرب
خيول أهل الحرب
حول رغيف ثلب
فقد عرفتكم نسبي
فان ابلبي أبي

يكمك عن ذا فرسي	كل جواد سلهب
وكل جردا أعطل	وكل ظرف مقرب
كنائب معقوده	مثل الخضم اللجب
ما حبه من حشف	بين سلال الرطب
ومن رأى الرأس فلا	يرضى بأخذ الذنب
بالله محفوظ أنا	والمدح مذ كنت صبي

انظر الى هذه السخرية التي بلغت بالاديب حتى أنه تجرد من نسبه بل ومن آدميته ليحظى بفرسه . وهذه غاية السخرية فهو لم يكتف بأن سخر من نفسه بل صور خيله ذلك التصور المضحك وأنه ليس لحمل سلاح أو درع وإنما يسعى به للتسول عند الناس وأنه يعلمه في صمر وتارة في رجب ولا يزال يوعده بوعود كذب وتارة يعثر وتارة يربض به الى آخر شعر ابن حمير الهزلي *

ويكثر في شعر الادباء في ذلك الوقت استعمال الحوار والقصص وكان أشهر من برز في هذا النوع من الادب الشاعر ابن المقري الذي يقدم لنا في شعره قصصاً طريفة من ذلك قوله :

أتاها رسولي فاسعوا ما جرى له	لقد رابني لما سمعت مقاله
رأته فقالت أنت من بعض رسله	فقال نعم قالت فصف لي حاله
فقال كئيب القلب قالت فجسمه	فقال نحيل من رآه رثا له
فقلت وزدني قال أما نهاره	فبيكي وأما ليله لا كرى له
فلما وعت ما قال قالت قتلته	وان دام هذا راح لا لي ولا له
ووالله ما فارقنه عن ملالة	ومن ذاك يمناه تمل شماله
ولكن وشاة كثروا في حديثهم	فبعدا لقوم أحرموني وصاله

فنحن أمام قصة متكاملة الاحداث تبدي بوصول رسول الشاعر الى صاحبه واستمرارها عن حاله ثم تنتهي بأمر الوشاة وعيب الجيبة لهم *

وبحدثنا البرعي عن فراقه للحبيب فبصور ذلك في قصة حوارية يقول فيها:

بأبي مودعة تخافت صوتها	خوف الرقيب وعينها تتمالا
سارقتها طرف الحديث وربما	التفتت يمينا والفتت شمالا
قالت تفارقني فقلت لها نعم	قالت فتنسانا فقلت لها لا
قالت فأين تريد قلت من	لم يخش زائر سوحه اهمالا

وهذه قصة أخرى نجدها في شعر البرعي :

لله موقفنا بمنعرج اللوى	في الشعب من دون المريق المنجد
جاذبتها طرف العتاب فأعرضت	عني وفالت ما أراك بمسعدي
فطففت أثني عظمها متغزلا	بالأبرقين وبالغذيب وتمهد
وطمعت منها بالحديث وقلت هل	من شربة يا أهل هذا المورد
فأت به من حيها وكأنها	شمس •• تمد بكوكب متوقد
فسرقت من حسن المليحة لمحة	قطعت عرى كبدي بغير مهند

تلك قصة طريفة يطلب فيها الشاعر الماء لالظماً ولكن ليرى صاحبه • ويكثر مثل هذا القصص في قصائد الشعراء وربما عرفها الشعر العامي بشكل أوسع كما هو الحال عند الخفنجي في قصيدته (تفرطه بيتت البسيس) ^(١) •

(١) انظر بحثنا في مجلة الثقافة الجديدة سنة ١٩٧١ •

شعراء العصر الرسولي

حظي الشعر في عصر بني رسول بمكانة عالية فلا غرابة اذا كثر الشعراء في ذلك العصر وأصبح بنعاظه جماعة من فئات الادباء على مختلف مستوياتهم الاجتماعية والعلمية ولم يكن محصورا على الادباء المحترفين فقد قال الشعر من طبقة الفرسان وشيوخ القبائل الشيخ علوان الجحدري والامير ادريس بن علي وغيرهما • ومن طبقة الفقهاء والعلماء الشاعر عبد الله بن جعفر وابن المقرئ وشعراء آخرون ليسوا أصلا من أصحاب حرفة الادب وانما جرهم الى قوله مواهبهم الفطرية وميولهم الى هذا النوع من الفن حتى أصبح الشعر يتردد على ألسنة الملوك من سلاطين الدولة الرسولية وهذا الملك المجاهد ينظم شعرا جيدا في الفخر يقول فيه :

نلت أنا بالعز أطراف القنا ليس بالفخر المعالي تجتنى نحن بالسيف ملكنا اليمنا
كل فخر يدعي الناس لنا أعرق العالم بالملك أنا
أنا شبل الملك زين الكتب يوسف جدي وداود أبي والشهيد القرمزاكي الحسب
وعلى القبل عالي المنصب جدنا بعد رسول جدنا
ان تكن أضحت علاهم خبرا فالعلا مني بالعين يرى أنا كالليث اذا مازأرا
أنا كالبحر اذا ما زخرا المنايا في يميني والمنا
ابذل المال فلا أجمعه كل عاف نحونا منجعه واذا القرن طغى أصرعه
واذا ولى فلا أتبعه واذا لاذ بعفوي أمتا
شيم شبه تلك الشيماء ين لي من جدودي القداما ثم ملك الشام من ماء السما
يعشرون الناس طرا أرغما من هنا أو من هنا أو من هنا
ويقول الخزرجي ان للملك المجاهد ديوان شعر ••

والآن مع شعراء العصر الرسولي على أننا سنرجى الحديث عن كبار الشعراء في فصول مستقلة ستأتي فيما بعد •

ابن العليف

من شعراء الطبقة الاولى عاصر ابن حمير وجرت بينهما منافسة كبيرة وكان من الشعراء الرجل الذين يقصدون الملوك والرؤساء بالمدائح وقد لقي عناية كبيرة عند بنى معييد رؤساء الأشاعر بوادي « رمع » فأكرموه بعطاياهم الجزيلة حتى حسده ابن حمير على ذلك وذهب الى ممدوحيه يغري به •

ورغم ان ابن العليف انما هجاهم في معرض المدح ثم استأذنهم في هجوه فقال قصيدة طويلة أجاب عليها ابن العليف ونحن نورد ههنا لنعرف نوع ذلك الهجاء المتبادل بين الادباء في ذلك الوقت • يقول ابن حمير :

غيري تغيره الفتاة العيطل	ويشوفه الجادون حيث تحملوا
وسواي يشديه الحمام اذا شدا	ويهيج لوعته الصبا والشمائل
أقصرت عن عي التساقي وكان لي	فيه الترسل والعنان المرسل
أيام ما كان الشباب غفراق	بوصال من أهوى وسعدي مقبل
لكنني أبكي علي ومن مضى	بالرقتين فدمع عيني يهمل
ولقد جريت مع الصبا جري الصبا	وسقاني الصباء أحور أكحل
وأحق خلق بالملامة شاعر	يلحي على البخل الرجال ويخل
هيهات لي نفس تعز وهمة	من دونها يدنو السماك الاعزل
أبلغ مسلم أن بلغت مسلما	فالكلب ليس بفاعل ما يفعل
واردد عليه مروة من شعره	فالزبل في وسط المزابل يجعل
أتلوم قوما كنت يا ضبع الفلا	بالامس بين بيوتهم تتظلل
أغنوك اذ لم يدر كفك ما الغنى	وسقوك اذ لا ماء قومك سلسل
ورأوك في «حوك» يساوي درهما	فبنوك تخطوك في النسيج وترفل
وقدحت في مدح «السهيلي» الذي	اذ باله من هام قومك أطول

وزعمت أن الجنح أكبر جفنة
لو كنت حاضرها غداة رومها
وليتك وصحبك صواعق
لكن خلوت وحشو أرضك نسوة
وإذا الاجادل غيت من بلدة
وإذا الحمار بأرض قوم لم يرى
شعر كجوف الطبل ما في جوفه
والله ما أعطوك أنك مغلق
وعجبت اذ قالوا فلان شاعر

من حاتم ومن السموءل يهدل
با بن العليف لرض فاك الجندل
مي تحل اذا حللت وترحل
فوقفت بين بيوتهم تتغزل
وقف الغراب بها يصيح ويحجل
خيلا بها قالوا أغر محجل
تبيء ولكن للسامع يشغل
في الشعر لكن في المواصل توصل
وتغامزوا فعجبت ألا تخجل

فأجابه مسلم بن العليف مخاطبا الشيخ بن معيبد :

لأية شيء بعدكم أتعكّل
وما العذر حتى لا آلام على البكا
أحاول بعد الطاعنين تجمّلا
فما لي والريحين أبكي لهذه
إذا أحببت أحببت عن أحسن العزا
وتهمل عيني بالبكا وأكفها
أفي كل يوم انني متغزل
يليق التصابي بالشباب وانما
مناقلة لا جرأة السير إن مشت
ألكني الى أشياخ يعرب كلها
وقيل بنان الناصح الندب أنها
وأهدي له مني سلاما كأنه
أسركم ما قال في ابن حمير
ومن بعض ما يرويه أني هجوتكم

ومن أي وجه نحوكم أتجمل
عليكم ولا فيما أجد وأهزل
وحسبك يوم البين من يتحمل
ومن هذه من لوعة أنململ
وتشمل جسمي رعدة حين تمل
محاذرة من أن ترى وهي تهمل
أمثلي شيخ أشيب يتغزل
ولا حرج أن يعشق المتكهل
ولا يتبطى خطوها حين ترفل
ألوكة من يألو ومن يتمثل
أجل بنان للسماح تقبل
فتبت من المسك الذكي ومندل
وان كان في أقواله لا يطول
وذلك مكر ظاهر وتجمل

فلا وائى لاخبرت سببه
وما الليث ان لم يفرس اللب أرنا
بعيرني في لبس حوك كسبته
وكان لباسي الروح عسى مسوحا
فما فضل أصحاب النبي مجانب
وأشياخ قحطان وأشياخ بعرب
وما الفخر في لبس الحرير وانما
والقصيدة طويلة * ولولا سقم النسخة التي بحوزتي لأكثر من نقلها *
ولابن العلييف قصائد شهيرة في المفاخرة بين قحطان وعدنان من أشهرها قصيدته
(العلبقية) *

أخو كندة

ذكره المؤرخ محمد بن حاتم في تاريخه السسط الغالبى الثمن ولم يؤرخ لحبانه
أحد من المؤرخين بل لم يصرحوا حتى باسسه الكامل واكتفوا بنسبته الى فومه
كندة ولاشك أنه من كبار شعراء عصره وقد مدح الملك المظفر بعدة قصائد بهنئه
فيها بانتصاره على خصمه صاحب ظفار الملك سليمان الحيوطي * ومن شعره :

هو في انتقاد البيض طب صيرف
يرتاح من كل الملاح الى التي
واسأله عما شئت من ألم الهوى
ما فارق العلمين حتى علما
أبدا ولا عنت بعسفان المها
ولطالما سارت غرائب نظمه
مدح اذا رويت أنساد بذكرها
عقل به وسمت ومن تنكيرها
وبضاعة جلبت فشتي ربحها
فتتح عنه فربما هو أعرف
في تغرها برد برف وقرقف
يخبرك فهو المسهام المدنف
أجفانه كف المدامع تذرف
الا وعن له هوى منعسف
وسمت فكان لها البقاع المشرف
عمر وشرفها المليك الاشرف
أضحت بطيب ثنائيه تتعرف
فيما لديه مخضب ومعرف

ملك بيمين قدومه نلت الرجا
فرم نشذر في الوغى مشبوبة
ومعود للنصر مشهور به
وافى ولي العهد جاد عهدنا
وافى الخليفة بعد نص نصه
برد نفسه المههد خصه
قل للألي زعموا بأن عنادهم
لبعد الى المحبوب كل مكلف
أو فليثق ان لـج في طغيانه
هذا ملاذ الخائفين وهذه
هذا ابن سيد يعرب ومليكما
الى آخر هذه القصيدة الفريدة *

ابن عقبة

الحسن علي بن عقبة الزبادي الخولاني من أهل الهجرين بحضرموت وفد
الى الملك المظفر ومدحه بعدة قصائد وله منه مرتب سنوي يعتاده ثم سجن وأفرج
عنه ومن قصائده الشهيرة قصيدته الفخرية التي أولها :

أصبرت نفس السوء أم لم تصبري
اني امرؤ عف الإزار عن الخنا
والله ما صاغت كف بغبة
الا على كسب العلوم مخيما
ما هنى الا اقثناء مكارم
وقست حالاني ثلاثاً دونها
كرما يدين له العماء وحالة
فكفى نذا فخرا على كل امرئ

بيني وما تهوين يوم المحشر
لم أغس منذ نشأت باب المنكر
كلا ولا نادمت شارب معصر
وبكاي في طلب العلا وتحسري
قصر الزمان وهمتي لم تقصر
يكبو الهام المضحى السري
ظهر الجواد وحالة المنبر
يسعى على أثري ليدرك مفخري

الى آخر هذه القصيدة وكلها في الفخر ، وله في الحكم فصائد أخرى
ذكر بعضها المؤرخ الجندي في تاريخه •

أبو حنيفة النقيب

كان هذا الشاعر من كبار أدباء العصر الرسولي إلا أن أغلب شعره ضاع
ولم يبق منه إلا تتف يسيرة أوردتها الجندي في معرض كلامه عن السلطان عبد
الرحمن بن راشد صاحب حضرموت ويقول إن له ديوان شعر أغلبه في البالبال،
من ذلك قوله في مدح السلطان المذكور :

أنا أشهد شهادة حق	ان ابن راتد من احدى المعجزات
هيكلك الملك حرز المملكة	فارس الخيل معدوم الصفات
تعبت عيس وفاده وما	أنعبته العطابا والهبات
أنت فولك خذوا والغير	هاتوا وأين قول خذوا من هاتوا
ألف مولاي مني اسع مديحي لك	على رغم آثاف النسبات
بل لسان العلى والمجد انطق	بأفعالك المستحسنات

وله قصيدة في تفضيل الشعر على عدن •

عنفوني وقالوا أطلت التغرب	وأوحشت الوطن
وتبدلت عن صيرة صبغت	واعترضت الاشعا من عدن
ويسمعون الصرخة تناسيت	حققات والخان الحسن
والقصور التي تبندر منها	الجنود التي صيغت فنن
قلت قد غاب عنكم أمر ما	يفطنه غير أرباب الفطن
ورضيت ابن راتد عبد الر	حسن عن كل من هو في اليمن
من حباني وأدنانني وقرب	مكاني ولي ما ظن ظن
اصطفاني وأطلعني على	مضمون سره والعلن
ان توليت بعد الله في الخلق	غيره أكن عابد وثن

وشعر من هذا القبيل في مدح السلطان ابن راشد •

البحردي

علوان بن عبد الله بن سعيد البحردي كان قبلا من أقبال اليمن وكان كريما
نجاعا ملك ناحية عظيمة من شرق اليمن وهي حجر ونواحيها واستولى على حصن
العروسين وحارب ملوك الدولة الايوبية عند وصولهم الى اليمن وكان السلطان
نور الدين عمر بن علي الرسولي في مدته قد حط عليه عدة محاط ومن قصيدة
له في التآليب على السلطان نور الدين :

من تاب عن حرب نور الدين من جزع فأنسي عنه ما عمرت لم أتب
وراسل السلطان الكامل ملك مصر وسأل منه الاعانة في حرب المنصور
فأعانه بأموال جمة ولم يزل المنصور يتلطف اليه ويبدل له الاموال حتى أتى به
أسيرا فحبسه في حصن حب فلما صار في السجن تضرع الى الله حتى فك من
سجنه واشتهر بين قومه بالكرم والشهامة • توفي سنة ٦٦٠ والشيخ علوان أحد
فرسان الشعراء وفحولهم وله عدة قصائد جيدة أوردها الجندي والخزرجي في
تاريخهما منها قصيدة يقول فيها :

والله لا استوطنت أرضا تربها	مسك إذا حظي بها مهضوم
وعلام أوطنها وعرضي وافر	والرزق من أفق السما مقسوم
لا آمن الايام وهي معارة	وكذا الليالي السود وهي هموم
واذا الليالي أخلفتني بالذي	فوق التراب فحسبي القيوم
ومن شعره قوله :	

إذا كان قول الحق والحق قوله	بمحكمه والملك في آية الملك
معز لمن شا والمذل لمن يشا	فكيف اعتراضه قوله الحق بالشرك
ونفسك فاتركها عن الهم والاذى	فراحتك العظمى لك الله في الترك
فما الامر الا للذي صير الورى	وتسييرهم في لجة البحر والفلك
وموجدهم من غير وجدان سابق	ومفنبهمو بعد التكاثر بالهلك
ولا تشك ما لاقيت من غير منصف	الى مثله لكن الى منصف تشكي

ومن شعره قصيدة بعثها الى الامير أسد الدين :

سلام على الدار التي في عراسها
أناخوا علينا نازلين وفيهم
ليوث شرى خاضوا الرمال فذلّوا
رموا مطلع الشمس احتساباً لأنفس
الى أن ترى البرق اليماني لامعا
فرموا له بزل الركاب على الوجي
بقودهم الملك الذي في بينه
تحف به القوم الذين سيوفهم
رأوا موردا عذبا فلما دنوا له
وجاش عليهم للمظمر عارض
همام أبى أن يسلم الملك فانبرى
يسوقهم سوق السحاب يحثها
أكارم كانوا لي عدوّا فأصبحوا
فقلت لهم في فرع تيمّا فأنزلوا
مددت لهم ظل «العروسين» دأبا
فشكراً لمن أدنى ركاب محمد
وأصبح أرباب الممالك حولنا
ملوك دنا بعض لبعض فأصبحت
وأسد إلى أسد تدانت فصدها
فمن لفخار العرب مثلي ومن لها
فحسبي أني الحر من آل يعرب

معاهد قوم لا بذم لهم عهد
طوال القنا والمترفية والجرد
مفاوزها فارتاع من خوفهم نجد
أمانها موت على العز أو حمد
بدملوة العز التي ما لها ند
وقادوا اليه الخيل من فوقها السرد
غوارب منهمن المنية والرغد
عقائق حمر لا يلائمها الغمد
وقد أسرعوا فلن المقادير لا ورد
له البيض برق والطبول له رعد
وحوليه أرباب الزعامة والجند
نسب الصبا حتى ألمّ بنا الوفد
ينادون يا علوان هل ذهب الحقد
لأمرجبا هذا السوءل والفرد
بسطت به أيدي الرجاء التي مدوا
اليّ وأهدى لي الفلك السعد
وما رابني منها الوعيد ولا الوعد
كتائب عزمي وهي بينهم سد
على حلق ما بينها الاسد الورد
كمثل مقامي في المكارم ان عدوا
وأني لمن يأوي الى كنفني عبد

ومن شعره في آخر عمره يعاتب نفسه :

وقد كان ظني ألغي اللهو انما يكونان في عصر الشباب الغرائق

فلما أناني الشيب وانقرض الصبا
فقال بلى لكن رأيته ربما
فقلن له لا مرجبا بك بعدها
فقال سمعنا ما حلفت به لنا
فقلت : أمن بعد الطلاق فقال لي
فقلت له لي منك جار يجيرني
فولى له مني ضجيج فقلت لا

ابن دعاس

الفقيه سراج الدين أبو بكر بن عمر بن دعاس من العلماء الشعراء برع في
فقه المذهب الحنفي ونال مكانة عالية عند الملك المظفر وبنى مدرسة في مدينة زبيد
لأتباع مذهب أبي حنيفة وكان من جلساء المظفر ومستشاريه وكان يفضل على
الشاعر ابن حمير ومن الأدباء في زبيد من ينسبه إلى سرقة الشعر ولما دخل المظفر
إلى زبيد بعد رجوعه من الحج مدحه الشاعر ابن دعاس بقصيدة قال فيها :

هاك درأ منظما لم أغر فيه على مصحف ولا ديوان

فقال المظفر نهيناك عن الدواوين فتعديت إلى المصحف .. وفي آخر عمره
حدث منه ادلال على السلطان المظفر فأقصاه عن مجلسه وتوفي مهجورا في زبيد
سنة ٦٦٧ هـ

وله شعر كثير . وقد قصده الأدباء بالمدائح الكثيرة فقال الشاعر ابن هتيمل
في قصيدة يمدحه :

يا أبا بكر بن دعاس أنت البدر
ففساهم يعنون ما ذكر
أنت عذب حلو المذاق
قد وردناك خضرا فنبذا
ضوءاً فلم كتبت السراجا
الله تعالى سراج الوهاجا
فان قوسيت كنت ملحا أجاجا
الدلو والعقو والرشا والعناجا

ومن شعر ابن دعاس قصيدة يمدح بها الملك المظفر ويهنته بالملك وانصاره
على ابن عمه الامير فخر الدين :

ان غاب نور الملك عن أفق العلا	فانظر ضياء النُسس قد ملأ الملا
أو كان جفن الدهر أمسى أرمدا	فاليوم أصبح بالمظفر أكحلا
لا تجزع الدنيا لفقد مليكها	رزئت برضوي واسنعاظت تذبلا
ما كان رزء الملك إلا غيبها	عم الورى وافاه صبح فانجلى
بالملك عاد الكسر جيرا واثنى	جيد العلا حال وكان معطلا
هي دولة غرا وهذا مالك	أضحى الزمان به أغر محجلا
لم ترض غيرك يا أبا عمر لها	فاستجلها ان العرائس تجتلى
ما زلت معترفا بنعمة ربها	متضرعا لقدمها متبتلا
أو ماتراها في زبيد تزدهي	وتميس في حلل المفاخر والحلا
أمهرتها وافي الصداق فما لها	كفو سواك ولا تريد تبديلا
جاءتك طائعة ولم تهزز لها	رمحاً ولم تشهر عليها منصلا
قل للذي رام التملك جاهلا	وسعى فضل عن الطريق فضلا
ما أنت والملك الذي لا سره	باد عليك ولست فيه مؤهلا
ارجع الى كأس الطلا ودع العلا	للمغمدین السيف في هام الطلا
ولصاحب الجيش الذي سد الفضا	وفلا بحد العزم ناصية الفلا
وأعاد ريحك حين هبت أزيبا	نكبا بريح منه هبت شملا
أولى الورى بالملك والده الذي	ما انفك في سبب المفاخر أولا
هي دولتي وأنا الذي أملتها	والله يعطي سؤله من أملا

العنسي ،

هذا الأديب يسميه الخزرجي شائق الدين يوسف بن محمد العنسي ولم
يترجم له في كتابه وإنما أورد له قصائد جيدة في مناسبات تاريخية ولا شك أنه

من فحول السعراء ويبدو لي أنه كان أحد رجال الدولة في عصر الانشراق والمؤيد
ومن غرر فصائده مديحه في الملك المؤيد يهنئه بتولي العرش :

القس مونة في كف باريها	فلبعلم الناس قاصيها ودانيها
وليلبس الكل منهم درع مسكنه	كي يصبحوا في أمان من مراميها
وكل نعمة قوم من ندى ملك	البغي سالبها والذل كاسيها
يهنى المؤيد بل نهى خلافته	اني أهنيه منها ما أهنيها
خليفه الله من بعد الخليفة يا	ملك الملوك جميعا لا أحاشيها
ان الخلافة ما قرن ولا هدأ	حتى رمت نفسها في كف حاميتها
أضحت محجلة الايام مذ وقعت	في كف داودها غر ليالها

وله قصيدة يهنئ الملك المؤيد بالعيد ويذكره بانتصاره على بعض أعدائه:

الملك ليس ينام منه عيون	حتى يسيل من الدماء عيون
لولا أدالك المصون من العدى	ما بات وجه الدهر وهو مصون
ضمنت لك الملك السيوف وكل ما	ضمن السيوف فانه مضمون
وافيته بكنائب أعلامها	النصر والتأييد والتمكين
من كل أرعن مكفهر اصبحت	منه سهول الارض وهي حزون
لو شئت تورد بعضه جيحون ما	أرواه جيحون ولا سيحون
كم نقع ليل قد دجا من ركضه	مجله سرد دلاصه الموضون
ضاقت لكثرتة البسيطة كلها	فمقامها في الشرق أين يكون
فدع الحصون بكلاقياً من أهلها	فلقد أصلتهم عليك حصون
ملوا السكون بها وظني أنهم	قد ملّهم أيضا هناك سكون
قاطحنهم طحن الردى بكنائب	هي للطغاة جميعهم طاحون
فالارض ارنك كلها من تبع	فاعقل حدبشي فالحديث شجون
غمدان قصركم القديم وقصركم	صرواح كان وقصركم بينون
أظهرت بالجيش العرمم كلما	أخعت ظهور منكم وبطون

الاحوم

هو الشاعر الكبير أبو عبد الله محمد بن مصعب عرف بالاحوم • كان شاعرا
فصبحا حسن الشعر جيد السبك وهو من شعراء الدولة الرسولية في عهد المظفر
وربما أدرك زمن المؤيد • ولم أقف على تاريخ وفاته • ومن شعره الجيد :

أراك تعرض عن ذي الارك
وعن طلل كان قلبي به
أما شاكك اليوم ما شاكني
ولا ما شجاني غداة اللوى
ونم سجون لقلبي أراك
أسير هوى ما له من فكاك
بليلى ولا ما عناني عناك
بليلى وأسرار ليلى شجاك

ومنها في المدح :

أبا أحمد أنت أعلى الورى
فلا نصر الله الا ذويك
لك المايتان صنيعا إلي
دنائر جدن بها من يديك
وانت امرؤ لم تخيب رجائي
وأبن سنا فرعهم من سناك
ولا خذل الله إلا عداك
نعم ربما زاد عن ذا عطاك
وما تم الا القوافي جزاك
فلا خيب الله يوما رجاك

ومن قصيدة له أخرى في مدح أمراء حلى :

سل البرق اليماني الذي لمعا
هل جاد أخدار ليلي باللوى وسقى
وهل سجن ذيو لا من سحائبه
أمسى على البعد يطويني وينشرني
وبات يقدح في قلبي وفي كبدي
لي بالحمى شجن شطت منازل
يعطي الوصال قليلا تم يمنعه
لقد ولعت به والدار دانيه
عن صوب ذاك السحاب الجون ما صنعا
للعامية مصطافا ومرتبعا
فجده وسقين الوادين معا
حتى تقطعن احشائي به قطعنا
نارا فما هجعت عيني ولا هجعا
عن ناظري فسقى الله الحمى ورعا
ألا رعى الله من أعطى ومن منعا
فعندما شط عني زادني ولعا

أشكو الى الله أن الرجع مارجعت
وان نفسي لهم نفع وقد منعت
مروعي بنو الاحباب معتمدا
ومن شعره أيضا هذه القصيدة :

حنين الفلاص الهيم دون حنيني
ولما شدت فوق الغصون حمايم
ودكرتني أيام صدف ومربع
فبت كأنني فوق أنياب ضيغم
وناديت خلف الرائحين بزنب
ولما رأيت الارحية واللوى
تبادرن في تلك الطلول مدامعي
وققت على الوادي الشامي وقفة
وأبدت بالوادي اليماني دمنة
وأمدح من عك فتى لا يضبق بي
وما أنا الا كلما زرت يوسفاً
أغر عيسي كأن جبنه
أمين على أحبابه وجواره

وفوق جنون العامري جنوني
بعثن من الاشواق كل دفين
بحزوى ودار الحي غير تطون
أقلب والدمع المعين معنسي
نشدتكم يا رائحين خذوني
سُمالي وبانات العقيق يميني
على ذكر أيام مضت وسنين
وقوف قهزبح الناظرين حزين
واذكر أجبابي كما ذكروني
قناه ولا يلوي لديه ديوني
منيت بجبل للسماح متين
تفتح من شمس الضحى بجين
وليس على أمواله بأمن

وشعر الاحوم كله جبد وفيه من التصوير والتشبيه ما لا يجاريه شاعر آخر .

ابن سحبان

أبو محمد منصور بن عيسى بن سحبان شاعر بليغ وقد اشتهر بين أدباء
عصره ومدح المؤيد الرسولي وسائر أمراء عصره ويصفه الخزرجي بأنه كان مداحا
هجاء وعرف بقبح لسانه فكان أكثر الذين مدحهم عاد فهجأهم ومن جملة من
مدحهم وهجأهم الملك المؤيد والامام محمد بن المطهر وموسى بن عيسى الحرامي

أحد أمراء حلى بن يعقوب ومن قصيدته في هجاء المذكور قوله :

البك تحدى المطابا يا أبا عيسى	عجا ووسحا ونهجيروا ونغلبسا
جواملا لك مني كل مخزیه	تزيد وجهك نقتبرا وتعبيسا
يا أسمر القرن يا من دون نائله	نوال كفيه ما ينفك محبوسا
أوضحت لي طرق الهجو التي درست	وكان منهاجها من قبل مطموسا
كم سار فيك الجوارى المنشآت بما	بغادر الشرف العلوي مطموسا
وكم غُستك بنات النعش من كلمي	بما يصم حداه العيش والعيسا
من كل شاردة المعنى اذا رويت	كانت على وجهك الملعون تحريسا
تنسى خروج المواضي وهي مرهفة	وجرحها قط لا بنسى ولا يوسى
والله لا طاب لي حلى ومسكنها	مادام ربعك مأهولا ومأنوسا
ولا صفى يا أبا داود مشربها	حتى أراك على الحدباء مغروسا
والجل في راس سود وهي باكية	ثكلى تلطم خديها على موسى
فما على أخت ابليس بمنقصة	اذا بكت بغزير الدمع ابليسا
وانما أتما من حيث طبعكما	جعلتما لكما بنس الحراميسا
جفوتني لا وقالك الله كايـنة	وما جفوت المخاين المجارسا
وقمت تحبس حظي منك مجتهدا	لا زال حظك عند الله منحوسا
وجاءني حظك المنحوس في حرض	بالكف لا كف عنك الضر والبوسا
أما علمت بأن الله خولني	جاها ومالا ومركوبا وملبوسا
أفانيت في هجوك الاقلام لا ظفرت	يمنى يديك وأفانيت القراطيسا

والقصيدة كلها من هذا النوع هجو مقذع * ثم عاد فمدح هذا الأمير واعتذر اليه في قصيدة طويلة يقول فيها :

الصفح منك ومنى الجهل والزلل	والحلم منك ومنى الطيش والخلل
فان أسأت فمثلي من أسا وهفا	وان عفوت فمك العفو مبتذل
فلست أول من زلت به قدم	ولست أول من يعصى فيحتمل

لا تستبح بكلام الباغضين دمي وفقد أذاب فؤادي الخوف والوجل
والله يشهد يا ابن الشم من مضر ما قلت أكثر ما قالوا وما نقلوا
وانما ناقص المقدار أولع بي وناقص القدر بالاحرار مشتغل
هب انني يا أبا داود جئت الى عزيمة ضا من السهل والجبل
وجئت معتذرا منها ومبتهلا أليس تقبل جان جاء يينهـل
جد بالتعطي الى من لا شفيـع له الى تغظيك الا الصمت والخجل
واعطف علي بمن سواك من علق ومن اليه الوري تحفى وتنتعل

• واثقصيدة طويلة أوردتها الخزرجي في طبقاته •

ثم تطرق شعره الى هجو الامام محمد بن المطهر وتسفيه مذهبه وانتشرت
قصائده في ذلك حتى أدى به الامر أن يصبح صريح لسانه فقتل سنة ٧٢٥ •
وهذه القصائد التي قتلته يمكن الرجوع اليها في كتاب طراز أعلام الزمن
للخزرجي فلا حاجة الى التطويل بنقلها هنا •

ابن زنقل

والآن الى شاعر فحل آخر من شعراء العصر الرسولي هو الشاعر أبو عبد
الله محمد بن ابراهيم بن زنقل الذي يتميز شعره بسهولة الالفاظ وخمة الاوزان
وقد اتصل بالملك المجاهد ونال منه حظوة كبيرة حتى إن المجاهد كان يغار اذا
مدح أحدا غيره ويغضب عليه بسبب ذلك • وكان شاعرا فصيحاً له معرفة بفنون
الادب وأيام العرب وقد برع خصوصا في شعر الموشحات والمكسرات مع اجادة
تامة في نظم الشعر الفصيح ومن قصائده الجيدة قوله في مدح المجاهد:

أعد من لعب وتلك الملاعب وعن عرب المنحنى والاعارب
حديثا وصرح بذكر القطين وعرض بهنداته والزيانب
فتلك الجاذر بيض المحابر سود الغدائر زج الحواجب
ثقال الروادف لدن المعاطف خضر المطارف خمر المضارب

وأحلى الحديث أحاديثهن
فهن الصواديق ان أوعدتك
وهن الندامي اذا ما الدنان
سلاف اذا ماج فيها المزاج
وازعاج ركب أباريقها
يظل الزمرد من كرمها
اذا الشمس صاغت جمان الحباب
فيا ربع ما لتساقط الربيع
وما بال نواره ضاحك
وقد نسج الجو في جانيبه
ويا خجل الورد من شبهه
ويا صاحب اللهوات الهزار
وهات ابنة الكرم في مذهبي
وساق بسمل طبا مقلتيه

فزد لا قضى الله منها مآرب
وان وعدتك فهن الكوادر
لها حب مثل نار الجاحب
يحبط بها المزج من كل جانب
بأيدي السماء رأيت العجائب
بساقط في الكاس والنبر ذائب
على راسها هالة من كواكب
شقائقه الحمر خضر الذوائب
وعهدي به أمس باكي السحاب
مطارفه الدكن نسج السباب
بأيدي الجناة خدود الكواعب
أقمه على منبر اللهو خاطب
نرى العقل ما مر بالعقل ذاهب
كسل المجاهد ييئس القوانب

نم يدخل في مديح مليكه ، ويكثر في شعر ابن زنفل وصف الربع والازهار
والبساتين فهو شاعر الربع والخضرة بحق في العصر الرسولي *

وقبل أن تغادر شاعرنا الى شاعر آخر نفث قليلا عند قصيدته العجيبة هذه :

شافتك بكازمة عرب
أم عين مها صدع قتل
غنج دنج مزج دمج
أنس شمس مبس نفس
ردح صبح سمح وضح
بانوا فالقلب بهم ابل
بكر نحدي بهم ابل

برماهم تحمى عرب
ضربت لهم بقبا قيب
نفح مرتج بها حقب ؟
لعس بمحيها لعب
صدح بمعارفها خطب
أسف شغف كلف كئيب
دمل ذل بزل صهب

فعليك بها ان عضك أو ان نابك من دهرك نوب
واقصد ملكاً يهمي بدرأ كفاه كما تهوى السحب
ما قول الشُّعر وقائل ذلك معترفون ولا عجب
(فطويل) الشعر و (كامله) و (مديد) له (والمقتضب)
وكمثل (بسبط) و (منسرح) معه (رمل) (رجز) (خب)
وشوارد تلك إذا دعا رقصت وأتته لها طرب
ما فارسها إلاه اذا لموارسها خفقت عذب
(فمرقشسه) و (مهلهله) وفرزدقه فهه أدب

الى آخر هذه الفصيذة العجيبة الفريدة •

ابن العليف

وهو غير الاول السابق ذكره وهذا ترجم له السخاوي وابن أبي الرجال
والخزرجي ويقول الاخير في ترجمته أبو عبد الله محمد بن الحسن بن العليف
أرحد سعاء العصر وفصحاء الدهر وكان شاعرا فصيحاً بليغاً حسن السبك •
ويحول أيضاً : الا أن فيه عنجهية ويدعي أنه أفصح من المتنبي وكم بن الثرى
والثريا ولكنه أتعز أهل عصره وكان شيعياً كبيراً ومن شعره :

قبلت رضيت بالاسلام دينا وتوحيدي لرب العالمينا
وتفديمي على زيد وعسرو وتفضلي أمير المؤمنيننا
أقول لمن يقدمهم عليه خطيباً قائماً في المسلمينا
صدت الكاس عنا أم عسرو وكان الكأس مجراها اليميننا

وله قصيدة جيدة عارض بها قصيدة المتنبي في سبف الدولة التي أولها :

غري نأكر هذا الناس ينخدع ان قاتلوا جنبوا أو حدتوا سجعوا

فقال ابن العليف :

الله لي عوص عن قصر مافطعوا رزقي عليه فلا ففد لما منعوا
وان هموا وضعوا قدري ومنزلي رجوت ان يرفع الله الذي وضعوا
وهي قصيدة طويلة جيدة *

مظهر بن محمد

من الشعراء وهو ابن الإمام محمد بن المطهر بن يحيى وقد برع في نظم
الشعر وقصد الملك الافضل ومدحه بعدة قصائد وكان أكثر شعره في نظم
المكسرات والموتجات ومن نظمه قصيدة في مدح الوزير عمر بن أبي القاسم بن
معيبد يقول فيها :

خزام وورد و لينوف	يرقصه زمر أطباره
إذا ما الحمام تدا بينه	أجاب الهزار بمزمارة
وزهر الاقاح يحاكي التنفيق	حداد التحرق في ناره
وزهر البهار ^(١) له صفرة	كلون النظار لنظاره
ونرجسه شاخص كالعيون	أعالي الغصون بأشجاره
تضاحك زهرا بأفئاته	لباكي الغمام بأمطاره

ومن شعره قصيدة في مدح الملك الافضل يقول في أولها :

غزال أزال لامٍ ليس يدري	بأن محله سوداء صدري
غزال دونه غزوات (أحد)	وبدر دونه وقعات (بدر)
تسلك مهجتي بفتور طرف	وحمرة وجنة وياض ثعري
يهز على الكتيب قضيب بان	ويستر شمس بدجوج شعر
وأفسى من صميم الصخر ولبا	فقلبي للتجا (خنسا) و (صخر)
لومني الحسود عليه جهلا	وعدري أنني في الحب (عذري)
رحبني الغرام عليه لما	سباني من ملامحه بسحر
كان على نواظره السواجي	جراز (الافضل) الملك الهزبر

(١) البهار بنت طيب الرائحة و يقال له عى البفر *

ثم يتناول أوصاف ممدوحيه وهي قصيدة طويلة * * * ومن غزلياته في مفتح
قصيدة له قوله :

ما غنت الورق على ساق ساق	الا سقاني كأس الاشواق ساق
والبرق بما شق قميص الدجى	الا وشق القلب مني وشاق
والريح ان هبت (يمانية)	أوحى روجي قد يرى في العراق
كذا اختراق البرق مهما بدا	لاقيته في مهجتي باحتراق
حملني ظامي مناط النطاق	من الاسى والوجد ما لا يطاق
يامرهف الخصر دقيق الحشى	مهفهف المتنن راوي النطاق
يا ماذي الرشف يا منتهى	سؤلي ويا حالي مذاق العناق
عبس النوى شدت بأكوارها	وأزعم القوم على الانطلاق
هل لي الى مغناك من عودة	أو لا تلاقني غير يوم التلاق
هب لي اذا حان وداعيك لي	رشف ثناياك العذاب المذاق

توفي الشاعر مطهر بن محمد سنة ٧٩١ * *

شعراء آخرون :

وفي أواخر العصر الرسولي نبغ جماعة من الشعراء غير من ذكرناهم سابقا
وهم الشاعر محمد بن أبي بكر السراج الشهير بالحكاك وقفت له على ديوان
ضخم أغلبه في شعر الموشحات والمكسرات والشاعر عبد الرحمن بن عمر العطاب
المتوفى سنة ٨٦٤ هـ * * * والاديب رضى الدين أبو بكر بن ابراهيم الحكاك من أهل
حيس وغيرهم كثير من الادباء الذين لا يكاد يحصرهم البحث * *

النشر الأدبي

من الصعب معرفة الاسلوب الفني لكتابة النثر في عصر بني رسول اذ لم تصلنا نصوصه ، وكل ما في الامر كتابات علمية تبحث في الدين والاخلاق لارقي الى جانب الادب بأي حال من الاحوال وقد مر بنا في فصول سابقة أن العصر كان عصر انتاج تأليني كبير حيث ترك لنا عدة مجلدات ثرية وهي ذات طابع تعليمي علمي واذا كان لا بد من البحث عن تلك الكتب الادبية التي لاتصل بالادب الشعري فسنجد هناك بضعة كتب يغلب عليها طابع الجمع والتبويب ، فقد كتب في هذا العصر الادب عمر بن علي العلوي المتوفى سنة ٧٠٢ موسوعته الادبية المسماة (منتخب الفنون) في سبعة مجلدات ومن المؤسف أنه لم يصلنا من هذه الموسوعة سوى مجلد واحد • ولا أعرف غير هذا الكتاب • وأغلب الظن انه من نوع السفن التي تعنى بجمع الفائدة من عدة كتب •

وظهرت كتابة الرسائل الادبية لتتصل اتصالا وثيقا بالجانب السياسي فعرف مايسمى بديوان الانشاء يخصص فيه جماعة من الكتاب همهم الاول الاجابة على الرسائل الواردة الى السلطان بأسلوب انشائي بديع • ولم يصلنا من هذه الرسائل التي كان يدونها كتاب الانشاء في ذلك الوقت سوى نص رسالة واحدة أوردها القلقشندي في كتابه (صبح الاعشى) وهي على لسان الملك الاشرف بعثها الى السلطان (الظاهر برقوق) صاحب مصر في سنة ٧٩٨ • وهي هذه :

أعز الله تعالى المقام الشريف السلطان الظاهري وزاده في البسطة والقدرة وضاعف له مواد الاستظهار والنظر وجعل الظفر مقرونا براياته أينما بممت ماينهما تميز ومحبوبا الى عساكره المنصورة حيث توجهت وفتح بركة أيامه

كل مقفل ممتنع بأمر وجيز ولا زال ممثّل الاوامر والمراسم رافلا في أردان العز
والمكارم ممدوداً على الأمة منه ظل المراسم بمنه وكرمه •

أصدرها اليه من زبدة (زييد) المحروسة معربة عن صدق ولأئه منمسكا
بوثق أسباب آلائه ناشرة طيب ثنائيه مترجمة ناظمة لمنثور الكتاب الكريم
(الظاهري) ، الوارد على المجلس العالي (البرهاني) باريخ ذي الحجة عظم الله
بركاتها سنة سبع وتسعين وسبعمائة أحسن الله خاتمتها فتلقيناه باليدين ووضعناه
على الرأس والعين ، واسندلنا به على شريف همته وصفا مودته وتأكد أخوته ،
وسألنا الله تعالى أن يستعنا ببقاء دولته الفاهرة ، ونشر في المتسارق والمغارب أقلامه
الزاهره ، ففضضنا ختامه فوجدنا فيه من نشر السلم الأريج أدكاه ، ومن أنوار ما
مجه القلم الشريف ما يخجل نوار الربيع وبهائه فانشرح به الصدور وتزايد به
السرور وقرت الاعين وكثر التهجد به لما اسعدته اللسن وامنلنا المرسوم الشريف
في تعظيم المجلس العالي ذي الجلالين (برهان الدين ابراهيم بن عسر المحلى)
ومراعاته في جبيع أموره وسرعة تجهيزه على أنا نجله ونوجب حقه ولا نجعله فهو
عندنا كما كان في عهد الوالد المرحوم الملك (الافضل) بل أمكن وأفضل فهو
لدننا المكين الامين ، وجهزنا له المتجر السعيد (الظاهري) ، وبرزت مراسيمنا الى
النواب بتغر (عدن) المحروس ان لا يعترض في عشور ونول) •

ثم تنرح الرسالة للملك الظاهر برقوق حالة (اليمن) السياسية فتقول :

ويوضع لعلمه الكريم ما أفاء الله علينا من النصر الذي خفقت بنوده وأسفرت
سعوده وبرقت سيوفه في رقاب المارقين ، واطردت في راياته المآرب فتناولها باليمن
(نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) وفتح القلاع والمصانع والاستيلاء على
المرايع والمزارع واستئصالنا شأفة المارقين واسترجاع حصن (قاف) المحروس
بعد طول مكنه تحت يد العرب فكهم من كمي مقتول وأسير مكبول وحصان ترك
سبيلها ورب حصان كثر عليه عويلها فخرينا المعازل وأطلقا العقائل وأوطناهم
الحسيم (وما جعله الله إلا بسرى لكم ولتطس قلوبكم وما النصر الا من عند الله

العزير الحكيم) ثم تشرح الرسائل بعض المسائل السياسية الدائرة بين اليمن ومصر فلا تطول على القارىء بإيرادها هنا .

وهذه الرسالة نموذج من الكتابة الانشائية التي كان يتفنن في كتابتها كتاب الانشاء في ذلك الوقت وقد وصلت الى درجة كبيرة من القدرة ويقول (القلقشندي) : إن كتاب الإنشاء في اليمن يحتذون طريقة كتاب مصر في رسائلهم فتبتدىء رسائلهم بلفظ أعر الله المقام العالي المولوي السلطان الفلاني بلقب السلطنة ثم يقول أصدرها من مكان كذا ويذكر المقصد ويختم بالدعاء ونحوه ويكتبون في قطع الشامي الكامل بقلم الثلث .

وكان الاديب العيدي أحد من طور هذه الصنعة في اليمن وكانت قبله ضعيفة المستوى من الناحية الادبية . وهو واحد من فرسان هذا الشأن . وتسلم الكتابة في عهد الدولة الرسولية جماعة من أعيان الكتاب أغلبهم من الوافدين الى اليمن وهم بعض ممن ذكرناهم في أول البحث .

وكتابة الرسائل هي الاثر الوحيد الذي بقي لنا من نثر العصر الرسولي الادبي وهذا لا يعني أن الاسلوب الادبي قد تلاشى من كتابات الكتاب في ذلك العصر فأنت مثلا تقف على ما يشبه الاسلوب الفني في تلك المقدمات الرائعة التي كتبها علماء الكلام والنصوف لكتبهم ، ولعلنا سنعرض الى شيء منها عند كلامنا على الادب الصوفي في ذلك الوقت .

ابن عبد المجيد اليماني

والكاتب المبرز في صناعة النثر الادبي خلال العصر الرسولي هو الكاتب عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني . ولد في عدن على أصح الروايات سنة ٦٨٠ ونشأ بمكة فتلقى العلوم بها ثم عاد الى عدن سنة ٧٠٤ ليتسلم كتابة الانشاء للملك المؤيد وحضر الاحتفال الكبير الذي أقامه المؤيد بساحل (حققات) وبقي ابن عبد المجيد في اليمن حتى وفاة المؤيد سنة ٧٢١ واتهم ابن عبد المجيد بميله مع الشائر الملك الظاهر فصادره المجاهد ونفاه من اليمن فرحل الى مصر سنة ٧٣٠

ومنها الى الشام حيث درس في المسجد (الاموي) فن المقامات وفي الشام توفي
سنة ٧٤٣ •

وابن عبد المجيد هو كاتب اليمن الوحيد في عصر بني رسول وقد اشتهر
بين معاصريه بكتابة الرسائل الديوانية حتى استخدمه الخليفة العباسي المستكفي
بالله في الكتابة الى صاحب اليمن • وقد أثنى عليه كل من ترجم له فقال البرزالي
في وصفه : (كان من أعيان الادباء نظما ونثرا) • ويقول ابن شاعر الكتبي :
(كان قادرا على النظم والنثر) • ويقول ابن حجر العسقلاني (كانت له قدرة على
النظم والنثر وكان يحط على القاضي الفاضل في استعماله البديع ويرجح ابن
الاثير عليه) • أما النويري فقد أطنب في الثناء عليه ووصفه بأنه (أتقن صناعة
الادب في غرة شبابه وسما الى سماء البلاغة فكان نجمها الزاهر وارتقى الى أفلاك
البراعة فكان نيرها الباهر) •

ومن نماذج نثره الادبي قوله في رسالة بعثها الى ملك اليمن على لسان
الخليفة المستكفي يقول في أولها :

(أما بعد حمد لله مانح القلوب السليمة هداها ومرشد العقول الى معادها
ومبتدأها وموفق من اختاره الى محجة صواب لا يضل سالكها ولا تظلم عند
اختلاف الامور العظام مسالكها وملهم من اصطفاه اقتفا آثار السنن النبوية والعمل
بموجب القواعد الشرعية والانظام في سلك من طوقته الخلافة عقودها وأفاضت
على سدته الجليلة برودها وملكته أقصى البلاد وناطت بأحكامه السديدة أمور
العباد وسارت تحت خوافق أعلامه الملوك الاكاسرة وسرت بأحكامه النيرة مناجح
الدنيا ومصالح الآخرة وتبخر كل منبر من ذكره في ثوب من السيادة معلم وتهللت
من ألقابه الشريفة أسارير كل دينار ودرهم • الخ ••

وله رسالة أدبية طريفة جعلها على لسان طفيلي بوصي ابنه ويلقنه أسرار
المهنة ونحن نشبتها هنا لطرافتها :

(هذا عهد عهده . زارد بن لاقم ، لبالع بن هاجم استفتحته بأن قال : الحمد

لله مسهل أوقات اللذات وميسرها وناظم أسباب الخيرات ومكشرها ، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق ، جابرة لمن ورد اليها بأنواع الإرفاد وأجناس الارفاق ، أحمدته على أن أحلنا في منازل السادات أرفع الدرجات وأحل لنا من الاطعمة الفائقة الطيبات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نهدينا الى المقام الرفيع ، وتخصنا بالمحل الجسيم المنيع ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام ، ومعدن الجسارة والإقدام الجامع بين فضيلتي الطعان والطعام ، صلى الله عليه وعلى آله أهل السماحة والكرم والاكرام ، صلاة تحل قائلها في غرفات الجنان في دار السلام ، وبعد .

فان صناعة التطفيل صناعة مهوبة ، وحرفة هي عند الظرفاء محبوبة لا يلبس شعارها الا مقدم ، ولا يرفع خافق علمها إلا من عد في حرفته من الاعلام، ولا يتلو أساطير شهادتها الا من ارتضع أفاويق الصفاقة ، ولا يهتدي لمنار علائها إلا من نزع من منكبيه رداء الرقاعة والحماقة وكنت والفود غدافي الاله اب ، والغصن ريان من ماء الشباب والقديميس في حلة النشاط والقدم تذرع الارض ذرع الاختباط لايقام سوق وليمة الا وأنا الساعي اليها ولا ترفع اعلام نار مادبة إلا وكنت الواقف لديها أتحذ الدروب شباكا للاصطياد وجائل أبلغ بها لذيد الازدراد قد جعلت المعطس حلف الهواء والقلب فزيل الاهواء فحيث عبقت روائح الأباذير من أعالي تلك القصور وتمندلت تلك الشوارع بزعفران البرم والقصور ألقيت عصا المسير على الباب ، وخلت بحسن أدبي قلب البواب ، وأوسعت في وصولي ألف حيلة وجعلتها على ماعندي من حسن فنونها مخيلة فلا دعوة إلا وكنت عليهم دعوة ولا وليمة ختان الا وقد طلعت على أرجائها مثل الجان ولا سباط تأنيب إلا وكنت اليه الساعي المنيب ولا مجمع ضيافة إلا وكنت عليه أشد آفة ، ولا ملاك عرس مشهود الا وانتظمت في سلك الشهود، يحسن في قول القائل:

لو طبخت قدر بمطمورة موقدها الشام وأعلى الثغور
وأنت في الصين لوافيتها يا عالم الغيب بما في القصور

واليوم قد مال القويم الى الاعوجاج وعز بازى الشيب غراب الشعر الداج
وقيد الزمن أقداما ومنعت الشيخوخة أقداما وصرت لحما على وضم ، بعد أن كنت
نارا على علم وقد أفادتني من هذه الصناعة فنونا وتلت علي من محاسنها متونا
وقد أبقيت لكل مجمع بابا وفذلكت لكل مشهد حسابا وقد اقتضى حسن الرأي
أن أفوض اليك أمرها ، وأودع تأمور قلبك وحسك سرها ، علمي بأنك الكبس
الظن بل الالمعي الذرب المرن لو عقدت أكلة الولائم بغاب ولجة لأحسن بتأنيه
الجميل مدخله ومخرجه . وقد شاهدت من أعمالك الصالحة ما يقال (فيه)
عند ذهابي : ما أشبه الليلة بالبارحة وقد عهدت اليك واستخرت الله في التعويل
عليك فمثلك من يخطب للمناصب ويتسهم ذروة المراتب ودونك ما أنطق به
من الوصايا وأحفظ ما يسرده لسان القلم من جميل المزايا وإياك وموائد اللئام
وانزل بساحات الكرام واتخذ الشروع في الشوارع حرفة وأظهر على مشيك
صلافة وعفة وميز بعينك حسن المساطب ونقش الستور وجمال الخدم وقعود
الصدور واقصد الابواب العالية والاكلة المنقوشة الجالية فان دلت على مأدبة
نصبها بعض الاعيان وجمع اليها أصحابه الاخوان فالبس من ثيابك الجميلة
قشيبها وضوع بالمدل الرطب طيها واتقن خبر صاحب الدار وأخباره وقف في
صدر الشارع من الحارة ، واذا رأيت الجمع ، وقد تهادوا بالهوادي والاقدام ،
تهادوا فيما بينهم لذيذ الكلام ، تقدم اليهم بقلب قلب الامور وعلم بحسن
تطلعه وتضلعه داء الجمهور وقل لهم رب الدار قد استبطاكم فما الذي أبطاكم
حتى اذا قاربوا صعود العتبة ولم تبق هنالك معتبة تقدم رافعا لهم الستور ومعرفا
بمقدار أولئك الصدور فالاضياف يعتقدون أنك غلام المضيف ورب الحلة يعتقد
أنك رفيق السادة الجلة وان ولجت مجتمع ختان وقد نصبت فيه موائد الالوان
وذرفت الابواب واكفهرت وجوه الحجاب فاجعل تحت ضبيك المجمع واخذع
قلوبهم فمثلك من يخدع وقل : رفيق الاستاذ ومعينه ورجله التي يسعى بها بل
يمينه فحينئذ ترفع الستور وتقدم لك أطايب القدور وان رماك القدر على باب
غفل عنه صاحبه وسها عن غلقه حاجبه وقد مدوا في إوانه سباطا وجعلوا

لأوائل من يقدمه فراطا وقد تقاربت الزبادي وامتدت الايادي ورأيت السماط روضة تخالفت ألوانها وامتدت أفنانها والموائد فيما بينها أفلاك تدور بصحونها بل بروح ثابتة تشعر بسكونها فلج على غفلة من الرقيب وابسط بنان الاكل وكف لسان المجيب فان قيل لك : أما أغلق الباب دونك ؟ فقل : (ما على الكرماء من حجاب) واياك والاطالة على الموائد فانها مصايد الشوارد واياك والقدرة عليها فانها امارة الحرمان لديها وان وقعت على ولبة كثيرة الطعام قليلة الازدحام فكبر اللقمة ولا تطل علكها ، ومر الفك في سرعة أن يفكها ، فانك لا تدري ما تحدث الليالي والايام خيفة أن يعثر عليك بعض الاقوام فتكتسي حلة الخجل وتظهر على وجهك صفرة الوجل واجعل من آدابك تطلعك الى أثوابك ولا ترفع لمستجل وجهها وجيها وقل لمن يحدثك : ايه • ولا تقل ايها وجاوب بنعم فانها معينة على اللقم واجعل لكل ما يناسبه من الحيلة ومل على أهل الولايم والمآدب ميلة واسأل عمن ورث من آبائه مالا وقد جمعه بوعثاء السفر وعنائهم مورثة حراما وحلالا أيعقد مقاما ؟ أم يبلغ من دنياه بالقصف مراما ؟ فان قيل : فلان العالاني رب هذه المثابة وصاحب الدعوة المجابة فكن ثالثة الاتافي في لبابه وانتظم في سلك عشرائه وأترابه، وتفقد الاسواق خصوصا للهامين ومواطن الطبخ ومساطب المطربين ومجمع القراء ومعاهد محال الوعاظ وكل بقعة هي مظنة فرح يعود عليك نفعه وكن أول داخل وآخر خارج ومل الى الزوايا فبي أجمل مالهذه الحرفة من المزايا ونقل ركابك في كل يوم فتارة في سوق اللحم وتارة في سوق الثوم وغير الحلية وقصر اللحية وابرز كل يوم في لباس فهو أكثر للالتباس وجدد البهت حتى تتخذه عصاك وتجعله ذريعة لمن عصاك واتقن الفنون التي تحتاج اليها من غناء ونجامة وطب وشهامة وتاريخ وأدب وكرم أصل وحسب وحالتي التوقيت والتنزيل فاجعلهما دأبك فاذا عرفوك وحضر الجمع وكشفوك فطرز كل محفل بمحاسن أقوالك وكل جيد كل مآدبة بجواهر أفعالك واعلم أنها صنعة دثرت معالمها وقل عالما ولو لم أر على وجهك مخائل بشرها وعلى أعطاف أردانك روائح نشرها لما ألقيت اليك كتاب عهدها ولا حملت لبابك راية مجدها فتلق راية هذا العهد بساعد

مساعد وعضد في الولوج على الاسمطه معاضد فوضت البك أمر من نحلى
بجواهرها المنظومة ولبس حللها القشبية المرقومة وبسطت لسان قلمك في رقم
عهودها وأذنت لك أن تجريهم على سنن معهودها وإياك أن تعهد إلا لمن ملك
خصالها وجاس واستجلى هلالها وانقن أحوالها ولأية عامة وكلمة مبرمة تامة
حرس الله بك الادب واللطافة ومحابك معالم الثقافة والكثافة •

أدب الصوفية

كان نشوء الطرق الصوفية في اليمن محاكاة لطرق صوفية كبيرة نشأت في مصر والشام والعراق * وكان صوفية اليمن يعترفون بتبعيةهم لصوفية العراق كالصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني والشاذلي وغيرهما وقد بينا مدى الصلة الكبيرة بينهما في كتابنا (الصوفية والفقهاء) والذي يهمننا هنا هو الإشارة الى الجانب الفني من التصوف اليمني وما له صلة وثيقة بالادب فقد عرف الصوفية الادب بشكل واسع وطبقوه عمليا في السماع والرقص حيث كان السماع هو الميدان العملي لتلحين الشعر والقصائد المطولة وقد أقامه صوفية اليمن منذ القرن السادس وما بعده وشجعت الدولة الرسولية هذا الفن بمشاركة ملوكها فيه ومنهم من وقف ضد منتقديه من الفقهاء وقد ذكر ابن المجاور في أواخر القرن السادس انه يخرج كل ليلة من أبواب مدينة زبيد نحو سبعمائة راقص من الصوفية يحيون الليالي بالاناسيد والاغاني في ذكر الله وتبجيله وربما شاركت النساء في احدى هذه الحفلات بالرقص والغناء حتى أنكر عليهن هذه الناحية جماعة من العلماء ومع ذلك فالصوفية نادرا ما يلتفتون الى منتقديهم وكانوا يعلنون السماع أمام الناس ومنهم من أقامه في المساجد حتى قال الشاعر ابن المقري في الرد عليهم :

برغم سنة خير العجم والعرب أضحت مساجدها للهو واللعب
ماكان صلى عليه الله يأمرنا بضرب دف ولا زمر ولا قصب
بل سد عن مزمر الراعي مسامعه صونا لها ولنا عن هذه اللعب
وهي قصيدة شهيرة في نقد الصوفية *

وكان الصوفية يركزون على فهم المعاني الواردة في السماع ويقول أحد كبارهم : (من لم يعرف المعاني فالسماع علبه حرام) ومنهم من يتواجد حال السماع ويغيب عن حواسه وكان الشيخ عمر المسن يتواجد حتى أنه قذف بنفسه مرة من سطح البيت لشدة الوجد ولم يصبه أذى الى غير ذلك من أخبار تدل على تذوق صوفية اليمن للسماع •

وليس بأيدينا نصوص شعرية لما كان يغنى أثناء السماع وكل ما ظفرت به بيتين أوردهما الشرحي في طبقاته وهما قول القائل :

قدمتم فمال البان والضال والائل
حللتهم ربنا نعمان واجتمع الشمل

ولاشك أن كثيرا من قصائد ابن علوان وابن أبي الغيث كانت تشد أثناء السماع مع قصائد ابن الفارض والتلمساني وابن عربي وغيرهم من صوفية العالم الإسلامي ، إلا أن هذا لا يعززه مصدر تاريخي ، ومن يتأمل مؤلف المزجاجي المتوفى سنة ٨٢٩ في سماع الصوفية يجد أن الصوفية قد أقاموا السماع بشكل واسع • وكان الصوفي محمد بن عيسى الزيلعي المتوفى سنة ٧٨٧ هـ يقيم السماع في كل قرية من قرى وادي سردد ومور وكذلك الفقيه محمد بن أبي بكر الحكمي صاحب عواجه المتوفى سنة ٦١٧ هـ وصاحبه محمد بن الحسين البجلي المتوفى سنة ٦٢١ هـ والشيخ علي الاهدل المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وأحمد بن علوان المتوفى سنة ٦٥٥ هـ • يقول المزجاجي : (وكلهم كانوا يعملون السماع في نواحي اليمن وذرايرهم وتابعوهم على طريقتهم الى الآن) • وقد شهد مسجد ابن عبد الملك في (زبيد) أغلب تلك الحفلات السماعية التي كانت تقام في هذه المدينة وكان الشيخ يحيى القاهري يحضر السماع على الرغم من كبر سنه ويتواجد ويرقص وكان عارفا بقواعد العربية فاذا حصل من المنشد ما يخالف قواعد الاعراب يقوم من موضعه ويأتي الى الحادي ويصلح له ذلك •

وكان الشيخ اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ من أكبر

القائمين على أمر السماع وحيائه ، وقد بلغ الامر بأحد تلامذته أن تدركه الوفاة أثناء السماع نتيجة تأثره البالغ ، فقد ذكر المزجاني أنه لما وصل الحادي الى قول:

يا مؤنسي في وحدتي يا شاهدي يا ناظري

ادرك الشيخ محمد بن شافع وجد كبير ولم يزل يتحرك والحادي يكرر له القصيدة حتى لوى يديه على رقبة الحادي ونزل الى الارض قليلا وجلس وغطى وجهه بثوبه فحركه فوجدوه قد مات *

واتفق للشيخ اسماعيل الجبرتي أنه أقام السماع بزييد شهرين وبضعة أيام متواصلة وربما أقام السماع في بعض البيوت مع فقرائه لمناسبات عائلية ودينية • وهكذا أقبل الصوفية على السماع اقبالا تاما فنمى فيهم الذوق الفني والتأثر به • وقبل شيوخ القهوة والقات بين صوفية اليمن كان بعض الصوفية يتعاطون الحشيش بخفية فاذا علم الشيخ بها أنكرها عليهم^(١) وكان الصوفي محمد بن عيسى الهتاري المتوفى سنة ٧٨٨ ينكر على من يدخل الحشيش الى زاويته من الباعة والمتسبين^(١) ولما عرف القات في اليمن احتضنه الصوفية وحل محل الحشيشة فلا يكاد يذكر الحشيش بينهم الا نادرا • وقد استعانوا بالقات والقهوة كوسائل مساعدة على النشاط في القيام بعباداتهم ومنهم من أطنب في مدح القهوة والقات فقال شاعرهم يمدح القهوة :

قهوة البن يا أهل الغرام ساعدتني على طرد المنام
وأعانتني بعون الله على طاعة الله والناس نيام
(قافها) القوة و (الهاء) الهدى (واوها) الود و (الهاء) الهيام
لا تلوموني على شربي لها انها شرب لسادات كرام

ولهم فيها شعر كثير ليس من موضوعنا درسه لانه من أدب ما بعد العصر الرسولي حيث لم يشتهر أمر القهوة والقات الا في القرن العاشر وما بعده •

(١) الاهدل : نحفه الزمن ج ٢ ص ٧١ •

وللصوفية في اليمن وغيرها علوم ومواجيد وأذواق لا يتسع المجال لبحثها هنا وقد كونوا لأنفسهم سلطة روحية وفكرية عظيمة نعتد أساسا على الانغماس الكلي في عبادة الله ومجاهدة النفوس واشتهرت بينهم كتب خاصة يتداولونها في القراءة والاذكار وكان كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي من أشهر الكتب الصوفية عندهم ولاقى عناية كبيرة منهم • وقد دخل الى اليمن في حياة مصنفه حجة الاسلام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ واختصره في ذلك الوقت الفقيه يحيى ابن أبي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨ هـ ثم الفقيه محمد بن سعيد القريضي المتوفى سنة ٥٧٦ هـ وغيرهما ثم أقبل عليه الصوفية اقبالا منقطع النظير •

وترك صوفية اليمن في ذلك الوقت بضعة كتب فنية تعتمد في علومها على فقر من الكلام المسجع في الحكم والوصايا وتناقل الناس كتاب الشيخ ابن أبي الغيث في هذا السبيل واعتمدوا عليه في سلوكهم الصوفي ومن قبله وضع الصوفي الكبير محمد بن الحسين البجلي المتوفى سنة ٦٢١ هـ كتابه اللباب ، وهو في نفس موضوع كتاب ابن أبي الغيث ، ثم تلاهما الفقيه محمد بن عمر بن حشبير فوضع كتابا في التصوف على نفس الاسلوب • ومع ذلك فان المؤرخ الحسين ابن عبد الرحمن الاهدل ينكر على هذه الكتب بضعة جمل توحى بميل أصحابها الى فكرة الحلاج وابن عربي ، وكان الناس يتداولون هذه الكتب بشكل عام وعندما ظهرت مؤلفات ابن علوان الوعظية مال الناس اليها حتى كادت أن تنسى كتب السابقين ، ثم جاء الصوفي عبد الله بن سعد اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ووضع عدة كتب صوفية جيدة غطت شهرتها على سائر كتب التصوف في اليمن ولاقت عناية كبرى في البلاد وخارجها ، وسنفرد هذين العاملين بالبحث فيما بعد • ووضع الصوفي أبو العباس أحمد بن عمر الزيلي المتوفى سنة ٧٠٤ هـ كتابه في التصوف بعنوان (ثمرة الحقيقة ومرشد السالكين الى أوضح طريقة) وهو من الكتب الهامة في هذا الباب وقد أسس زاوية شهيرة في قرية المحمول • وكان من سلوكه في التصوف أنه لا يشتغل بشيء من أمور الدنيا ولا يتكسب ولا يطلب

من أحد نبيئنا واداء علم بأحد من الناس يطلب شبتا طرده وعرف بين أتباعه
بكثرة اقامة السماع •

ومن الكتب الصوفية الشهيرة التي وضعها صوفية اليمن في العصر (كتاب
اللطائف) للصوفي طلحة بن عيسى الهتار المنوفى سنة ٧٨٠ هـ • وكان من ذوي
الوجاهة عند الناس ، وكان السلطان يقدر جانبه حتى ان الخارجين على الدولة
اذا احتموا به لا يستطيع السلطان أن يصل اليهم بأي حال من الاحوال •
واشتهرت في العصر الرسولي أسرة علمية جمعت بين جانب التصوف
والاخلاق منذ جدهم الاول الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن عمر الحبشي
المتوفى سنة ٧٨٠ الذي وضع عدة كتب في التصوف منها كتابه (الاعتبار لذوي
الابصار) جمع فيه بين النثر والنظم بحيث ضمنه قصيدة في مائتي بيت في كل بيت
ثلاثة أشطر ثم ألحق بكل بيت كلاما مسجوعا موافقا لما في الابات من المعنى وله
كتاب (التوشيح والثبات والذكر والرحمات) وغيره من الكتب • وكان بالرغم
من انشغاله بالتأليف والتدريس ونولي القضاء لاسرك قيام الليل منذ نبابه
الى أن أدركته الوفاة • وكان يصلي بأكثر القرآن قائما وهو في سن كبيرة • توفي
رحمه الله سنة ٧٨٠ وخلف ولدين كلاهما من العلماء المصنفين وهما الفقيه أحمد
ابن عبد الرحمن الحبشي المتوفى في حياة والده سنة ٧٦٩ وله من الكتب الصوفية
كتاب (رياضة النفوس في فضل الجوع وترك اللذات الشهية) وكتاب (تحفة
الطالبين وتذكرة السالكين) والابن الثاني هو الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن
عمر الحبشي المتوفى سنة ٧٨٢ والد صاحب كتاب الاعتبار في التاريخ • وقد
اشتهر هذا العالم بعدة كتب صوفية لعل أهمها كتاب (البركة في فضل السعي
والحركة) وهو من الكتب الجيدة في بابها • أما أسرة بني الاهل فهي على الرغم
من كثرة متصوفيها ومؤلفاتهم في هذا الباب ، الا أن أفرادها لم يشتهروا الشهرة
الواسعة الا بعد العصر الرسولي فلن ننسیر اليهم هنا^(١) •

(١) ونحيل القارئ الكريم الى بحثنا المنشور بعنوان : جهود بني الاهل في
خدمة العلم •

وعلى العموم فإن صوفية اليمن في مؤلفاتهم كانوا أصحاب مجاهدة ومواجيد وقد جمعوا في كتاباتهم بين الجانب الشعري والجانب النثري وهو الامر الذي لا تكاد نجده عند غيرهم من الفقهاء والمتكلمين وربما وجدنا من تفرد فيهم بالشعر كالاديب عبد الرحيم البرعي والشيخ حاتم بن الاهدل ، الا أن هذا نادر جدا وإلا فانك تقف على كتابات علوان فتجد ديوانه الحافل بالشعر الجيد بجانب كتاباته النثرية التي يمزج فيها أحيانا بين الشعر والكلام المسجوع وكذلك الحال عند اليافعي وهو أقل الصوفية موهبة شعرية *

ابن علوان :

فأما ابن علوان فهو الشيخ أحمد بن علوان إمام الصوفية وفيلسوفهم في العصر الرسولي ، نشأ في أحضان الرئاسة والعلم وكان والده من خدمة السلطان ومن كتبه ، وكاد ابنه أن يصبح مثله ، إلا أنه تحول الى طريق التصوف تحت تأثير خارق^(١) ولزم الخلوة والعبادة وألقى الله له القبول والمحبة في قلوب الناس وتبعه خلق كثير وكانت له كرامات ومكاشفات واشتهر بين أتباعه بحسن الوعظ وتصريف القلوب اليه وكان يسلك في وعظه طريقة ابن الجوزي حتى كان يقال له جوزي اليمن وجمع كلامه في مجلدات أطلقوا عليها أسماء منها كتابه (الفتوحات المصونة والاسرار المخزونة) وكتاب (المهرجان) وكتاب (التوحيد الاعظم) ، وغيرها ، عدا ديوانه الشعري * ويقول الشرجي : وعندي من ديوانه وغالبه في التصوف * ومن شعره ما كتبه الى الشيخ أبي الغيث بن جميل :

جزت الصفوف الى الحروف الى الهجاء حتى انتهيت مراتب الابداع
لا باسم (ليلى) أستعين على السرى كلا ولا (لبنى) تقل شراعي
توفي سنة ٦٦٥ هـ *

واذا نظرنا الى انتاجه الصوفي وجدناه يتميز بطريقة فريدة خاصة بابن علوان

(١) يقول صاحب طبقات الخواص . انه سمع هاتفا يقول ليس لهذا خلقت *

نفسه وفيها من ايجاز العبارة وبلاغة اللفظ • استمع الى قوله في تعريف الصوفي ليتضح لك ذلك :

(الفقير أرق من الماء وأعلى من السماء وأخف من الهواء وألطف من الصبا وأحلى من الجناء وأصفى من الجوهر وأذكى من العنبر وأعذب من الكوثر وألين من العبقّر اذا خاطب الآن واذا خوطب أبان واذا استعين أعان واذا قيل له اتق الله دان ينصف من نفسه ولا يتصف لها ويفتخر بربه ولا يفتخر لها عزمه أحد من السيف وهمته أسرع من الطيف وجناحه أخصب من الصيف وأحكامه مجانية الحبيب يألف ويؤلف ويعرف ولا يعرف ويعطف ولا يستعطف ويتكلف بما يكلف ومثله كالبحر ظاهره يحمل الركبان وباطنه الدر والمرجان يأكل من سمكه الأكل ويتطهر بمائه الغاسل يقرب براكبه المسافة ويأمن فيه من المخافة ذلك هو الفقير الكامل الخلق والشمايل)***

وثره كله من هذا النوع مع بلاغة وتصويب للمعاني • أما شعره فهو البحر الخضم والمعاني الجليلة وربما أوهم شعره ميله الى فكره الحلاج الا أن هذا بعيد جدا لمن يتأمل معانيها على حقيقتها • ومن شعره في تلك المعاني البديعة قوله :

نَفَسٌ جَرَى بنسيمكم	فأطار نوم سَنِيمكم
وأفاده بهبوبة	كلفا بدار نعيمكم
شرب الهوى بكؤوسكم	وأدارها بعلومكم
لما ملين بحبكم	ومزجن من تسنيمكم
أضحى سقيما بعدها	فأرئوا لما بسقيمكم
متحرّكا لسَماعكم	سُكران من تكليمكم
ويلومه من لم ينل	ما نال من تَكريمكم

ومن شعره في المعاني الصوفية :

معاني الحب سقيها لمن يعطي عطاياها

أَتَتِكَ الْخُودُ خُودَ الْحُبِّ تَتَسَلَّوْهَا هَمْدَايَاها
مَعَانِيهَا مَغَانِيها وَرِيَّاسَاها حُمَيَّاسَاها
فَكُنْ نَبِيًّا لِمَرَاها إِذَا أَبَدْتَ مَحِيَّاسَاها
بِسُلْطَانِ كَسُلْطَانِ بِهِ فَاقَتْ بَرِيَّاسَاها

ومن شعره :

نَبْوِيَّةٌ رَفَعَتْ لَهَا الْإِعْنَاقُ عَلْوِيَّةٌ عَلَقَتْ بِهَا الْعِشَاقُ
مَحْجُوبَةٌ كَشَفَتْ لَهَا عَنْ وَجْهِهَا فَتَلَلَاتُ بِشُمُوسِهَا الْآفَاقُ
تَدْعُو الْفُرُوعَ إِلَى الْأَصُولِ بِلَهْجَةٍ عَرِيَّةٍ فَتَمِيدُهَا الْأَسْوَاقُ
رُوحِيَّةٌ مِنْ أَجْلِهَا خُلِقَ الثَّرَى وَالْمَاءُ وَالْأَفْلَاقُ وَالْإِطْبَاقُ
تَصْفُو بِجَوْهَرِهَا جَوَاهِرَ بَحْرِهَا فَلَهَا عَلَى ظِلْمَاتِهَا إِشْرَاقُ
فَإِذَا صَفَتْ وَصَفَتْ غَرَائِبَ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا وَبَدَتْ لَهَا أَخْلَاقُ
لَا حَتَّ لَنَا بَدَلَالَهُ وَمَلَالَهُ حُورَاءُ كَمَلَتْ خَلْقُهَا الْخَلَاقُ
تَفْتَرُ عَنْ مَعْنَى عَنَتِ لَجْمَالِهِ مِنْهَا الْوُجُوهُ وَفَاضَتْ الْآمَاقُ
الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ الْمُنِيرُ جَبِينِهَا وَالطُّوقُ مِنْهَا الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ
وَالْكُوكَبُ الدَّرِي غُرَّةُ وَجْهِهَا وَعَلَى يَدَيْهَا الْأَسْرُ وَالْإِطْلَاقُ
تَشْتَاكُ أَحْبَابًا لَهَا وَحَبَايَا أَفَمَا إِلَى سَبْحَاتِهَا مَشْتَاكُ
تَمْحُو الْأَبُوتَ وَالْأُمُومَةَ وَالْفَنَى وَتَمِيطُ مَا تَتَضَمَّنُ الْأَوْرَاقُ

البافعي

عبد الله بن أسعد اليافعي نشأ في ناحية يافع ثم نقله والده إلى عدن وهو لا يزال في سن الصغر فقرأ القرآن على الفقيه البصال وعلى غيره واشتغل بالعلم وحج سنة ٧١٢ وعاد إلى بلده وهو متأثر بعلوم الصوفية فأثر العزلة والسياسة في البراري ثم عاد إلى مكة واستقر بها حتى أدركته الوفاة سنة ٧٦٨ واشتهر اليافعي بمصنفاته الصوفية الكثيرة ومن أشهرها كتاب (روض الرياحين في حكايات الصالحين) ونشر المحاسن العالية والارشاد والتطريز وغيره من الكتب وقد لقيت

قبولا كبيرا عند صوفية اليمن ومصر والشام والحجاز وهو على الرغم من كثرة انتاجه الشعري الا أنه شعر لا يرقى الى درجة الابداع والاصالة وكشال على هذا الشعر الكثير نورد هنا هذه النماذج :

قفا حدثاني فالقؤاد عليل	عسى منه يشفى بالحديث غليل
أحاديث نجد عللاني بذكرها	فقلبي الى نجد أراه يميل
بتذكر سعدى أسعداني فليس لي	الى الصبر عنها والسلو سبيل
ولا تذكر لي العامرية إنشها	يوله عقلي ذكرها ويزيل

وفيهما يقول :

ولما توادعنا بوادي النقا وقد	علانا على بعد اللقاء عويل
بدا برد قد عض عتاب سندس	وفي الورد در البحر صار يسيل
فان لا أمت منها قتبلا فأنني	لمن حل في وادي النقا قتيل
الى كم على ليلى وسعدى وفي النقا	ونجد ونعمان هواي أحيل
وليس دمي في بطن نعمان سائلا	ولكن له وادي العقيق مسيل
رمت مقلتي غر لها بين رامة	وبين المصلى مسمر ومقيل

ومن شعره :

أترجى البقا ما بين سلع وحاجر	وبيض النقا ترمي بسود المحاجر
حذار حذار يا خلييا عن الهوى	تجوز بذياك الحمى غير حاذر
فما جاز ربع العامرية خاطر	ولادار مي قط غير محاذر

وله شعر غير هذا كثير :

الرداد

ومن أدباء الصوفية وعلمائهم الفقيه الصوفي أحمد بن أبي بكر الرداد كان من العلماء الافاضل وهو من كبار أصحاب الشيخ اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي وخليفته بعد وفاته وكان المناضل مع الصوفية في حادثة ابن المقري الشهيرة وقد

فصلناها في كتابنا (الصوفية والفقهاء) وأخذ التصوف على الجبرتي السابق وبعد وفاة والده آلت إليه ثروة كبيرة أنفقها على أصحابه من الصوفية وزهد في الدنيا وانقطع الى صحبة الشيخ الجبرتي حتى نسي أهله وأولاده فكان يتفقدتهم شيخه الجبرتي وما زال على المجاهدة والسلوك سنين كثيرة ومع ذلك كان يحج كل سنة على قدم التجريد بصحبة الفقراء وفي بعض حجاته أحرم من مدينة زبيد الى مكة ثم انكب على مطالعة الكتب الصوفية وطالعها وعلى التصنيف فوضع عدة كتب جيدة في علم التصوف من أشهرها كتابه (موجبات الرحمة وعزائم المغفرة) وبلغ فيه درجة كبيرة من العلم ومن مؤلفاته كتاب (السلطان المين والبرهان المستبين في ظهور الحجة على من كفر أهل السماع من أولياء الله المقربين) وكتاب (ذي الفقار المأمور بيد ذي الفقر المنصور) وكتاب (طوابع الجبروت وطلايع الملكوت) وكتاب (لوامع الانوار المقلدة في شرح معاني الروضة المشككة في الفقه) وكتاب (الشهاب الثاقب) وكتاب (القواعد الوفية في أصل حكم خرقة الصوفية) وغير ذلك من الكتب الجيدة في بابها وقد اسندت اليه الدولة ولاية قضاء الاقضية فلم يستمر الا بضعة شهور ثم توفي سنة ٨٢١ وللرداد ديوان شعر كبير أسماه (نحلة الطالب ومنحة الراغب) ومن شعره قوله في التصوف :

ليس النصف مثل ما	زعم الدعي الاحمق
شيخ ومسبحة وسجا	د ودعوى تحرق
ان التصوف كله	خلق لمن يتخلق
وهوى وجود بلا هوى	وحشاشة تتحرق
وعزائم من دونها	يكبو الجواد المطلق
وتدقق وتعفف وترفع	وتعلق وتخلق وتحقق
ولباس توب العري من	كل الوجود منطلق
وشراب كأس الصبر في الـ	مهز الصريح مروق
هذا التصوف ليس ما	قالوا وقولي أصدق

ومن شعره :

دع السعراء لا تنظر اليهم	وخلهم لعلام الغيوب
(ألم تر أنهم في كل واد	يهيمون) الحقوب مع الحقوب
وانهم يقولون الذي لا	تقوم به الفعال من الكذوب
ستشهد ألسن منهم عليهم	بما أجروه من قبح الذنوب
فلا تطلب لهم خصما قويا	يخاصمهم سوى الرب الرقيب

وقد توسع صديقه العلامة محمد بن محمد المزجاجي في أخبار الرداد وشعره
في كتابه (هداية السالك) *

أعلام الشعراء في عصر بني رسول

ابن حمير :

الشاعر محمد بن حمير من شعراء الجيل الاول في العصر الرسولي واذا ذكر هذا العصر فلا بد أن يذكر شاعره ابن حمير أشهر من نظم القصائد الجيدة . وكان ابن حمير يسلك في حياته جانب الفروسية والاقدام وربما عد نفسه نداء لجماعة المشائخ على الرغم من مدحه لهم وتقربه للملك المنصور وكان يفتخر بشعره واعتبر نفسه رب قصائد لاتجارى يقول :

شاب ابن حمير وهو رب قصائد عرب كواعب مثلها لا ينظم

ويصفه من ترجم له بقوة البديهة وفظاعة اللسان وقد حدث أن اجتمع هو والشاعر المصري ابن العطار في مجلس الملك المنصور فقال ابن العطار للمنصور يامولاي اني شاعرك من الديار المصرية وأراك تفضل ابن حمير علي وتنعم عليه أكثر مني . فقال المنصور : انه حاضر البديهة ، وأنتم يا أهل مصر وان كنتم أهل فضل وأدب الا أنكم تبطنون . ثم التفت الى ابن حمير وقال له : ما تقول ؟ فالتفت ابن حمير الى العطار وقال ارتجالا :

مستشعر بعمامة معقودة لو بعنرت ملت الفضاء خميرا
وأبوك عطار فما بال ابنه يهدي الصنان الى الرجال بخورا

وكان ابن العطار به شيء من ذلك فضحك السلطان المنصور وقال أجبه فافهم . . والامثلة على قبح لسان ابن حمير كثيرة وقد اكتسب ذلك من اقدمه وقوة شخصيته وقد اعترف ابن حمير بهذه الخاصية في شعره فقال مخاطبا أحدهم : والله ما يشنون عنك بمثل ما أثني ولا يهجون مثل هجائي

وقد لقي أذى كبيرا بسبب لسانه فقد حدث له أن هجا أحد مشائخ الاشاعر
أو نسب اليه هجاءه فتخوف وهرب الى الجبال مدة طويلة وعمل قصيدته (المعذرة)
يعتذر فيها عن ما نسب اليه فيها ويقول :

خليلي ما جانبت فومي عن علا ولا عن ملال حار فكري فيه
ولا لي بالقييل اليماني عائض وأي أب للطفل مثل أيسه
ولكن مقال من سفیه مذمم وحسبك أن ترضي مقال سفیه
فقبل عنه ذلك الشيخ عذره بعض الشيء ثم أنه اجتمع به ذات يوم فسمعه
ابن حمير ينشد أبيات المتنبي حيث يقول :

واحتمال الأذى ورؤية جانب ه غداء يشوى به الأجسام
فلما سمعه ابن حمير نمر عن البلاد وفارق أولاده واحتمى ببعض مشائخ
العرب في الجبال والتهائم واستشفع بهم فساروا معه الى الشيخ ناصح الدين بن
معيبد الى مدينة (فسال) واستشفعوا له حتى عفى عنه هذا التسخ ونظم ابن
حمير في هذا المناسبة قصيدة جيدة يقول فيها :

أعاني هوى ليلي وكيف أعاني	وأدعو لها وأدام اذ هي جارتني
وما خنت ليلي يعلم الله سرها	ولا غيرتني سقة البعد بعدها
ولا اعتدت تسهيد الجفون وانما	دعاها النوى لما دعاني لها الجوى
وكم من محب وهو غير محجب	خليلي من سعدين بت رقدتما
فلو كنتما مثلي مشوقين أدمعي	أعينا على ما بي من الهم واشكرا
وأدفو الى من ليس بالمتداني	واذ خدرها المضروب قيد عنائي
ولا ملت للواشي غداة لحاني	اذا غير الاخوان جور زمانني
جفتني ليلي والنام جفاني	فلبت كما ليبت لما دعاني
وحان على من لا يرق لحاني	وبت أسيم البرق وهو يمانني
لأشجاكما مسراه حين شجاني	على ذاك من عافاكما وبلاني

فان خليلي من يقاسمني الاسى
أتنني من القيل اليماني هدة
وزارة ضرغام بييتة لو دعا
ومن أنا حتى أجحد ابن معيبد
ومن أنا حتى أجحد الشمس نورها
وما كان مني في أبي بكر مارووا
أأركب أمواج الهلاك تعمدا
أأكل لحوم الافعوان مسما
وأكفر احسان الذي في زمانه
ويشركني في نائب الحدثن
تشيب رأس الاسود بن قتاني
بنجران لانهدت سقوف عمان
نداه وكم بر لذاك أتانني
وأغمط جود الغيث ذي الهملان
ولكن شأني عنه أحقر شان
وأفتح شذقي والرماح دواني
ولو مس جلدي جلده لكفاني
عرفت وأعمى الحاسدين حساني

ثم تمضي القصيدة في الاعتذار لهذا الشيخ وفي آخرها يشير الشاعر الى أولاده وأسرته التي تنتظره بفارغ الصبر فيقول :

وخلفي يا ابن الاشعري صبية
وشيخ حنته النائبات وشبخة
وقد راعهم ما قلت فيك فكلهم
تصدق عليهم أو علي لأجلهم
وآمن فكم آمنت روعة نافر
كزغب القطا كل يود يراني
بعز عليهم أن يشط مكاني
على خدّه عيناه تنهملان
وسكن قلوبا جمة الخفقان
وأطلق فكم أطلقت روعة عاني

وقد عرف ابن حمير بمهاجماته مع أقرانه من الادباء ومر بنا هجاؤه لمسلم بن العليف وهو هجاء يدل على طبيعة ابن حمير المتحفزة ويقول الخزرجي إن أكثر شعر ابن حمير في المجونيات والخلاعة وكان من الشعراء المحترفين بشعرهم وله خيل هزيل يرحل عليه الى شيوخ رؤساء القبائل ويمدحهم بالقصائد الجيدة بغية الجائزة وقد مدح جماعة من هؤلاء المشايخ منهم الشيخ ناصح الدين أبو بكر بن معيبد شيخ الاشاعر بنفشال والشيخ راشد بن مظفر السنجاني شيخ سنجان والشيخ عون بن حسن الزميلي وسهيل بن الوليد المزني وأولاده ومفرج بن الجندب ومدح من أعيان الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي والملك المظفر

في أول حكمه ومدح الامام أحمد بن الحسين ومن الصوفية الحكيم والجليل
صاحبي عواجة وفي أواخر أيامه تحسنت حالته المادية وقصده الشعراء من كل
صوب حتى قال فيه الشاعر ابن هتيمل :

سيدي ما دمي عليك حرام ليس في سفكه عليك أنام
أنت أولى مني بروحي فاحكم لك فيها فما اليّ كلام
الى أن يقول :

لا نبا الغيت عن (سهام) ولازل	يمج المباه ريا (سهام)
بلد توجد المروءة والثروة فـ	يها ويعدم الاعدام
جمعت في محمد آله الفضل	فحات في وصفه الافهام
الجواد الجواد والسيد السيد	والصارم الحسام الحسام
راعف السيف والبراعة تمضي	بيديه السيوف والاقلام
ساحة يشبع الضيوف ويربو الـ	طفل فيها ويرتع اليتام
واذا ما عددت في شرف السعي	عصاما فأئن منه عصام
انما لابن حمير قدم السبق	وحيدا أو تستوي الاقدام
قمت فردا بدولة المنصور	بالشعر حين عز القيام
بقواف تهز من أعجز الجيتس	الرسولي وهو جيش لهام

وفي هذه القصيدة اعتراف من شاعر لتاعر وقد أبانت عن كثير من حياة
ابن حمير على الرغم من ندرة المصادر التي ترجمت له فقد عرفنا أنه صاحب سيف
وقلم لا كما يوحى به شعره من تضرع واستعطاف لشيوخ القبائل وانه صاحب
ثروة ورخاء مادي بحيث يقصده الضيوف والاطفال والايام في كل يوم وانه
قام بجانب الشعر في أول الدولة الرسولية مع قلة الشعراء فأيد بهذا ما قلناه في
أول حديثنا عن ابن حمير من أنه أقدم شعراء الدولة الرسولية .. واذا عدنا
الى اعترافات الشعراء بفضل ابن حمير نجد الشاعر ابن سحبان وفيه شبه كبير من
ابن حمير يفضل على الشاعر ابن هتيمل فيقول :

أما فصائد فاسم بن هتيمل فمذاقها أحلى من الصهباء
هو شاعر في عصره فطن ولكن ابن حمير أسعر السعراء
شعره :

لابن حمير شعر كثير لكن أكثره قد ضاع من بين ماضع من تراث العصر
الرسولي والموجود من شعره لا يخرج عن دائرة المدح والثناء ، وبقاء هذا النوع
من قصائده يتصل أساسا بالأشخاص الذين مدحهم ورثاهم ، ومن المتبقي من
شعره نستطيع أن نكون رؤية صادقة لهذا الشعر فهو شعر يتميز بإشراق الديباجة¹
وقوة المعاني وجزالة اللفاظ وربما حاكى في ذلك أسلوب المتنبي إلا أن أثره
ضعيف علبه فيما عدا ذلك * * وابن حمير مقلد مغرق في التقليد حتى أنه ربما أمعن
في تقليد الشعر الجاهلي ، ويبدو أثر المدرسة العباسية جليا عليه * انظر الى
قصيدته في مدح المنصور عمر بن علي الرسولي فلا تجد فرقا بينها وبين قصائد
العصر العباسي في عصره الزاهر * يقول ابن حمير في قصيدته :

مالي حفظت العهد من أسمائي	وهوى ابنة البكري غير هوائي
ما رمت صاحبة سواها انما	أسماء حاولت البديل سوائي
أبدا أحوطه الهوى وأصونه	وتخون فانظر غدرها ووفائي
ميالة الاعطاف بل منهالة الا	رداف بل مهصومة الاحشاء
كالظبية الأدماء بل كالبانة الـ	ملداء بل كالرملة الوعساء
خلت الصباح على الاقاح وبردها	فبه قنا ونقا من الانقواء
لم يدر عن ليلي الطوبل وما بها	ما بي من الاشواق والبرحاء
كبد يحرقه النسيم بيرده	وأظالع طويت على الرمضاء
ولقد سئمت على الزمان تغبيبي	ومللت في أرض الهوان ثوائي
وأدرت طرفي في البلاد فلم أجد	حرا اذا أدعو يجيب دعائي
يا ركب بالجند الخصب وبارق	تهمي سحائبه صباح مساء
وبحصن (دملوة) المنيع ذماره	ملك تسمى أكرم الكرماء

ميلوا الى المنصور لا تتحدثوا
نادوا أبا الفتح الذي فتحت له
والهند والسند البعد ثناؤه
ذا ثالت العميرين هذا تالت
من حيت سار رأيت وابل عسجد
الله ملكه وليس بسالب
ما بال علوان نبحن كلابه
عن برمك وأبي عدي الطائي
(عدن) الدعاة وبكة البطحاء
فبهم وأيم الله خير نساء
الفريرين هذا أعظم العظماء
أو حيب صال رأيت بحر دماء
منه الذي أعطاه من نعماء
وعوى عوي الذئب في اليباء

ثم تمضي القصيدة في تمجيد الملك المنصور ومآثره .. ومديح ابن حمير
من هذا النمط حيث يسلك في ديباجته طريقة الشعراء الجاهليين من غزل وتشبيب
ثم يعود الى ممدوحه ويذكر مآثره وأعماله وربما أفادت هذه القصائد ناحية
تاريخية لم تتحدث عنها كتب التاريخ . وقد رأينا في آخر بيت أوردناه من
القصيدة اشارته الى حادثة تاريخيه وهي خلاف الملك المنصور مع الشيخ علوان
الجحدري السابق الذكر .. ونظرا لقيمة قصائد ابن حمير وندره وجودها في
المصادر سنحاول إيراد كثير من القطع الشعرية التي وصلتنا من شعر ابن حمير
.. يقول في قصيدة يمدح بها الشيخ الفضل بن مظفر بن مسعود السنجاني :

أغيب بقلب عنك ليس يغيب
وأبكي اذا غفى الحمام وحاله
يفرد فوق الايك والنوح ديدني
وفارق ليلي وهو ينظر إلفه
ولا حين لي لاموا على الحب قل لهم
يقولون لي تب هل بعد خمسين صبوة
رأيتني ليلي واليباض بعارضي
وهل هو الا لونها صبغت به
أطلت مقامي بالغوير فكان لي
وأهجر منك الربع وهو حبيب
وحالي شيء تأكل وطروب
قلوب بكت لما سررن قلوب
وما يتساوى أهل وغريب
كذا الناس قبلي مخطيء ومصيب
فقلت هل الشيخ الظريف يتوب
فصدت وانكار الشباب عجيب
ذوائب رأسي والفؤاد يذوب
بأشيخ مصر قبل ذا وخصيب

وكنت اذا ناديت يا فضل مرة
فقد مر بي عام وعام ولم أزر
حبست القوافي دون سيدها الذي
بجبت العطايا البيض منهن مثل
وحيث الجلال الضخم والرجل الذي
فلم يمس جاك الفضل نحت مذلة
وليس يقول الفضل للضيف ان غدا
ولكن هبات عن مظفر أسندت
وبيت سماح كالقناة تتابع
توارثه آل اليماني هكذا
وحل يميني الفضل ذاك جميعه
أتذكر (سنحان) مقامك بعدما
أثرت هناك الثأر يوما خصيصة
أمرت جياذ الخيل تمحو ديارهم
وقمت مقاما سر (راشد) في الثرا
فقد عاد بالشرق السباح كعهده
فأشيع ممنوع الذمار كعهده
نعم لا تغب يا فضل عنا ولا تزل
فكل مديح في سواك مضيع

أجاب فنى للهاطين يجيب
جوانب داك السوح وهو رحيب
لها في يديه منصب ونصيب
فسيح وطماح اللجام حبيب
تنادي العوادي باسمه فيجيب
ولا فاته منع هناك وطيب
ترحل فان الحبي منك قريب
قديما وفي ابن النجيب نجيب
كعوب على آثارهن كعوب
فأنجب شبان وأنجب شبيب
فما لجمال الدين قط ضريب
طلعت وقد وارى أخاك غروب
تسقن جيوبا عنده وقلوب
ففي كل دار ناعيان وذبيب
فطاب لهم نفسا وأنت تطيب
ولم يبق في وجه (السباح) قطوب
وبرت (خدار) للسماك نسيب
مقيما بخير ما أقام عسيب
وكل رجاء في سواك يخيب

في هذه القصيدة يشير الشاعر كعاداته في مدحه الى حادثة تاريخية وقعت
للممدوح وتتعلق بالثأر وأخذ الشيخ القصاص من قتلة أخيه الشيخ راشد *
ولا أدرري اذا كان الممدوح قد رحل من مدينته سنحان الى بلد آخر كما تشير
اليه أبيات ابن حمير أم مجرد تشبيه عادي * ومن مدائحه قصيدة في الشيخ محمد
ابن أبي بكر الحكمي المتوفى سنة ٦١٧ هـ أحد شيوخ التصوف في ذلك الوقت:

رأى البرق من نجد عشية رفرفا
وهجن له شوقا حمايم هتف
لقد كلفوه فوق ما يستطيعه
خليلي من سعد عفا الله ما مضى
أمتحسن عذلي اذ الورق لي شدا
وهل صاير دمعي اذا جاد دمه
فان امرأ الفيس بن حجر بعلمكم
وقيس بكى الاطعان يوم عبورها
وللناس أشجان فلو هان نازح
وما لمت قلبي يوم سار مسيرهم
وقد كنت أخفيت الهوى وشجونه
فيا بانه الروحاء نامي بغطفه
ولم تر عيني بعدهم حسنا يرى
أبوها فلم تأب الحنين اليهم
وما حيلتي فيهم وفي وكم كذا
ذكرت زمان ابن الحسين وكان لي
وعصر رفيق الخضر اذ كان فالذي

ومن مدائحه في الشيخ المذكور :

من مجيري من شبيه القمر
من عذيري من هوى ذي حور
لو رأيتم خده مهما بدا
لو شهدتم عطفه في ردفه
عامري أصله من عامر
سكنوا مني السوادين فهم

فأمسى عميد القلب حيران مدنفا
كشمن دفين الوجد حنى تكسفا
ولو قنعوا بالبعض مما به كفى
فلا تحدثا شرا جديدا وقد عفا
على البان من نجد أو البرق لي هفا
ذكرت بها إلها قديما ومألفا
دعا صاحبيه يوم سقط اللوى قفا
على جبلي نعمان حتى تلهفا
على فاقد لم يبك يعقوب يوسف
ولكن ألوم الجسم حين تخلفا
فأظهر هذا الدمع مني ما خفي
فعيني عنها قد نفى النوم ما نفا
ولم تلق نفسي عن هوى القوم مصرفا
جفوها فقلت با فديت على الجفا
أنوح على ربع وفي طلل عفا
بمعرفتيه قلة ومعرفا
أخا لأخ باق على حالة الصفا (الخ)

مايسا فوق الكتيب النضر
لحظة يفعل فعل القدر
لرأيتم أسمرا في أعفر
لرأيتم زهرا في نهر
دارهم بين الغضا والسمر
في فؤادي ان نأوا عن بصري

فالى كم أستهي واسهري
تنقضي في الاماني عمري
قل عن أهل الغضى مصطبري
قلت يا ركب عسى من خبر
وسقى الله الغضا من شجر
أغرقتهم قطرة من مطري
لجبرير مركض في أثري
مثل من ينحته من حجر
وخيار الليل وقت السحر
فامتداحي في رفيق الخضر
نار موسى في الدجا المنعكر
هو من حاج ومن معتمر
هو ظل الله فوق البشر

وأعاضوني بنومي سهرا
يا خليلي الى كم ذا وذا
كلما لاح بريق بالفضا
كلما عرض ركب بالحمى
فسقى الله قبابا بالغضا
بدعي الشعر رجال طالما
لا زهير فيه يقموني ولا
ليس من ينزفه من زاخر
أنا في القوم أخير أول
وإذا ما امدحوا أمثالهم
وعلى الطور (العواجي) أرى
لجناب الشيخ حجي بهذا
ذاك سر الله والقلب الذي

ومن شعره في مدح المنصور :

فاسمع شكايتها واسمع تجنيها
مني الفداء بروحي كنت أفديها
بلا أخ بكائي يوم فقديها
ما كان سرحة نعمان وواديها
أضم تلك وأملي في من فيها
زندي وسر قميصي في تراقيها
يا سعد ابن حدى الانضاء حاديها
والسحب حين غدت ودقا غواديها
لإلفهن حسبت الورق يعينها
تمضي على صلاتي لا أصلها

علي تعبت سعدى في تنائبها
فالت رضيت ببعدي عنك لو قبلوا
لم يبك بعقوب إذ جاء بنوه عشا
بيني وما بين سعدى شاهدين على
أيام كنا جميعا تحت ظلهمما
وفوق وجتها خدي ولبنتها
ثم افترقنا فما من تلك لي خبر
أسائل البرق عنها في ترفرفه
حتى الحمايم في الاغصان ان سجعت
بالله أقسم اني من تذكرها

يا ليت أن النوى يدني تباعدها
يا رائح السرق عندي حاجة ومعي
بلغ الى عمر شوقي وقص له
ما هبت الريح الا قتت أرسلها
وان مررت بقصر حله عمر
وشاهدي ثم ملكا حل أو ملكا
مولى التهايم مذ فارقت موحنة
ان القصائد في الدولات تحلية

ومن مدائحه في المظمر :

يا معلم الاجباب نعم المعلم
يا معلم الاجباب خبرني بهم
هم شرقوا في سيرهم أم غربوا
ما أنصفوني برقدون وساهر
وكل حالي إن وفوا أو إن جفوا
قالوا بكيت دما ونحن مدامعا
قالوا كتما الحب حين أذعته
ولو انني أخفيت حب رفاقتي
وأهالهم عرب اذا ما بارق
ما كان لي أسف على ترحالهم
يمشي به غصن ويقعده نقا
لم أنس قولهم بجرعاء الحمى
شاب ابن حمير وهو رب قصائد
ماذا يضر الباز شهبة لونه
أنا مادح الملك الرسولي الذي

أوليتها تسع الداعي فأدعيها
رساله فعسى عني تؤديها
توقى وعباك منهل مآقيها
يا ريح ان جزت في صنعا فحيها
فقبل الارض تعظيما وتنزيها
أدنى مواهبه الدنيا وما فيها
حتى القصائد قد ضاعت قوافيها
بمن أعزك لا أهملت أهلها

أترك عما في ضميري تعلم
أي المواطن من تهامة خيموا
أم أنجدوا في بينهم أم أنهم
طرفي وما كالساهرين النوم
لا أوحش الله المنازل منهم
قولوا لهم ما الدمع يشبهه الدم
من سره في خفية هل نكتم
نم السقام وفازع لا يسقم
شاموه حشوا للرحيل وأورموا
لولا غزال في الهودج أحوم
ويبين من تحت القناع ويظلم
والعيس تحدو والتلايص تنهم
عرب كواعب مثلها لا بنظم
وبما ترى افتخر الغراب الاسحم
يمنى يديه من السحاب أكرم

وخدمت منصور الملوك وبعده
سلمان هذا البيت لا متأخر
ولئن بكى عني الغوير وأهله
فتعز بل حب امام ركائبني
والخيل تصهل في المرباط حوله
ودروع داود اليه مضافة
ومن شعره :

ما ان ذكرت الزمن الأول لا
الا جرى دمعي حتى يرى
قد كنت أغليه فأرخصته
يا ذي التي ترنو بعين المهما
حسنك يكفيك حليا فلم
وشعرك الفتان يا تلك لم
وتغرك السلسال لم حرموا
قالوا هويت العيس من أجلهم
لأن فيه عادة طفلة
ما أتعب العذال يلحونني
لم تشرعي نهلك الا ثنى
وسيف الحاظك لا تنتضى
آه على عيش برمل الحمى
يا صاحبي رحلي كم ذا الكرى

أنا لابنه الملك المظفر أخدم
لي عن محبته ولا منقدم
وعدمت من فيه يزار فبنعم
وهناك يوسف والغناء ومغنم
هاتيك شيطنة وهذا شيطم
والبيض تلمع والرماح تقوم

وعصر ليلي والصبا المقبل
في كل خد واحد جدولا
والدهر قد يرخص ما قد غلا
كمثل ما يعطو نجيد الطلا
دملجك الصايغ بل خلخلا ؟
عشكه الماشط بل رجلا
علي ذاك البارد السلسلا
نعم وقصدي الهودج الأول لا
ترمي فتصبي مني المقتلا
فيكم ومن ذا يسمع العذلا
سنانه العسالة الديلا
إلا وأفني السبف والصيفلا
وهل مفيدي قول آه علا
ما تسمعان الديك قد جيعلا

ومن شعره وفيه اقتباس لبعض الآيات القرآنية :

لون الرياحين ولين العصون
وعاذلي في لومه عادلي
أرخصن مني كل دمع مصون
قلت لقد هونت ما لا يهون

وما فتور اللحظ الا فتون
(هيهات هيهات لما توعدن)
(لمثل ذا فليعمل العاملون)
ما لكم يا قوم لا تعشقون
وأهله عني لا يشعرون
ما ذا هوى يا قوم هذا جنون
قطع ذا أكبادنا بالعيون
وحاجبيه أقسمت الشجون؟
ونرجسا حوله نون ونون
اين استقل الحي والظاعنون
خانوا وما خلت مليحا يخون

يفتنني تقتير الحماظه
تقول عيناه لعشاقه
وردفه يقرىء من خلفه
ومنه فوق الخد سطر ترى
قلت وقد تمني حسنه
ما ذا جمال هذه فنة
يوسف ان قطع أيد فقد
ماذا يئاهد ردفه والحشى
تنظر نقا تهتز فيه قنا
يا رايد الحي بحديث لنا
هم أوحشوني بعد أنس وهم

ومن شعره :

والبرق يضحك أحيانا فيكيني
ما كان لي وسهام اللحظ ترميني
حييت فيك غزالا لا يحيني
فليت شعري من منه يداويني
وكان أهون من ذا الشيء يكفيني
عطشان لو سمح الساقى فيسقينى
هيفاء تلعب عطاها من اللبن
هذي الشرائب في حسن وتحسين
ورد الخدود ونفاح البسانين
عينيك عاد بعنيه يواسيني
ما بي وعناه مثلى ما يعنيني
وحاجب مثل قوس الترك مقرون

نوح الحمايم على الاغصان يشجيني
ما كان لي ولخوط البان أعشقه
يا دار زينب والدينا مفرقة
يا دار زينب بي داء أكنمه
أظهرنمو لي نكرا بعد معرفة
وقد أطلت عبوري حول داركم
عرضت في قنوات اللحظ عاسلة
ما دى العجائب ماهذي الذوائب ما
لذن القدود ورماني النهود الى
وعادل فيك لما ان وصفت له
بكيت حتى بكى مثلي وأحزبه
تبعته مثلما تيممني بهم

سبحان خالق هذا الخضر منجدلا جدل العنان وهذي أعين العين
ذا الشجر ذا الشعر هذا النحر هذبني ذا الخضر أخرجني والله من ديني
وشعر ابن حمير كله جيد وهو في الذروة من أدب العصر الرسولي عامة *

ابن هتيمل :

الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل ثاني الشعراء الكبار في العصر الرسولي
وخليفة ابن حمير وتلميذه وكان قد تعاصر معه وإن كان الأول قد تقدمه بسنوات
قليلة • وهو يعترف بفضل شيخه الأول فيقول :

أنا لولاك ما عرفت وما السيل بتيء في الأصل لولا الغمام
ويبدو أن ابن هتيمل كان صاحب ثقافة واسعة بجانب موهبته الشعرية
وربما استعمل في شعره بعض المصطلحات العلمية المتداولة عند علماء الكلام
والفقه ، كقوله :

يا صفقة الغبن غرتني جويرية فبعت قلبي منها (بيعة الغرر)
وكقوله :

عشقتك أبكار العلا فنكحتها طفلا وليس نكاحها (بشغار)

ولم تحدثنا المصادر عن حياته بأكثر مما حدثنا هو عن نفسه في شعره • • فمن
شعره نستطيع التعرف على أهله وأسرته • وكانت له زوجة يحبها جدا جماعت
أثناء الوضع فراثاها بالعديد من قصائده ، فمن ذلك قوله في أحداها :

بنفسي عصر يوم السبت شمس تبلج في جوانبها شهاب
من الخفريات يخفى الليل منها إذا ما جن ما لا يستراب

ومن شعره نعرف أن له ولد اسمه (سلطان) وله اخوة وأخوات الى غير
ذلك ولم تشر المصادر الى سنة ميلاده ووفاته إلا أن الباحث العقيلي يخمن أن
ميلاده في أوائل القرن السابع ووفاته نحو سنة ٦٩٦ هـ •

شعره :

تأصل شعر ابن هتيمل في التراث اليمني ومنهم من قلده وعارضه ومنهم من غناه في المجالس ولا أدل على ذلك من قصيدته الرائعة النني أولها :

أنا من ناظري عليك أغار وارر عني ما حال عنه الخمار
يا قضيبا من فضة يقطف النر جس من وجنتيه والجلنار
صن محياك بالنقاب والا نهته القلوب والابصار
من معيري قلبا صحيحا ولو طر فة عين إن كان قلباً يُعار
إنما العيس والهوى قبل أن ينجم ندي أو يدب عذار

وقد غناها في اليمن أكثر من مطرب وتفنن في تلحينها كبار الملحنين من القدماء ، وكان الشاعر الغنائي عبد الرحمن الآنسي المنوفي سنة ١٢٥٠ يشبه برقة قصائد ابن هتبسل وعدوبتها فيقول :

يضاهي قديما رقة ابن هتيمل على شرفاء المخلاف منه برود

وقد اشتهر شعر ابن هتيمل شهرة واسعة حتى أن النساء كن في عصره يحفظن ديوانه وكاد أن يعطي على شعر شيخه ابن حمير ولا نجد سببا لذلك سوى هذه الشاعرية القوية التي تميز بها أديبنا وكأنه أحس في نفسه هذه الموهبة فقال مخاطبا شيخه ابن حمير :

نحن سيفاً غمد وقد علم العا لم أنا ذو النون والصمام

فهو قد وضع نفسه في مصاف ابن حمير .

وكما هي عادة الشعراء في ذلك الوقت فقد اتصل بأكابر عصره لمدهم وكانت مدائح في أول الامر لأمرأى بلده من أشراف المخلاف السليماني ولم يتصل بملوك الدولة الرسولية الا في أواخر أيامه أو في سن الشيخوخة ونحن نستدل على ذلك من شعره حبت يقول متغزلا :

نأى عن لمتي البيضاء خضيبا وعرض اذ رأى شعري خضيبا

وقال أتجمع الأهواء فيما علمت بكونه رشاً ودياً
وأفسد ما طلبت له صلاحاً سوى جمع التبيية والمشيا

ويكثر ممدوحيه من أمراء المخلاف السليماني وملوك الدولة الرسولية
وكتابها ووزرائها وعلمائها ومدح الأئمة في الجبال وبعض شيوخ القبائل وربما
مدح الخصمين في آن واحد فأتى شعره متناقضاً مع نفسه فهو حين يعرض
بالمملك المظفر في قصيدة مدح بها خصمه الامير قاسم بن علي الذروي ويشير الى
قتل المظفر فيقول :

لم يكن يبلغ المظفر لولاك رؤوس صدرن من « خان داره »
نجدته يمدح المظفر بقصيدة يهنئه فيها بانتصاره على ممدوحه السابق الامير
قاسم بن علي الذروي •

وهو في كل مدائحه صاحب صنعة أدبية وثقافة واسعة وربما استغل كل ثقافة
الشاعر ليستعين بها في مدحه فهو مثلاً يركز على الناحية التاريخية فيشير الى حوادث
مشابهة لتلك التي يتحدث عنها ، فيقول في مدح الامير أحمد بن المتوكل صاحب
ظفار :

غير بدع إن أخلدت فرق الكف	ر الى زخرف الحياة اعترارا
قوم موسى من بعده اتخذوا العج	ل إلهاً واستعجلوه خوارا
وأصموا الآذان عن نهي هارو	ن وضلّت عن دين عيسى النصارى
ودعا نوح قوم نوح جهارا	فأصروا واستكبروا استكبارا الخ

وما فتئ يفاخر بشعره ، شعر كبار الادباء في العصور الزاهرة مما يدلنا على
كثرة مطالعته لدواوين الشعراء فهو قد قرأ ديوان البحري وأبي تمام بدليل
فوله في بيئته الآتية :

فدونك حرة الاعراق تحلو	بقلب حبلها بكرأ عروبا
نبرج ان نحجبت القوافي	ولم تخف الوليد ولا حبيبا

ويقول :

أتاك وان كنت الغني عن الذي يجيء بتوفيق الصناع المحيّر
من اللاء ما غنى الوليد بن بلبل بهن ولم يخلع على ابن مدير
فدل كل ذلك على شغفه بمطالعة دواوين الشعراء في العصور الزاهرة •
وربما استعمل شيئاً من الفلسفة وأبان عنها في شعره • فهو من رآيه التغرب
عن الاوطان فان صفو العيش لا يكون الا في الكد والاجتهاد ، فيقول:

تغرب فصفو العيش في كدر النوى وباعد فلولا البعد ما عشق القرب
ولا تكثرث ان ناب خطب فربما أتاك الرضا من حيث أعجزك الخطب
ويفلسف الحياة والشباب فيقول : إن صفو العيش وسعادته لا تكون الا في
فورة الشباب :

انما العيش والهوى قبل أن ينجم ثدي أو يدب عذار
وهذه فلسفة عادية لانجد فيها ما يلفت الانتباه وهي غاية ما يأتي من شعر
ابن هتيمل وربما أعار المجتمع والناس بعض اهتمامه فهو يصور فقر أهل بلده
وجوعهم فبقول انهم لا يعرفون من الجوع والفقر ما هو (القمح) فبقول :
وأغنيتني من معشر لو سألتهم عن القمح لم يدروا من العي ما القمح
وكان ابن هتيمل واحدا من أولئك الادباء الذين دعوا الى أخذ نصيبهم من
الحياه والتستع بمباهجها وربما وجدنا عنده ما يشبه المجون الذي عرف في أدب
العصر العباسي لكن هذا قليل جدا في شعر ابن هتيمل وأنت لا تكاد تظفر بشيء من
هذا الا في اعترافه القصير كقوله :

فقل للنفس ان طمعت جماحا تمادي في الغواية ثم توبي
ولا تستعري أبدا قنوطا فان الله غفار الذنوب

وكقوله :

العمر عارية فاغنم سرورك ما دام السرور له دول الحزن
تمضي الحياة كأن لم يكس لابسها عن بزة المهد الا بزة الكفن
وهذه نعمة نواسية سنجد ابن فليته من بعده يتوسع فيها ويدعو الى
الاستهتار جهارا *
ومع ذلك فان ابن هتيمل قد شرب الخمرة في شعره وتغنى في وصفها ودعا
الى شربها في قوله :

قم فبادر بها صياح الدجاج واسقنيها صرفا بغير مزاج
وأدرها كأنما القدح الدا ثر ملآن من نجيع الشجاج
بنت كرم تسعى بها بنت عشر لم تعالج بالماء أدنى علاج
صبغت زرقاة الزجاج الى أن صار لون السلاف لون الزجاج
ويقول إن أحلى ما في الحياة البكور بالكأس :

أحلى الحياة وأحلى العيش ما بكرت فيه الكؤوس على شرب وجلاس
وكما تفنن في وصف الخمر فانه تغزل في الساقى :

من كف أغيد في خديه مفسده من حمرة الورد أو من خضرة الآس
يرتج حقف النقا من تحت مؤزره عن قد أملد كالخروب مياس
وهذا الساقى يكون في الغالب فتاة جميلة يفتتن الشاعر في وصفها فيقول:

وساقية عقدت الحقف منها بخوط البانة اندمج اندماجا
وان قبلتها لم تلق الا مجاج النحل في فيها مجاجا
تظن الكف منها مشط عاج مقمعة البنان وليس عاجا

ومع ذلك فهو أحيانا يستعيز عن شرب الخمر بمواصلة الحبيب فيقول :
ومالي والمدامة وهي حجر ومفسدة وريقتك المدامة

والغزل مادة كبيرة في شعره ، وفي هذه المقاطع خير دليل على ما نقول :

تاب عن عذره سواد عذاره اذ إزار الشباب تحت إزاره
ورمته العيون فالنوم يخطو ه لإدبار ليله من نهاره
عوضته الايام بالمسك كافو را وعفت سفاهة بوقاره
يا لقومي كم لا يزال من الحب قتيلا لا تأخذون بشاره
ما دمي في طلا الرجال ولا عذ سد عزيز أطله بمغاره
في خصاص النقاب من فتن الأع ين من خصره من زناره
قمر أطلعتنه في فلك الأز رار أطواقه على أزراره
تقطف الورد بالنواظر من خديه بين احمراره واصفراره
وقد قلبي من وقد وجنته الغض ومن جلناره جل ناره

ومن شعره في الغزل:

يا ملبسي ثوب الغرام وسالبي بالحسن قلبي
خل سلبي
ما قلت قولاً لم أطعمه وهل دعوت فلم ألبى
دون صحبي
ما الفرق انك لم تحلل نهيم وتحلل نهبي
ايش ذنبي
أنا من وعيدك والوعود أحيص في صدق وكذب
فاحتفظ بي
الله حسبك في الذي زخرت من ملق وعتب
وهو حسب
بالله والشعر الاثيث والخصر الاقرب
لم شعبي

وأرح علي فما اصططيت من الايام يكفيك كربى
غير حبي
أوصيك يا ربح الجنوب اذا قضيت الآن نجبي
لا تهبي
لا تنفسي عذب البشام على غدير غير عذب
وله غير ذلك من الشعر الجيد في الغزل ولو أن ديوانه طبع وتداوله الناس
لأكثرنا من نقل شعره هنا •

ابن فليته :

لم يرج مذهب التهتك والمجون في الشعر اليمني فأنت لا تكاد تقف على
قصائد لشعراء اليمن في المجون كالتي عرفت عن أبي نواس وابن سكره الهاشمي
وغيرهما من شعراء العصر العباسي والمملوكي في مصر والشام • وإذا وجد
للشعراء في اليمن شيء من ذلك فهو لا يكاد يخرج عن دائرة الغزل البريء ووصف
الخمر والتغني بسقاته وندمانه ، وهو أمر لا يكاد يذكر بالنسبة لما للشعراء خارج
اليمن من تهتك واستهتار :

وعدم انتشار هذا النوع من الادب يعود في رأيي الى أمرين :

أولهما : عدم استساغة أدباء اليمن لأدب مدرسة البديع الرائجة في مصر
في ذلك الوقت ، ومن ثم لم يتأثر الادباء بأصحاب تلك المدرسة كالقاضي الفاضل
والعماد الاصفهاني وابن نباته الحفيد والصفدي ومن سار سيرهم بل نجد من
أدباء اليمن من لم يكتف بعدم مجاراتهم في طريقتهم وانما استهجنها كالاديب ابن
عبد المجيد اليماني الذي عاب مدرسة البديع وعلى الاخص مدرسة القاضي الفاضل
وفضل عليه صاحب (المثل السائر) •

وثانيهما : طبيعة البلاد العربية التي لا تشجع شيئاً من ذلك المجون ، وإذا
وجد هذا الشعر بينهم فانما يكون تداوله بخفية تامة وسرية ••

ومن هنا اختفى هذا الشعر في الأدب اليمني، فلا تكاد تظفر بشيء منه في أدب كبار الشعراء في العصر الرسولي فهو انعدم أو كاد في شعر ابن حمير وابن المقري وعبد الله بن جعفر وغيرهم ، وإذا كنا وجدنا لهم بعض القصائد الغلمانية فانها في عمومها لاتخرج عن نطاق الغزل البريء *

على أن الفضل يعود في وجود هذا الادب في العصر الرسولي الى الاديب أحمد بن محمد بن فليته الحكمي الذي استفاد كثيرا من نتاج الادباء المعاصرين له في مصر وقلدهم في كثير من طرقهم وربما احتك ببعض الادباء القادمين الى اليمن ومكة فحاول سلوك طرقهم ونجح في ذلك غاية النجاح *

وابن فليته ولد بنواحي زبيد وأحب زبيد حبا جما وله فيها نظم جميل من ذلك قوله :

زيد كل الجمال فيها وعندك العالم الخير
والنخل والبحر من زيد يفديهما الخوخ والصخور

وتولى للملك المجاهد كتابة الانشاء فقام بها خير قيام ورغم فصاحته وبلاغته فقد أتقن اللهجة العامية وقال النظم الحميني الدارج فنزل بالادب اليمني الى دائرة الشعب والناس وربما كان قد أتى استعماله للعامية لأسباب تتعلق ببعض المماليك الذين قدموا الى اليمن مع الدولة الايوبية والرسولية وهم غالبا من ذوي الثقافات المحدودة فكانوا يجدون مشقة كبيرة في فهم أسرار اللغة العربية الفصحى فأتمى نظم ابن فليته عاميا لينفهمه أولئك الامراء ..

وقد أهمله ميله وثقافته الادبية أن يحدث في الادب اليمني بعض التجديدات غير المألوفة عليه ، وكان من نصيبه أن فتح باب المجون والاستهتار بشكل واسع حتى أنه أفرد الاتصال الجنسي بمؤلف مستقل هو كتابه « رشد اللبيب الى معاشره الحبيب » وهو مقسم على فصول كلها في اثاره الفرائز الجنسية * وقد ترك هذا الجانب ظله حتى على شعره فلا تكاد تسلم قصيدة من ذكر المعاشرة

العادية والشاذة ولولا خشية الخروج عن قواعد الاخلاق لأوردنا الكثير من هذا الشعر الماجن .

وكان ابن فليته أثيراً عند الملك المؤيد لتلك الخاصية التي تميز بها أدبه حتى إنه جعله من جلسائه، وما كان ابن فليته يستطيع التوسع في ذلك الادب المكتوف، لولا أنه لقي ميلا كبيرا الى نظمه من ذلك الملك ، وقد ساعده على قوله طبيعته الحضارية وثقافته الواسعة وكان قد استفاد من شعراء الموشح في مصر ليحدث هذا الفن في الادب اليمني فاستحق بذلك فضل السبق والريادة ، وكان قد عاصر جماعة من شعراء الموشح في مصر والشام كالاديب شرف الدين بن أسد المتوفي سنة ٧٣٨ والاديب ابراهيم المعمار المتوفي سنة ٧٤٩ وغيرهما . . فما كان من ابن فليته الا أن استفاد من هؤلاء الادباء في ادخال هذا النظم الى الشعر اليمني . وقد وصف الخزرجي ديوان ابن فليته انه اشتمل على ألوان من الشعر لم تكن معهودة بين الادباء وهي غير شعره الفصيح كالدوبيت والحلاوي والموشحات والبال بال والساحليات والحمينيات وهذه ألوان من الشعر الشعبي بعضها ينسب الى خارج اليمن كالدوبيت الذي انتشر في العراق والشام والموشح الذي يعود الفضل في ابتكاره الى أهل الاندلس . أما الحلاوي فلم أقف له على أصل . . وأغلب الظن أن هذه الانماط من الشعر لم تستحدث الا لغرض الفن الموسيقي الذي لقي اقبالا كبيرا بعد احتضان الصوفية له وتناولوه على شكل سماع ورقصات تقام داخل المساجد حتى إن بعض الصوفية غنى في سماعه موشحة عبادة القزاز الاندلسي التي أولها :

بدر تم شمس ضحى
غصن نقا مسك شم

فحولوها الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتركت هذه الانماط من الشعر ظلها على سائر الفنون الغنائية حتى أن نظم (البال بال) بقي يغنى على أغلب الظن فيما يعرف (بالبالية) وهو نوع من أنواع الحداء . ويقول الاستاذ

زغلول أن « الموسحات تصنع ليتغنى بها وغالبا ما يكون الوشاح مغنيا أو عالما بالموسبقا أو عازفا على آلة من آلاتها ، ويراعي في بنائها أن يكون طبيعة اللحن تقبل مايدخله عليها الموسيقي من فنون النغم » •• ومن هنا تأتي الصلة بين هذا النوع من الشعر والفن الموسيقي •

ويتضح لنا من هذا أن ابن فلبه كان صاحب حسّ موسيقي ، ولعله احترف الغناء كما هو الحال عند كثير من شعراء اليمن •

توفي سنة ٧٣١ وقيل سنة ٧٣٣ هـ •

شعره :

أشعاره كثيرة جمع أغلبها في حياته وبقيت مجاميع مه لا تشمل كل ماله من شعر •• فهو شاعر منتج مكثر في إنتاجه • وقد اتسم بالسهولة والرشاقة والرقّة شأنه في ذلك شأن شعراء المولدين في العصر العباسي •• ولاشك أنه قرأ نتاجهم بل وربما قرأ لبعض شعراء الاندلس كابن هاني وابن زيدون وابن عباد ووقفت له على قصيدة عارض فيها قصيدة الحصري القبرواني التي أولها :

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

فقال ابن فليته :

رشاً بالهجر تهدده	يسهرني الليل ويرقده
كالبدر تلوح محاسنه	ذهبي الخد مورده
أبكاني الحب وأضحكه	فبحكم الحب علت يده
كنظيم اللؤلؤ مبسمه	حلو صافيه مبدده
يحمي رشقات مراشفه	سيف في اللحظ يجرده
تدنيه الرأفة منه إليّ	وتيه الحسن يبعده
نصب الاشراك بمقتله	وقلوب الناس تصيده
سفكت ظلما عيناه دمي	والحسن علي يؤيده

وتضرجت الوجنات به	بشهدن عليه ويججده
أتمنى النوم لبطرقني	طيف والدمع يترده
ما للحساد وما لشج	جمعت للمحنة حسده
تجري الاسواق مدامعه	ويذيب القلب تنهده
أمر اللاحى بتجلده	مسكين أين تجلده
يدعو بالصبر فيخذه	وشؤون المقلة تنجده
محزون القلب نحبل الجسم	قريح الجفن مسهده
يمسي والنجم بسايره	حنى الاصباح وبشهده
حنت الزفرات أضالعه	وبكى لبكاه معنده
أترجى الوعد فيسبقني	من دون الوعد توعدده
كيف السلوان وفي يده	قلبي يغويه ويرشده

والقصيدة رائعة دلت على تذوق الشاعر ابن فليته لعيون القصائد الشعرية
في الادب العربي ومجاراته للاتاج الادبي في تلك البلاد العربية ♦♦

وتتجلى تفحات الشعر العباسي واضحة في شعره عندما نلمس تحسس
ذلك النفس النواصي وتقليده لأبى نواس حتى في توبنه من المجون والاستهتار
كقوله :

ثم لا أظهر ما كان وقد نظر الله إلينا وستر
ان رأى الناس قبيحا فضحوا واذا ما استغفروا الله غفر
استقبل الله مني عشرة يعظيهم العفو ان عبدا عثر

ويشير جامع ديوانه الى هذه الناحية في شعره فيقول : « ذهب في الشعر كل
مذهب فأبدع من نظمه وأعرب وسلكت بعض من أشعاره طريق المجون والخلاعة
وكان مع ذلك يكثر من استغفاره وصلاته ويصلح فيما بينه وبين الله سبحانه وتعالى » ♦
ويجلى مجونه في قصائده الغزلية وربما اعترف بذلك ونهى لوالده عن لومه :

يلوموني على طول التصابي وفتحي في الخلاعة كل باب
وإتباعي اصطحابي واغتبائي بصرف الراح كالذهب المذاب

وله في الغزل قصائد جيدة منها قصدته التي أولها :

يا فائر اللحظ فاتن الشنب ما لجفائك المحب من سبب
ان كان كذبا من الوُساة فما يحسن هجر المحب بالكذب
او كان منك الصدود من لعب فمن أجل النفوس باللعب
الحب مني على الجفا عجب والهجر لي منك أعجب العجب
يا نائما عن سهاد عاشقة أتعبتني واسترحت من تعب
يا من له في مساءتي أرب مالي سوى ما تريد من أرب

وله في المجون طريقة عجيبة كقوله :

بكن غضبا من قبلة نلت به فقلت له : إقتصّ مني بها عشرا
فأومى الى التقبيل لي وهو مغضب يشد على الرأس ليأخذها قهرا
فظلت نهاري كله في التنامه فبغضب بالاولى وأرضيه بالاخري
ويصور مجالس لهوه فيقول :

كم ليلة قد زهت للروض بن بها لفرصة اللهو واللذات منتهزا
ثاني الحبيب وكاس الراح ثالثه والوعد بعد طويل المثل قد نجزا
والغيم يلبس مني الجو حليته والبرق يحكم في أننائها الطرزا
حتى تلالأ ضوء الصبح مبتسما كأنه ملك في التاج قد برزا
ويحدثنا عن غزله وعشقه فيقول :

كفاك ان المنام محتبس عن ناظري والفؤاد مخلص
ومهجة لا تزال والهمة كأنها بالغرام تفترس
لم يبق لي في الحياة من سبب الا وميض اللحاظ والنفس
تجاوز الهجر منتهى جلدي فهل لديك الوصال يلتمس

ومن أرق غزلياته هذه القصيدة النبي مدح بها الملك المجاهد:

فونبر المقلّة حلو المزاح	أتعبني في حبه واستراح
ظويلم يظلم عشاقه	ولا يرى في ظلمهم من جناح
والله ما يسلب ألبابنا	الا العيون الفاترات الملاح
أو القدود السمر مثل القنا	أو الثغور الببض مثل الاقاح
قد ملكت قلبي أيدي الهوى	حتى استباحته منه ما لا يباح

وأبداع ابن فليته في جانب آخر من الشعر قلما يجاريه شاعر يمني فيه وهو وصفه للخمر ومجالسه وسقائه وندمائه الى غير ذلك ، حتى أصبح بهذا خليفة أبي نواس في الشعر اليمني بحق وحقيق .. انظر الى هذه الخسرية ليتضح لك صدق ما نقول :

ساقٍ ألم بنا وقد هجم الدجى	فأطار عن عيني لذاذة غمضها
يسعى الي بكأسه مستهديا	ان ظل في جنح الظلام بومضها
وافى بها فغضضت عيني هية	من لمعها لا رغبة في غمضها
تخفي زجاجتها فما يدري الذكي	مصمرها في اللون من مبيضها
في ليلة لم أدر هل لنجومها	حكم الفضيلة أم لأسحهم أرضها
بالله لا عبثت يدك بمزجها	فاذا فعلت فبعضها من بعضها

ويعيب على لائمه في شربها وصدده عنها فيحاوره حتى يغريه بشربها :

ولا بادىء باللوم والكأس في يدي	وقد كاد ضوء الصبح ان ينتفسا
وقد ثرت كاس الشمول مسرة	علي ومتن الروض زهرا قد اكتسى
فقلت له لا تدمم الراح انها	دواء تخلصنا به من يد المسا
فأصغى الى قولتي وذم ملامه	ولم يرض حتى أن سقيناه أكؤسا

وكما أبداع شعراء العصر العباسي في وصف الرياض نجد ابن فليته يجاريهم في هذا المضمار وهو شاعر يعجب بالطبيعة الشائرة فكثيرا ما يصور تلك الرياض

وقد لبلد جوها بالغبوم وهطلت سساؤها بالامطار الغزيرة :

منية النفس وغابات الوطر	مجلس في يوم غيم ومطر
وسماع من قيان جاوبت	نغم الاصوات منهن الوتر
جمع اللهو ولذات الهوى	يستلذ السمع فيها والبصر
وشراب من مدام عنقت	ألفت ما بين أثني وذكر
أترفت منها نهود فهي كال	غصن في أول إخراج الثمر
حلو الاخلاق والخلق لها	كل راب وخصر مختصر
قد تجزأ الحسن في أجزاءها	فهي (...) وقضبب وقمر
فتن الشيطان في مقلتها	مارآها ذو التقى الا فجر
أو نقي الخد مهصوم الحشا	فانر المقلة سحار النظر
سلب الشيطان مني عفني	بملاهيته فغابت وحضر
ثم أمسيت مطيعا أمره	لست أعصي ان نهاني أو أمر

فهذه المقطوعة التي جمعت بين الغناء والخمر والغزل نجده يستفتحها بأمنية واحدة هي مجلس في يوم غيم ومطر • ويعود الى هذه الامنية في روضيه أخرى فيقول :

رداء الروض طرزه السحاب	وجاد ضواحك روضه الزهر الرباب
ومالت في غلائلها غصون	عليها من شقائقها تياب
يميل بها النسيم كأنها من	ترنحها يميل بها الشراب
فخذ من لذة الدنيا نصيب	فآخر لذة الدنيا ذهاب
وداو الاكتساب بكأس راح	اذا ما خامر القلب اكتساب
مروقة معتقة سُمول	لها في كأس شاربها التهاب
فخذها من يدي قمر منير	كساه ثياب رونقه الشباب
كأن الراح في يده عقيق	جری في الكأس أو ذهب مذاق
فهذا العيش ليس هوى سليمي	وتفنيد العواذل والعتاب

فهو يقحم دائماً في روضياته ذكر الخمر وسرابها وكأنها جزء لا ينفجراً من
نزهاته المنعددة في الرياض والطبيعة الساحرة • ومع ذلك فإن حياة ابن فليته
ليست كلها لهو ومجون • وفي شعره ينجلى لنا أنه شخص مارس الناس واختبرهم
وربما صور بعضهم في هجاء مقذع فقال :

فكر لنفسك انى معك مفكر	فما وجدت لعجب فيك من سبب
فلا بأصل ولا فرع ولا كرم	ولا بدين ولا علم ولا أدب
ولا عفاف ولا فضل يزان به	ولا مقام غدا في أرفع الرتب
ولا بحلم ولا رأي ولا رشد	ولا اتكال على فعل ولا نسب
ولا بفخر قديم يستدل به	ولا حديث ولا غفل ولا حسب
ولا بنفس الى العلياء سامية	ولا اذا ذكر الآباء قلت أبي
وكل فخر ك هز المنكين وما	ترخيه من طرف العرض على العقب
فأنت كالديك نجس الرأس منتنه	وفيه زهو بريشات على الذنب

ومن فلسفته في الحياة النهي عن الحلم :

ولا يحمدن الحلم في كل حالة	ففي الحلم أقناد لمن لا يعاقب
اذا كنت في كل الامور معولا	على الحلم من يدري بأنك عايب
ولهم° تنتقى البيض الصوارم والقنا	ولهم° يثقتنى الخيل العتاق الشواذب
ومن لم يخف رقتش الثعابين بطشه	وجرأته دبت عليه العقارب
إذا المرء من أعداه لم يشف نفسه	فما نفعه ان قام للشار طالب

البرعي :

هذا الشاعر انتشر شعره بين أيدي الناس من الادباء وغيرهم حتى أصبح
تداوله أقرب الى الابتذال منه الى الشهرة المعروفة عند الادباء ويكثر شعره خاصة
بين أيدي العوام والصوفية ذوي المزاج الديني القوي وربما تنوّل بين قوافل
الحجيج قبل ظهور السيارات والطائرات • ويقول الزبيدي إن ديوانه صغير
الحجم مشهور بين أيدي الناس •

وهذا الشاعر بالرغم من شهرته الواسعة فإن ترجمه تكاد تكون مجهولة وقد تخبط في تاريخ حياته كل من أرخ له فزعم صاحب معجم المطبوعات أنه من أهل القرن السادس وسار على هذا الخطأ جرجي زيدان وبروكلمان والنبهاني وخمن الخفاجي حياته في القرن الثامن أو العاشر • والخبر اليقين نجده عند المؤرخ البريهي الذي انفرد بترجمته من بين سائر المؤرخين في اليمن • • فقد ذكر أن اسمه عبد الرحمن بن علي المهاجري البرعي وبلده النياتين وكان يسكنها الى أن توفي وقرأ الفقه والنحو على جماعة من علماء وقته فلما تأهل للتدريس والفتوى أتاه الطلبة من كل جانب فدرس وأفى واشتهر بالعلم والعمل وله مدائح في النبي صلى الله عليه وسلم • توفي سنة ٨٠٣ • وهذه الترجمة نقلها عن البريهي المؤرخ زباره في ملحق البر الطالع • فأفادتنا ترجمة البريهي للبرعي مسائل مهمة عن حياته أهمها تحديد سنة وفاته وما ذكره قريب للواقع ، حيث أن البرعي مدح أشخاصا متأخرين من أهل القرن الثامن كالشبيخ أحمد بن أبي بكر الرداد المتوفى سنة ٨٢١ والشيخ عمر بن محمد العرابي المتوفى سنة ٨٢٧ وغيرهما وهو الشاعر الوحيد في العصر الرسولي الذين لم يقصد الملوك والرؤساء لمدحهم ولم يتكسب بشعره في أغلب الاحيان على الرغم من أنه مدح جماعة من أعيان العلماء والصوفية • • وربما احتاج الى المال فمال بشعره الى بعض الاثرياء من غير المتصلين بالدولة، فأنت تجده في شعره يصرح بعائلته الكبيرة وفقره فيقول :

كهل كبير وأطفال وحاشية لا يقدرّون على التحويل والنقل

ويقول :

أما تراني لأطفال صغار أبوهم من من محلّتهم طريد
يسر العيد بالصبيان لهوا ولبس لهم مع الصبيان عيد

ويعلن عن فقره وافلاسه بما هو أكثر صراحة من ذلك فيقول :

فقر وافلاس ودهر خائن وهموم عائلة وضيق مكان

وعظيم دين لا يقوم بحمله رضوى ولا الصخرات من نهلات
وسمعت من أم العيال تواعدا وتهددا ما كان في حسابي
رجب وشعبان قطعت مداهما صبرا وعز الصبر في رمضان
فبحق حقلك برني وأمدني بعوارف وعواطف وحنان

ويبدو أن البرعي أصيب بكثرة الاولاد في آخر عمره والا فهو الذي
يتحسر على فقد أولاده ويكيهم بمرارة الذي يقول عند وداع طفليه :

من لي بطفلين من خلفي كأنهما زغب القطا إذ عَدَّ من الماء والشجرا
فارقت ريحاتي قلبي وما رضيت نفسي الفراق ولا اخترت النوى بطرا
ويقول عند مرض أحدهم :

أبُنيّ دونك عبرتي وتنهدي كمدا عليك فكم أعيد وابتدي

ولهذا السبب تكسب بشعره عند أعيان عصره من العلماء والتجار ودلت
قصائده أنه كان يرحل اليهم من أماكن بعيدة ، وقد أشار في احداها الى غربته
مخلفا ببلده وأولاده فقال :

أيا سيدي شهر كريم وغربة ودين آقاسيه ولست به جلدا
وغيبة أطفال وبعد منازل واخوان صدق ذبت من أجلهم فقدا
ففضّ لباناتي ونجّح مطالبني وما اسطعت من بر فلا تألني جهدا

وقصد الشيخ عثمان بن أحمد الاهل فقال يعرض عليه مطالبه :

يا سبدي يا عفيف الدين جئتكَ في حوائج أغفلت والدهر يقطان
فرش جناحي يبذل المكرمات وصل جبلي فإني الى نعماك غرثان^(١)
فاسمح بعارفة ييضاء تنعشني فما يساميك بالاحسان انسان
واكس الاديب من البز النفيس ولا تردد لبيد القوافي وهو عريان

(١) جائع .

وهو بصرح بعدم نجاحه عند مداحه فبول إنه تاجر بالشعر فخر :
يا أيها الوالد البر الشفيق أجب عن كل من زاده التذكير نسيانا
تاجرت بالشعر أبغي الربح فانعكست حالي علي فعاد الربح خسرانا

والمهم أن الشاعر البرعي رجل مارس الحياة فلم يكن من ذوي التزلف والغرور وهو صاحب استقامة خلقية جعلته ينزل الى الفقر والافلاس على عكس من عاصرهم من الادباء الذين جعلوا من مسابرة الملوك والرؤساء وسيلة للتجارة الفكرية ، وفوق ذلك فإن البرعي صاحب خصوم وأعداء فهو يتكلم منهم كثيرا ويدعو عليهم أحيانا •

شعره :

تميز شعره بجيشان العاطفة وقوة الاسلوب وان كانت معانيه في الشعر قليلة جدا فهو صورة متكررة من صور العصر الرسولي حيث يكثر اغراقهم في التقليد والمحاكاة لشعراء العصر الذهبي في الاسلام ، وأنت تجد أثر المتنبى على البرعي في أغلب قصائده وربما قلده تقليدا سافرا في قوله :

الصالح البدل ابن الصالح البدل ابن الصالح البدل •

ومع ذلك ربما ادعى عدم انتمائه الى مدرسة معينة في الشعر فقال :

أنا في تأليف قافيتي غير مختار الى فئة

ولكن هذا بعيد عن الواقع ، فشعره كله محاكاة لمن تقدمه فهو حتى في تركيب قصائده مقلد مغرق في التقليد ، وربما سار في مقدمات قصائده على طريقة الجاهليين من التشبيب بالنساء ووصفهن بالصور المعتادة في شعرهم • ففي غزله نجد مادة كبيرة من تلك التشبيهات المعتادة المتكررة حتى أنه يستعمل تلك المواضع والاسماء التي استعملوها في شعرهم كقوله مثلا :

وفي غزله نلمس تلك اللوعة والحرقه ، وهذا نابع أساسا من طبيعة في الشاعر

تميل به الى التأثر السريع :

أتأمرني بالصبر والطبع أغلب وتعجب من حالي وحالك أعجب
وتطلب مني سلوة عن ربائب وراهن أرواح المحبين تطلب
فما قرّ لي دمع ولا كف مدمع ولا طاب لي عيش ولا لذة مشرب
وهو من الداعين الى التصبر في الحب واستعباده :

لاقيت يا نفس حقا ما حكى الحاكي فامضي لسألك اني لست ألك
واستعذبي غصص التعذيب راضية وحكمي الحب عل الحب يرعاك
واستتظري فرص الايام عائدة واستعملي الصبر وارعي ترك شكواك
عساك ان مت في ذكراك مت على شهادة الحق حيث الحق يلقاك
وفي هذه القصيدة يبدع في تصوير الايام الخوالي التي مضت مع محبوبته :

أيام ليلي بوادي (السدر) نازلة مقيمة خدرها المضروب يملك
والعيتس أخضر والايام مشرقة وعين رب الهوى العذري ترعاك
ونظرة جلبت حتمي فليس لها شاك لأنني أنا المتسكو والشاكي
تم يخاطب الحبيبة فيقول :

ردي بقية روح فات من رمق يا شمس حسن بدت من برج شباك
وارثي لقلبي بما في سحر عينك من جبائل مرصديات لي وأشراك
وبين سفح جياذ فالمسيل الى دار الامير عروس نورها زاكي
سحارة الطرف ترمي من لواظها حب القلوب يا حياء وإهلاك
خذي بحقك من عينيك لي خفرا حتفا فعائقتي عيناك عيناك
وساعديني على التفصيل مغتتما فما ألك تقبلا وأحلاك
فكم وديعة شوق لي اليك مضت قد كنت يوم النوى أودعتها فاك

وبهذه السلاسة والمناة يمضي شعر البرعي ♦

مديحه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

ومع ذلك فإن شهرة شعر البرعي لم تقم على غزله وتقننه في النظم وانما عرفه الناس كمادح للرسول صلى الله عليه وآله وسلم . وتميز شعره بهذه الناحية حتى كان بحق شاعر المديح في عصر بني رسول ، وان كان هذا العصر قد عرف جماعة من مداح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، كالشاعر عبد الله بن جعفر والشاعر ابن هتيمل وابن المقرئ إلا أنهم من شعراء القصيدة الواحدة أو الاثنتين، ولم ينظموا أكثر من ذلك بخلاف البرعي الذي حصر شعره في مدح الرسول والتغني بمزاياه سالكا في ذلك نهج من سبقه من شعراء المديح النبوي وكان هذا الشعر قد لقي حظوة كبيرة في العصور التي سبقت زمن البرعي وخاصة في عصر المماليك في مصر والشام وكان أشهر من نبغ في ذلك الوقت البوصيري وعائشة الباعونية وغيرهما .

ويبدو لي أن سر تولع البرعي بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم يعود في ذاته الى حادثة شخصية وقعت للبرعي حيث أنه عزم للحج مع جماعة من أصحابه وأتم مناسك الحج ، ثم لم يتأت له زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة لمشقة الرحلة في ذلك الوقت حيث لا توجد طائرات أو سيارات وانما راحل هزيلة فكان لعدم زيارته ضريح الرسول أثراً بالغاً في نفسه ، وهو ما فتىء يردد هذا الحدث في أكثر شعره . يقول بعد أن يصف حجه وقضائه المناسك :

حجوا فراحوا يزورون ابن آمنة وعدت في الفرقة الجافين منتظرا
عسى لطائف ربي أن تبلغني قبرا يقر بعيني زانه نظرا
ويقول :

يا سيدي أنا من علمت اذا بنى حصل الذنوب وجور دهر نابي
لو لم يكن لي اذ حججت ولم أزر إلا فناءك وحده لكفى بي
ويقول في موضع ثالث :

وجفائك اذ زار الرفاق ولم يزر ما يستطيع يرد أمرا مبرما

وفي موضع رابع :

حججت ولم أزرك لسوء حظي وعبد السوء يعتاد الإباقا
فأثار عدم تمكنه من زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم شوقه الشديد إليه
صلى الله عليه وسلم وأثار مكان من العاطفة الدينية فيه وخاصة وأن شاعرنا صاحب
مزاج عاطفي شديد فكان أن قال الشعر الجيد في مدحه حتى أصبح علما عليه .
وهو يشير الى مدحه للرسول ويعتز بذلك مخالفا نهج شعراء عصره فيقول:

إذا مدح الشعراء أرباب عصرهم مدحت الذي من نوره الكون أبهج
وان ذكروا ليلى ولبنى فأنسي بذكر الحبيب الطيب الذكر ألهج
ويقول أنه لم يستفزه في مدح أحد من الناس مال أو منصب .

لا بعت شعرا نفيسا بالخييس ولو هلكت جوعا ففلاشعار أسعار
ولا تعاظمي في مدح منصبهم مال ودار ودينار وقنطار
فهو شاعر صاحب رسالة ومنهج . وقد أولع بمدح الرسول صلى الله عليه
وسلم وكان أكثر استمداده في مدحه له صلى الله عليه وسلم من سيرته العطرة
فجانب ما يصاحب قصائده في المديح من تغزل بجماله وتغنى بعظمته وأخلاقه
نجدته يشير الى وقائعه مع المشركين ومعجزاته ونبوته الى غير ذلك . فهو يشير
الى معاندة قريش له صلى الله عليه وسلم فيقول :

كم عاندته قريش وهي عالمة بأنه خير من فوق الثرى بشرا
وكم رعى بالتعني حق حرمتهم منابعا فيهم التحذير والنذرا
يلقى المسيئين بالحسنى كعاداته ويوسع المذنبين العفو مقتدرا
لما دعا واعظا صموا فخالطهم بالسيف بأسأقلبوا السيف إذ شهرا

ثم يشير الى جهاد الكفار :

وسن غارته في كل ناحية وقام لله والاسلام منتصرا

بفتنة من قرئش الابطحبن ومن أبناء قيلة أهل الدار أسد شرى
وبشير الى معجزاته :

لئن كان ابراهيم خص بخلة فهذا نبي أوتي القرب والحب
وان كان فوق الطور موسى مكلما فأحمد جاز السبع واخترق الشهباء
وان فجر الينبوع موسى من الصفا فأحمد أروى من أنامله الركبا
وان كلم الاموات عيسى بن مريم فأحمد في يمناه سبحت الحصباء
وبشير الى معجازه صلى الله عليه وسلم :

كفته كرامة المعراج فضلا بها في القرب ساد الانبياء
سرى من مكة ببراق عز لأقصى مسجد وعلا السماء
مفتحة له الابواب منها يجاوزها الى العرش ارتقاء
فسربه الملائكة ابتهاجا وصلى خلفه الرسل اقتداء
وكلم ربه من قاب قوس وألهم في تحينه الثناء
وشعره في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم كله جيد فلا غرابة اذا اشهر
تلك النهرة الواسعة لبس في اليمن وحسب بل في سائر أنحاء العالم الاسلامي .

ابن المقرئ :

خاتمة الشعراء في عصر بني رسول هو الشاعر اسماعيل بن أبي بكر بن
المقرئ شاعر الفقهاء وفقهاء الشعراء بل وشاعر الشعراء قاطبة .
ولد الشاعر اسماعيل بن أبي بكر بن المقرئ بأبيات حسين سنة ٧٥٥ وتفق
بها على يد الفقيه حسين بن علي الهاملي ثم دخل زبيد فأكمل علومه على يد الفقيه
جمال الدين الريمي وهو الذي رثاه عند موته بقصيدة أوردناها فيما سبق . ثم
اتصل بالملك الاشرف ومدحه بقصائد جيدة فأثابه ووهب له بينا بكافة مرافقه
والى ذلك يشير ابن المقرئ في قصيدة مخاطبا فيها حفيده الملك الظاهر يحيى :
بيت بناء لي المهد منعا وأطال فيه بترتي وسروري

وعندما آل هذا البيت الى السقوط في عهد الظاهر شكى اليه ابن المقرئ
حالته فقال :

ونزلت من أعلى لأسفل روعة يا وحشتاه لمنزلي المعمور
فقام بتجديده وعمارته فما كان من ابن المقرئ الا أن شكره بقصيده
يقول فيها :

لقد نال دارى منك يا ملك الورى من الفضل شيئاً لم أكن نلته منك
لأنك يا يحيى أعدت شبابيه وقد دكت الايام أركانه دكا
وأما شبابي لم يعد بل أعدت لي شبيهة نفسي فهي كالعهد بل أذكى
وفي عهد الاشراف تولى ابن المقرئ أمر بعض البلاد الشمالية «الشامية»
وتولى أعمال مور ، وولي في عهد الناصر التدريس بالمدرسة الاشرفية بتعز وكان
ابن المقرئ يطمح في تولي قضاء اليمن العام، فلم يتأت له ذلك ، بل إنه أخرسفارته
الى مصر بعد ترشيحه لها بغية الحصول على هذا المنصب بعد وفاة متوليه مجد
الدين الفيروز ابادي •

ويبدو أن ابن المقرئ اشتغل بالتجارة قبل اتصاله بملوك الدولة الرسولية
بدليل شعره الذي يقول فيه مخاطباً الملك الاشرف وينرح قصته مع التجارة
وخسارته فيها :

كلما رمت شرح حالي اليكم حرت بين الوقوف والاقدام
فرجاء يحثني من ورائي وجلال يقوم من قدامي
فاستمع شرح قصتي وأعثنى يا غياث الورى وغيوث الأنام
كنت بالربح والتجارة مغرى ترتمي بي الى بعيد المرام
فغشيت البلاد برا وبحرا أطلب الربح قد شددت حزامي
ثم لما جمعت ما يسر الله من المال بعد طول هيامي ساقني الله نحو أرض زييد
ودعني كواذب الاوهام

فأقامت تجارتي في كساد واستمرت غرامني في الغرام
ما انقضى لي هناك حولين الا وقد احترت في ارتباد الطعام
وقد ادّنت فوق الفين نقدا واذا بالخصوم تبغي خصامي
جئتم هاربا ففرجتم الكرب وذدتم حوادث الأيام
واستقامت حالتي وزادت نموا فلك الشكر با شريف المقام

تلك قصته مع التجارة وفشله فيها ولم يعاود ابن المقري اشتغاله بها واكتفى بالاتصال بملوك الدولة الرسولية ونشر العلم والتدريس ، وكان له بالاتصال مع الرسولين تجارة وأي تجارة ، فقد أغنوه بعد فقر مدقع ورفعوا اسمه بعد خمول مزر فكان الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل يهب له على كل بيت قاله في قصيدة له في مدحه ألف دينار حتى إنه عجز عن تسديدها دفعة واحدة فتعهد في الباقي .

وابن المقري يعترف بفضل ملوك الدولة الرسولية عليه فبقول مخاطبا الاشرف ومتحدثا بفضل عليه :

خدمته فتولاني برحمته فكنت في بابه ابنا وكان أبا
وصير العلم لي شغلا وكلفني حلا لرمز وتسهيلا لما صعبا
وكان بحثي على مقدار همته حتى ملكت صفايا العلم والنخبا
وازددت فخرا على الاقران قاطبة اذ كان علمي من جدواه مكتسبا

فهو يعترف للملك الاشرف بفضل تفرغه للعلم وانصرافه عن أسباب التجارة حتى أصبح شهيرا بين أقرانه . وهكذا فان ابن المقري كان صنيع الدولة الرسولية وعالمها . وربما خرج عن سياسة بعض ملوكها كما رأينا ذلك واضحا في حادثته مع الناصر وانكاره عليه تأييد الصوفية إلا أن ذلك كان نادرا في حياة ابن المقري ، بل ان ابن المقري أظهر لنا عدم تبعيته المطلقة لسياسة ملوك الدولة الرسولية في بعض الحالات فهو رجل حر الضمير يميل الى صفوف الشعب في حالة قسره وارغامه كما سنرى فيما بعد .

وقد مرت بابن المقرئ فترات عنيفة كان يتصارع خلالها مع أعدائه من دعاة
التصوف وربما اتصلوا بالسلطان فأذاه بسبب ذلك وهو ينكو منهم في شعره
ويعرض بهم * من ذلك قوله :

الى الله من باغ علي كأنه تذكر ضغنا فهو بالشار طالبي
يحاول مني عورة كي يذيعها ودون لقاء ألف ستر وحاجب
ويقول :

ان أبصروا لي عورة طاروا بها فرحا وان شهدوا الفضيلة ساتروا
ومما زاد في قسوة الايام عليه شقاؤه بولده فهو ماقتىء يدعو عليه في
شعره يقول :

فقدت عليا حيت كنت أوده فأوجعني من قبل موتي فقد
لقد مات معناه وان بقي اسمه عسى باعث الموتى إلينا يرده
ويقول مخاطبا له :

وكنتم ابني وكنتم أبا شفيقا فأنساني بنوتك العقوق
وجاهرت المهيمن بالمعاصي وما عاصي المهيمن لي رفيق
غسلت يدي منك وقلت ميت ولكن ما علي له حقوق

ونفهم من شعر ابن المقرئ أن أكثر مكوثه كان بمدينة زبيد ففيها أهله
وأهله وأولاده وله بنت يحبها جدا جدا توفيت في حياته فراثها بقصيدة أوردنا
بعضا منها فيما مضى وتزوج من أسرة الوزراء آل معييد * وتوفي بعد أن شارف
على التسعين فتوفي يوم الاحد ٢٩ صفر سنة ٨٣٧ *
شعره :

قبل أن يكون ابن المقرئ شاعرا هو فقيه، وبالفة اشتهر بين الناس وله فيه المصنفات
الكثيرة السهيرة، ككتابه الإرشاد الذي شرحه نحو سبعة من العلماء في مصر والشام *
— ٢٧٢ —

واشتهر كتابه روض الطالب في الفقه وكان يبحث فيه بتحريض مستمر من والده الذي لايسره أن يقول الشعر ويعرف به * ومع ذلك فإن ابن المقرئ استمر في نظم الشعر ، ولم ينفع فيه تحريض والده وأصبح شاعرا بين الناس يقصد الملوك لالقاء قصائده فيلقى أذنانا صاغية * وربما ترك الفقه أثره الكبير على شعره ، فأنت تلمس آثار متون الفقه على نظمه في هذه الايات وغيرها :

الحمد لله حمداً ليس يحصيه هذا الزمان الذي كنا نرجيه

وقوله :

وان قتلتنني أهدر الشرع مهجتي لأنني قد أقررت أنني لها عبد

وقوله :

دماء العاشقين لهم (جبار) بلا قود تطل ولا ديات

وربما استعمل عبارات الصوفية والمتكلمين فقال :

هم آتت « بخوارق العادات » وبكل معجزة من الفتكات

وقوله :

لك في كل يوم في المكارم (بدعة) لا تعتدي في فعلها الايام

الى غير ذلك * ومن أثر الفقه والتدين في شعره أنه لا يذكر في شعره ماهو محرم في الشريعة فهو لا يذكر الخمر ولا يسرف في المجون كالغزل بالغلمان والتشبيب المحرم حتى إنه ترك الغزل العادي في أواخر أيامه فانعدم أو كاد من القصائد التي مبدح بها الملك المنصور عبد الله بن أحمد وما بعده بل دخل الفقه الى شعر المقرئ من زاوية فنية أخرى ، فأنت تحس طابع التقرير في كثير من قصائده التي يصف فيها الاحداث والوقائع والامثلة على ذلك كثيرة منها قوله يصف معركة:

جرد « سنجرا » أمس في أمر عني والله جرده لأمر ثان
وافى مغيرا ليس يعلم ما الذي وافى له حتى التقى الجمعان

هجم العدو موافقا بقدمه لتقائه وسعادة السلطان

ثم تمضي القصيدة تصف المعركة بين أمير السلطنة المسمى « سنجر » وبين أعدائه من رجال القبائل فلا تقف في هذه القصيدة وغيرها على أثر يذكر للإبداع الأدبي والفني وربما أفادتنا هذه الناحية حصيلة اجتماعية كبيرة قلما نظفر بها في شعر شاعر آخر من شعراء العصر الرسولي وهو قد اهتم بتصوير حياة المجتمع ومشاكل الناس وربما أرسل قصائد الى الملك الناصر أحمد تعلن عن تدمير الرعية من ذلك الوالي أو هذا الحاكم وقد مر بنا شيء من ذلك فيما مضى • وهو يحرض الملك على العدل في الرعية فيقول :

وللعدل وجه يعجب الناس حسنه	وبشناقه الاقصى ويدني المبعدا
فيا أيها المنصور يا نجل أحمد	ويا ضيفما تحت السرايق ملبدا
لقد شاع بين الناس بالامس أنكم	سمعتم وقد شد « المشد » وشددا
فقلتم عليك الرفق فالرفق لم يكن	مع الشيء الا زان منه وسددا
وكان مشد فبه رفق وقد أتى	على ما بكم لا حيف فيه ولا اعتدا
فخفف وامتدت هنالك بالدعا	أبادى البرايا شاكرين لها اليدا
يسر الاعادي أن يذم عدوهم	وأنتم بمدح الخلق قد غظتم العدا
علمتم بأن الرفق زين فرمته	وان الجفا شين فأبعدته مدى
وهل يستوي في الفضل مال مبارك	تأتى بما يرضي من الرفق والهدى
ومال كثير جاء من غير وجهه	بحيف وظلم شب نارا فأوقدا

الى آخر قصيدة ابن المقري وبعث قصيدة أخرى على لسان أهل زيديدشكر فيها الملك الاشرف الثاني بعد قيام عماله بعد النخل بنزاهة وعدم تكليف الاهالي بالضرائب الباهظة :

لو كنت تعلم ما بأهل زييد	وزييد من شوق اليك شديد
لخصصتها دون المدائن كلها	وخصصت أهليها بكل مزيد
بلد أحبك ساكنوه وما أرى	خيرا تجازيهم به بيعيد

هاموا بحبك بعدما أنقذتهم من كل محذور وكل وعيد
 أنقذتهم من محنة النخل التي كادت تشيب رأس كل وليد
 ومغارم أكلت على ملاكه نمرانه وأتت على الموجود
 من بعدما انتشر البلاء وأشرفوا فيه على التعريف والتطريد
 لو دام عاما واحدا لبددوا في كل أرض أيما تبديد
 فكشفت عنهم ما كشفت عن البلاء وعددت هذا النخل خير عديد
 ومحوت عنه حوادثا قد قررت كنب السقاء بها على المولود
 ما كان يعرف رب نخل راحة في النخل من خوف ومن تشديد

الى آخر هذه القصيدة التي أبانت عن محن سديدة كان يفاسها أهل زيد
 من عمال الدولة الرسولية أثناء حصرهم النخل وأخذ الرسوم عليها ، وهكذا
 يمضي شعر ابن المقري الاجتماعي مصورا آلام الشعب ومشاكله .

وقد جره حديثه عن المجتمع الى التورط في مشاكل السياسة فعبّر عنها
 شعره خير تعبير فهو ينكر على الدولة تعدد السلطة ويصف المنولين بالانتهازية
 والغنى على حساب الشعب يقول :

وأصبحت سلطان البرية واحدا وقد كان أمر الملك في خمسة بلوى
 وأمساوا بطانا أغنياء وغيرهم يبيت خسيصا قد طواه الطوى طيا
 وكل يجز النار منهم لقرصه فعاشوا وخلوا قرص غيرهم نيا

وتمتد صراحة ابن المقري الى أرباب الحكم فهم يعدون بالعدل في الشعب
 ولكن كلما وعدوا بذلك زاد ظلمهم :

وقد وعدوا بالعدل لكن بوعدهم أرادوا ازدياد المال من غير مهلة
 فزاد بهذا جورهم وتناقصت عليهم به الاموال حتى اضمحلت
 وكانوا كعمرو رام تكثير ربحه فباع رؤوس المال بيع الغينة
 وأصبح يبغي الربح من غير ملكه فسمي ظلوما ظلما في الفضية
 وحيف فقر الناس عنه بمالهم وفاتته أموال بصوت الرعية

ولو أمهلوا الوعد الذي وعدوا به لضاعف أموالا بأقرب مدة
ومن لم يدبر ملكه حسن رأيه ولم يدفع السوءى بحسن الطريقة
رأى ضد ما يرجوه من حيث يرتجي وأصبح من أعداء أهل المودة

انظر الى هذه الصراحة في هذا الشعر فهو يفند مزاعم الحكام في دعواهم
بالعدل في الرعبة ويقول كيف يكون هذا العدل وأنتم تنهبون أموال الناس
وتحاولون سبل الاتجار بنهب أموال الناس صراحة *

ويتجه شعر ابن المقري الاجتماعي الى زاوية أخرى لاتتصل بالجانب السياسي
يصور لنا فيها أفراح الناس وأعيادهم وقد برز شعر ابن المقري في هذه الناحية
ورسم لنا صورة فريدة من احتفالات الدولة بالاعیاد ففي عيد النحر يخرج الملك
الى مصلى العيدين ويجتمع الناس لمشاهدة الاستعراض الفريد الذي يقوم به
العسكر لهذا الصدد :

والخيل تقرع والاسنة تلتظي في النقع تحسبها نجوم ظلام
والجيش مثل البحر يضرب بعضه في بعضه ضرب الخضم الطامي
ومراكب وسلاهب وجنائب وكتائب مثل الاسود حوامي
وخرجت فيه الى المصلى مخرجا ترضي الإله بهيئة وقوام
تمشي الهوينا قد علتك سكينة تغشاك من خلف ومن قدام
والناس بين مهلل ومكبر لله ذي الاجلال والاعظام

الى آخرها * ومن اجتماعياته الفريدة وصفه لولائم الدولة وما يقام فيها
من مآكل فخمة تدل على البذخ والتفنن في الطعام * ^{٢٧٦} انظر الى هذه المائدة التي
أقيمت بها ثيابه وأبصرة مسلوقة يحسبها الرائي حية :

سماط ما أراه أم مناخ لأبصرة تقام وتستناخ
تراها وهي مشوية قياما صحاحا ما بمفصلها افتناخ
قيام في السماط وحولتها طيور ما حوالها فراخ

تحاول أن تطير وأين منها مطار والاكف لها فضاخ
وضان فيه تأكل من كلاها وما يبطونها منه انتفاخ

الى آخرها • ويبدو أن ابن المقرئ بهذا الشعر وغيره حرر الشعر اليمني من
التكرار الممل في طرق المواضيع الادبية والجري وراء الشعر التقليدي في الادب
العربي •

مدائحہ :

ولست أدري اذا كان ذلك الاتجاه في شعر ابن المقرئ متعمدا أم أنى عن
طريق المصادفة ، اذ لم يكن قصده التجديد بل نمّ شعره من حيث المضامين عن تقليد
مفرط في المتابعة • وكان قد جعل مدائح ملوك الدولة قنطرة للتوصل الى ما يهدف
من فنون شعرية أوردنا نماذج منها فيما سبق وقد مدح ابن المقرئ خمسة من
ملوك الدولة الرسولية هم كل من عاصرهم في حياته •

وفي مديحه يسلك الاساليب المعنادة عند الشعراء في المدح من التشبيب
والحرص على مكارم الأخلاق ، تم الدخول في وصف ممدوحة • وهو مدح يميل
الى الوصف وتعدد الشمايل كقوله في مدح الاشرف :

الاشرف الملك الذي قاد الورى	قود الكماة الخيل بالأرسان
الناهب المهجات في يوم الوغى	والضارب الفرسان بالفرسان
المرسل النفحات يتبعها الغنى	والمردف الإحسان بالإحسان
الباسط السطوات من لا يتقي	الا بغض الطرف والاضعان
ملك يرى في أريحية عمره	رأي الكهول ونجدة الشجعان
ملك تحاذره الملوك وتتقي	وتخر عند لقاءه للاذقان (الخ)

فهو وصف عادي لا يضيف الى بشرية الممدوح شيئا آخر ، ويصف ممدوحه

بالحلم والصفح والجود والغيرة في حق الله :

مليك قريب حين يهتف باسمه الى الخير والحسنى بعيد من الشر

صفوح عن الجاني بطيء عقابه عجل الى التقوى سريع الى البر
جواد يفوت الريح سبقا الى العلا ويزري على الانواء نائلة الغمر
يحمي عن الدين الحنيف وأهله بهديئة بيض وخطبة سمر

وربما ارتدت بعض قصائده في المديح الى ذكر حوادث وقعت للممدوح
فأفاد بهذا ناحية تاريخية تهم المؤرخ من ذلك اشارته الى تنكيل الناصر بالعرب
الشائرة :

وأوهى قوى العربان من أرض سررد وأرض سهام فهي ممدودة أكل
وصبر قحرا تم عنما وعافقا ترابا وطينا لا تشاك بها رجل
وصنعاء في ملك الامام وماله بذاك يد تحميك عنها ولا رجل
فها هو ان صالحنموه أخذتم مكانا وقلتم ما تضمنه السجل
فيحبه نقصا عليكم بجهله فيعقد صلحا ثانيا ولك الفضل

والامثلة من هذا كثيرة .

غزله :

لابن المقرئ قصائد جمبله في الغزل وهو يسلك فيه عدة طرق وأساليب
فهو يشكو من الهجر والبين كما يصف لقاءه بالحبيب ويدع في ذكر محاسنه
ويلحي على اللاحين ويجيد في تصوير زورة الحبيب المختلصة الى غير ذلك من
طرق يستعملها الشعراء فمن شكواه لفقد الحبيب :

نأبتم فأغليتم رخيص تجلدي وصبري وأرخصتم من الدمع ما يغلو
الى الله أشكو فهو لو شاء جمعنا لعدنا الى العهد الذي كان من قبل
نغربت كي أنسى هواكم بغبركم وعند الفم الصادي سوى الماء لا يطلو
أأسلو حبيبا نصب عني خياله ومن أبني لي من بعده كبد تسلو
ولي أسود قبلي بمن مات في الهوى ومن مات لا عار عليه ولا دل
مساكين أهل العتق حتى دماؤهم تطل فما فيها فصاص ولا قتل

وهذا قاضي الحب قاض ظالم لا يحكم بالحق ..

عصيت الناصحين عليك جهدي وأنت أطعت أقوال النهاية
قضى لك في الهوى قاضيه ظلما على ضعفي فويل للقضاة
بأن تسمي عيونك نائمات وأن تسمي عيوني ساهران

وتهيج الذكرى بالشاعر على أثر تألق البرق :

ويا برقاً تألق من زرود لقد أطلقت دمعي كالفرات
لقد ذكرتني عهد التصابي وأباماً بللع ماضيات
وليلا تقضت في زرود بها كان الحبيب لنا مواتي
فلت زماننا هذا تولى ويرجع لي ليلاتي اللواتي

ويبدع في وصف النظرة من الحبيب فيقول :

غزال عليها قلبي الصب طائر ألتست تراها في علائها غصنا
وما شك من هزت عله قوامها بأن القنا منها تعلست الطعنا
تفد الحشا باللحظ فاعجب اذا رنت لسبب له قطع وما فارق الجفنا
فهذا دمي آثاره في بنائها وقد أوهستكم أنه أثر الحنا

ويقول في نفس الموضوع :

رمني بعينيها فلم تخط مقلتي ولا لذ لي شيء كما لذ لي قلبي
فلا ذقت ما قد ذقت ساعة فوقت سهام الهوى تلك اللواظ من أجلي

ثم يصف لقاء الحبيب فيأثني بأساط جديدة من التعبير :

أتتنا كلطف الله جل جلاله بلا موعد منها ولا حيلة منا
فلا تسألوا عن لبله ظفر الهوى بجيش النوى فيها فأفنى الذي أفنى
عكفنا على اللذات فيها بمعزل عن الناس لا عينا تحاف ولا أدنا
تنازعني كأس العتاب ونجتني يدي من نثار الوصل أحسن ما يجني
وتودعني سرا وتخسني اتساره فأفهم معناها وأحلف ما ينني

وبصور لنا الحبيب فبرسه فتاة جميلة يبدع في تصويرها :

موردة الوجنت ساحرة الرنا	تداني وبعد النسب من قربها أدنى
ترى ورد خديها وصارم لحظها	طليقين ذا يجنى وذلك لا يجنى
إذا شام من بالغور برق ابتسامها	بنجد جرى دمعي فصدق ما ظنا
ويا مطبقا جفنيه يحسب أنه	نغشاه لمع البرق والليل قد جنا
ألا انها فافتح عيونك « زينب »	نخلت عن الجلاب ضاحكة سنا

فهذه صورة بديعة يرسم فيها الشاعر ملامح حبيبه بالصورة والحركة
وأخبراهاهم أهل الهوى فقدوا عقولهم وأصبحوا بين هجر وعتاب :

مساكين أهل الحب حتى عقولهم	يخاف عليها ضيعة وذهاب
محبتهم في كل يوم جديدة	وأحبابهم طول الزمان غضاب

وفبل أن تفارق ابن المقري وتفارق غزله بل شعره كله نقف عند قصائد

له في الغزل :

ان له فرط غرام وأسى	حتى صبا وهو مشيب قد أسن
والنفت الألى إليّ لفتة	لو صادفته وهو ميت لافتن
بطلعة زادت على الشمس سنا	تجري بكل في الهوى على سنن
ظبي ملا قلبي هموما وشجا	وما قضى لي أربا ولا شجن
عن مثل عقد الدر يفتر فما	ان لم يهم في حبه مثلي فمن
أبدله وجدا ويدي وحرا	وكلما استرضي تأبى وحرن
هاجرنه فازداد هجري ولعا	راسلته فسبّ رسلي ولعن
فكم آقاسي في هواء لغبا	وهو مريح ان هذا لغبن
لم يبق لي ولا لصب ورعا	ملاقة فيه ولين ورعن
قبله فهل اخاف ما ثما	وهل لذاك الظلم وهو ما ثمن
لولا فتور في مقامه وسجى	ما اوثق القلب هواء وسجن

الى آخر هذه القصيدة البديعة •

وله قصيدة أخرى يجيد فيها غاية الاجادة :

شهداد ودمع سافح ونحول	شهود الهوى عني عليك عدول
بدا شبح كالظل كاد يزول	وجسم محاه السقم لولا قميصه
وكل عزيز للغرام ذليل	كساني الهوى بعد التعزز ذلة
وعن كلما فيه عليه دليل	لقد كان لي قلب عزوف عن الهوى
لشمس ضحاها في القلوب افول	فكنت له من جانب السجف نظرة
يجردها ظبي أغن كحيل	يصول الهوى منها ببيض صقبه
تقومه العذال وهو يميل	فراح بها سكران من خمرة الهوى
بيض ظبا تلك الظباء قتيل	وما ذاق طعم العيش الا متيم
الى الوصل من بعد الفراق وصول	احتنا طال الفراق فهل لنا



المحتوى

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
مقدمة	٧
مجد الرسولين	٩
هذه جائزتي	١٠
تقديم	١١
تمهيد	١٧
الدولة الرسولية بين يدي التاريخ	٢٣
الادارة الحكومية	٢٧
حياة المجتمع	٣٩
الحياة الدينية	٥٠
الحياة العلمية	٥٩
التعليم	٧١
أولاً - مدارس زبيد	٧٢
ثانياً - مدارس تعز	٧٥
ثالثاً - مدارس عدن	٨١
رابعاً - مدارس الجند	٨٢
خامساً - مدارس ذي عدينة (بتعز)	
سادساً - مدارس ذي جبلة	
سابعاً - مدارس مختلفة	

الموضوع	الصفحة
العلوم	٨٤
علم الفلك	٨٦
علم الحساب - علم الزراعة	٨٧
العلوم الاجتماعية والسياسية	٨٨
الحياة الثقافية	٩٠
علوم القرآن الكريم	٩٧
علم الحديث	١٠٢
علم المعصية	١٠٨
النحو واللغة	١١٢
علم التاريخ	١١٦
الأدب	١٣٢
أدب الفقهاء	١٥٥
اتجاهات الشعر	١٦٥
شعراء العصر الرسولي	١٩٨
النثر الأدبي	٢١٧
أدب الصوفية	٢٢٥
أعلام الشعراء في عصر بني رسول	٢٣٦

للمؤلف

أ - كتب ،

- (١) مراجع تاريخ اليمن - دمشق سنة ١٩٧٢
- (٢) فهرس المخطوطات اليمنية - عدن سنة ١٩٧٤
- (٣) الصوفية والعقهاء في اليمن - مصر سنة ١٩٧٦
- (٤) دراسات في التراث اليمني - بيروت سنة ١٩٧٧
- (٥) مصادر الفكر الاسلامي في اليمن - بيروت سنة ١٩٧٧
- (٦) حكام اليمن - المؤلفون المحبسون - بيروت سنة ١٩٧٩

ب - تحقيقات :

- ١ - أفراط الذهب في المفاخره بن الروصه ونثر العرب - سنة ١٩٧٩
- ٢ - تاريخ وصاب - سنة ١٩٧٩
- ٣ - بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد - سنة ١٩٧٩
- ٤ - أدب الطلب للسوكانى - سنة ١٩٧٩
- ٥ - النقص اليمني للاهلل - سنة ١٩٨٠
- ٦ - حوليات يمانية - دمشق سنة ١٩٨٠
- ٧ - كشف القناع عن أحكام الزراعة - دمشق سنة ١٩٨٠

ج - تحت الطبع :

- ١ - المقامة في الادب اليمني « دراسة ونصوص »
- ٢ - معجم المرأة اليمنية
- ٣ - نوار ما قبل الثورة
- ٤ - مدرسه التاريخ اليمني
- ٥ - تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن
- ٦ - المطرقة مذهب مجهول في اليمن - نشرت منه حلقات في مجلة اليمن الجديد
سنة ١٩٧٦
- ٧ - محمد بن ابراهيم الوزير رائد التحرر في الفكر اليمني
- ٨ - بتوت العلم في نهامة - نشرت منه فصول في مجلة العرب واليمن الجديد
- ٩ - عبقرية المهدي
- ١٠ - ابن عبد الوهاب ودعوته في التراث اليمني
- ١١ - المدينة في الشعر اليمني
- ١٢ - الحيمي ومدرسة البديع في اليمن
- ١٣ - من حديث المكتبة اليمنية - دراسة لامهات الكتب اليمنية - نشرت منه
بعض الفصول في مجلتي العرب واليمن الجديد
- ١٤ - بحوث بمانية - مجموعة مقالاته ودراساته الثانية . وله ابحاث أخرى
لا تزال قيد الاستكمال .

